

الحمد لله رب العالمين

الامام ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليه السلام

الحمد لله رب العالمين

المجلد الأول

مکتبہ روایتیہ کربلا، قوترا - سماج

الدونكيخوت

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طنبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الأول

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الفزالي وأخيه، علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامي :

- ١ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليبيد لعقيدة التوحيد صفاءها وقاءها ، ويطهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليعدل زيف البشرية في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها ؛ وليرسي القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً لمجتمع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعباءه وتكاليفه في المجتمع الذي يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنساني .

قد جعلته تلك التعاليم يعتقد أن عليه رقيقاً حسيباً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو يبعد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذي : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . وبذلك يعلم أنه لو خُلِّيَ بينه وبين المصيبة لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب في السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه في جنح الظلام ، كما يرى الذين يخشام في راحة النهار وأنها : « إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ لدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان في قوله تعالى : « وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

ومقتضى العمل للدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعالاً يؤثر فيها حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحي مناص من خوض معتك الحياة ، يضطرب فيها يضطرب فيه الناس ، ساعياً في رزق ، أو طالباً للجد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، ولن نجد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والاقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن في النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يبحث عليها وبطالها بها في إصرار وتوكيد ، حتى تصبح فكرة التبتل والاقطاع وسيلة لتكبح جماح النفس ، والمبالغة في طلب الحياة والمزج فيها ، واستسلام النفس للغزوات وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيما به إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وآثاره صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء » . وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صنع شيئا ترخص فيه ، وتبره عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان الدنيا ، وإن كان للفرد يتحرى به خيره أو خير غيره ، عمل للآخرة إذا ما اتبع فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتنى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول العقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربه ، لا تتجاوز تلك الدائرة إلا قليلا .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يحقت النواشد المقت . فالإسراف في النفقة رذيلة ، والسرقة من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكثره يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » . ولكن الذي يضيق ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولو في الخير كبناء المساجد ؛ سفيه ينبغي الحجر عليه ومنعه من التصرف في ماله .

والذي يفت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مسرفا ، كالمثبب الذي لا يقطع أرضا ، ولا يبقى ظهرا . ومثله سواء بسواء المقبل على الدنيا ، الماكف على لذتها ، للتهاك على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حق ربه ، وحق دينه ، وحق غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاة وزكاة وصوما وحجبا ؛ وكتب عليه جهادا لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستلزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير ظفیان حق على حق ، أو إثارة الماجة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فنا لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس النلبة ، وطفئت المادية على رجال الحكم ، وقدم في ذلك رعاياهم ، فأقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخداع والبهو ، واتخذوا الجوارى والقيان ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطنعوا الملاذ التي كان يرفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها آى القرآن وسنة النبي .

وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في يديهم يتوارثه أبنائهم وخلفاؤهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويملكون السيف والصف مع الخارجين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شهة لعل وأهل بيته ؛ وهم يتلونهم بالجفأة الغلاظ من الولاة والعمال ؛ على حين يصانعون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقين على سياسة بني أمية تتطلع إليهم ، فترى الخلفاء يلينون لهم في القول ويتجاوزون عن مسيئهم ، ويشجعون حياة النهو والترف فيهم بما يندقون عليهم من العطاء ، ليشتلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة .

أما ذور الجاه الذين مذ لم السلطان في الأسباب فظلوا سادرين في لهوم وترهم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرمان من البر والفرار من الفتنة التي حدثت في صفوف المسلمين ، مدعاة لكونهم على العبادة والزهادة ؛ فانطوا على أنفسهم ، يتذكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوعد والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

فاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترغيب فيما عند الله وابتغاء ثواب الآجلة ليحصلوا منهجهم في الدار الآتية ؛ وروا الزهد والانصراف إلى العبادة مرقاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوت الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثر همها طلب الحاجة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان : « زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَخْلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّآبِ » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفي فيه الإيمان المطلق ، فإن المعارف الطبع معاداً مسعداً ، ولجihad العاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير^(١) .

وذلك الأصل هو الذي أفنى فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذي أنفقوا في التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذي ساقهم إلى التدبير في فهم آثار الصنعة ، حتى يتسنى لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية في ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفي ذلك تلك الغاية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومجاهدة إنما هو للوصول إلى تلك الغاية ، غاية المعرفة .

ولا تكون تلك الغاية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عَمَى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد^(٢) ، وإذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) النزالي : جواهر التركان ١٢ (طبعة الرحابة / القاهرة ١٣٥٢ هـ)

(٢) راجع فوات الوفيات لابن شاكر ٣/١ (مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين : الملازمة والخالفة . وللملازمة ملازمة ذكر الله تعالى ، والخالفة لا يشغل من الله ، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه ، فإنهما معاً . أو ما سمعت قوله تعالى ، وهو أصديق القائلين : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » ١٢ .

بل مثل الطالب والمطلوب . مثل صورة حاضرة مع مرآة ، وللمرآة ليست تتجلى في المرآة لصدا في وجه المرآة ، فتق صفتها تجلت فيها الصورة ، لا يارتحال الصورة إلى المرآة ، ولا بحركة المرآة إلى الصورة ، ولكن بزوال الحجاب ، فإن الله تعالى متجل بذاته لا يختفي ، إذ يستحيل اختفاء النور ، بل بالنور يظهر كل خفاء ، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور من الحديقة لأحد أمرين : إما لكدورة في الحديقة ، وإما لضعف فيها ، إذ لا تطيق احتمال النور العظيم الباهر ، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش والنور يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم وأوضح ؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرآة وصقلتها وصحة استدارتها ، واستقامة بسط وجهها ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الانجاء المسمى إلى جلاء النفس وصقلها ، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام مخالفتها بالانصراف عن الدنيا ، والمكوف على العبادة ، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في الفطر وكثرة الذكر ، وغير ذلك من وسائل حمل النفس على غير ما تشهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام ، ومحاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزاهدين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتضت أودية التفكير الإسلامى ، ونهبت المسلمين إلى ألوان من المعرفة لم يكن لهم من أكثرها حظ ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مزاولتها ، والأمة الإسلامية تتطلع إلى احتلال منزلتها ؛ وبناء مدينتها على تلك الأسس الوطيدة التى أرسى دعائمها الإسلام ، وهو دين البشرية الذى بعث صاحبه إلى الأسود والأحر : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم النبيين .

ولذلك كان على حمة هذا الدين والقوامين عليه أن يطوفوا بكل جهات المعرفة ، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأمم من ضروب المعرفة وألوان التفكير ، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل ، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً ، ولم يهودوا يكتفون بالإيمان المجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا فى نصوص الدين ما يبحث على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير

وكانت هناك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه ، والحياة وما وراءها ، والإنسان فى

حياته وموتونه . وكان ذلك الأم تراث خلفه طائفاً ، ورثته حكماؤها الإنسانية لتتظرفه ، وتنفص منه أو تزيد عليه . ما وسعها الزيادة وما وسعها التهديب والتصحيح .

وجدة المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تنقيح ومدارسته ، وجدّوا في تحميمه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وحقيقة وعبادة ومعلمة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تخرج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التي حذقها كثير من المسلمين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وطمى الجدل بين العلماء طغيانا كاد يُنسى كثيرا منهم الأصل الذي ورثوه من إسلامهم وعروبهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يجري على ألسنة العلماء وللسكدة من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدعهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جذت على بيتهم ووجد فيهم من يتمصّب تلك الثقافات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصيلة ، إلى جانب الذين وصلوا هذه جثك ، وكوتوا من هذا المزاج زاداً جديداً للعقل العربي الإسلامي .

وعاد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تعد السلبية التي كانوا يؤثرونها قبلهم في هذا المجمع المضطرب ، قد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجاً نظرياً ، أم منهجاً عملياً . وقلبك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غورم سلوكهم في الحياة .

الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري طائفاً من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد أمين محمد النزال ، ويحمل بنا أن نشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لنقف من هذا التاريخ على العوامل التي تظلمت على تكوين هذه العقيدة القريضة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وجعلته أهلاً لأن يحتل تلك المكانة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفهم وأبناء مفكرهم .

وفي مدينة طوس^(١) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد بن أبي علف القلب واليد ، ينزل الصوف ويسيمه ، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم . والتقهاء في دروسهم ، والوعاظ في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة ، ويلطفهم بما يفضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بخراسان . بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، خصها المسلمون في أيام صفار بن مظان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .
قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل السلم والحق ملا محمّد ، وحبيبك يابن حامد محمد بن محمد بن محمد النزال الطوسي جابن القنوج أخيه .. (معجم البلدان ٦/٧١) .

تأثره تلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيمًا ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولها من صلبه مجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يملكون الناس أمور دينهم ، ويبصرونهم بخير الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة ^(١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصى بأبي حامد وأخيه صديقًا له من أهل التصوف . وقال له : إن لي تأسفًا عظيمًا على ما فاتني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاتني في وهى هذين ، فلمهما ، ولا عليك أن يتقدم في سبيل ذلك جميع ما خلفه لكما .

وأخذ الصوفي وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذي خلقه أبوهما ، ونمدر عليه المضي في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنمًا إلى هذين التيسين الذين لا عائل لهما ولا مال بينهما على الحياة ، ولذلك كان النزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يمرى عليهما بسببه ما يمرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى النجاة الحقيقية من طلب العلم ، وهى معرفة الله تعالى حق المعرفة .

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرقًا من الفقه ببلده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان) ^(٢) ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتحل إلى (نيسابور) ^(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، ويجد في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة ويفقه كلام أهل تلك العلوم ، ويتصدى لرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (المسكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويتناظر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويقهر مناظريه ، حتى يعترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم مجده ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي النزالي للقب مجد الدين . قال ابن خلكان : كان واعظًا مبيع الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فقلب عليه ، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد . ترك التدريس زهادة فيه ، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه (لباب الإحياء) وله تصنيف آخر سماه (النخبة في علم البصيرة) وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلًا إلى الاعتقاد والزهدة . وتوفي أحمد بجزون في سنة سبعين وخمسائة [انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٥ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، بعض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي سفرة ، وقد خرج منها سفرة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ أنه حزة بن يزيد السهمي . قال الأسطخري : أما جرجان فإنها أكبر مدينة بتواحيها ، وهى أقل ندى ومطرًا من طبرستان ، وأهلها أحسن وأقار وأكثروا من كبارهم . ولجرجان مياه كثيرة وضياء عريضة ، وليس بالشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنًا من جرجان (راجع مجمع البلدان ٣ / ٧٥ طبعه السادة ١٩٠٦ م)

(٣) نيسابور : بلد كثير القواكة والميراث ، كان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والأمير عبد الله بن عامر ابن كرز في سنة ٣١ سلط ، وقيل إنها تمت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخنف بن قيس ، وإنما اكتسفت في أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية .

حتى يقال إن مجلس النزالي كان يحضره ثلثمائة حمالة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب المثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رحال طالب العلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم القوي يقوم به ، غير خالصين لوجه الله تعالى ، بل باضها ومحركها طلب الجاه وبعد الصيت ، فتبين أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشقى على الهلاك إن لم يسرع بتلافى ما هو فيه .

وحينئذ يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيه حذراً أن يطلع الخليفة ووجه الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلفط بلطائف الحيل في الخروج من بغداد وهو ينوي ألا يماودها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سيئاً دينياً ، فقد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاية ، وإنما من قرب من الولاية ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوي ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم !

وقارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يدخر إلا قدر الكفاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرَصَّدٌ للمصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم يرفى العالم مالا يأخذه العالم لبياله أصلح منه . ودخل الشام ، وأقام به ما يقرب من سنتين لا يشغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بتركية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصمد منارته طول النهار وينلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، وينلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبته المهم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدفت نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف المشاهد ويزور المقابر والمساجد للعبادة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدث به .

عاد النزالي بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه فجر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن النزالي تأبى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحمل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول النزالي في ذلك : ترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعذلاً بالمعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، فقدّر الله تعالى أن حرك داهية سلطان الوقت من نفسه ، لا بهريك من خارج ، فامر أمر الزلم بالتهوض إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حياً كان يشي - لوأصرت على الخلاف - إلى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزة السكل والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بسر مطانة الخلق ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبْ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... » الآية . ويقول عز وجل « لِرَسُولِهِ ، وَهُوَ أَعَزُّ خَلْقِهِ : « وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا فَحَقَّ أَنْتَاهُمْ فَصَرُّنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ » ... فتاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والشهادات ، فانفقوا على الإشارة بترك العزة ، والخروج من الزلوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله تعالى على رأس هذه اللاتة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) للقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ...

قال : وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم ، فارجعت ؟ فإن الرجوع عود إلى ما كان ا وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولي وعمل ، وكان ذلك قصدي ونيتي . وأما الآن فالدعوى إلى العلم الذي به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي ، يعلم الله ذلك مني ا

وأنا أبني أن أصلح نفسي وغيري ، ولست أدري الأصل إلى مرادى أم أخترت دون غرضي ؟ ولكني أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأنى لم أتحرك ، لكنه حركني ، وأنى لم أعمل ، لكنه استعملني ، فأسأله أن يصلحني أولاً ، ثم يصلح بي ، ويهديني ، ثم يهدي بي ^(١) .

وأخيراً يعود النزالي إلى طوس بعد للدة التي قضاها في نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخالقاه للصوفية ، ويوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفي في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٥٥ هـ .

✽

ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تسيه من حياة أبي حامد الرجل في هذه الحياة الدنيا . أما عقلية ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة السكاملة ، ولن نجد في هذه الترجمة إلا لمحات من قرره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء في هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة طادية تمثل رجلاً نشأ صغيراً ، فزهد كرهاً أو طوعاً ، ونصوف راصياً أو مضطراً . وتلك اللامع كثيرة الوجود في البيئات الإسلامية في عصر أبي حامد وفي غيره من العصور الإسلامية .

(١) للتقدم من الضلال للنزالي : ص ١٤٤ (الطبعة الثانية : القاهرة : ١٩٥٥ م) .

وإنك لو أجدد العلم الدينى يطلبه الغنى والفقر ، والعلم العربى يجرى فى المجالس والمدارس والمساجد ميسراً لطلابه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسبباً من السبل التى يسلكها الكثيرون من طالبى الحياة لأجل القوت ، حتى يتقوا على السعى والكسب فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، ويهيئ لهم بين السماء ومنزلة نهى لهم منصباً وجاهاً ، ينالون به الخطوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فتدر لهم أخلاف المطاء ، وينالون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد به قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلها مدرسة كأنهما من طلبة العلم . ويؤكد أيضاً كلمة الغزالى السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التى سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يتمتعوا بما تمتع به من العقلية الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، سلوك سبيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا التوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الناية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا العناء وفى تلك المصابرة والمتابعة تمتعاً لنفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

الشك عند الغزالى :

عاش الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى فضحت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتصدت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختلفت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون فى المقائيد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى المذاهب والديانات ، وفى أفعال العباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون فى كل مسألة من تلك المسائل ، واختلفوا فيما بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى ليكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يختط لنفسه خطة بين هذه الخلط السكينة والأكثر من يتخيرون لأنفسهم طريقة من الطرق السلوكية يكفون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم ينالون بها ما وسعهم الغلاء . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من المقالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحي ، على حين يفعلون غيرها أو يلغون بها إلاماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان فى المناهج الكثيرة التى تباين منهجهم ومقاتلهم .

وأمام هذا الغلو فى الاعتقاد والتمسك برأى أو منهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إنبات هذا المذهب على ذاك .

وجد النزالي نفسه بين هذه للذهاب التي لا تكاد نحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره يلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للزبد ، وإذا المزيد الذى يريد اليقين بسلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه فى كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى النفي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المكابدة فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجرأة من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يقاع الاستبصار .

إن اختلاف الخلق فى الأديان والمثل ، سم اختلاف الأمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى النزالي - بحر غرق فيه الأكترون ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجى ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذى وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » قد كان ما وعد أن يكون !

ورأى النزالي أن أحباب الأديان كان التقليد ، كما كانت الوراثة ، السبب فى نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبهان النصراني لا يكون لهم نشوء إلا على النصر ، وصبهان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبهان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ! » .

ويحكى النزالي عن نفسه فى « المنقذ من الضلال » أنه لم يزل فى عنفوان شبابه ، منذ راق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف ستة على الحسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوف الجبان المنور ، ويتوغل فى كل مظلمة ، ويتجهج على كل مشكلة ويتقحم كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين الحق ومُبطِل ، ومتسنن ومبتدع ، لا يفادر باطنيا إلا أحب أن يطلع على بطائنه ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلميا إلا اجتهد فى الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على الشور على سر صفوته ، ولا متعبدا إلا ترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا نجس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته فى تمطيله وزندقته .

ويقف النزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتحرك باطنه إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد المارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات التى أوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول فى نفسه : إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هى ؟ ويظهر له أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إسكان الغلط والوهم . ويعلم أن كل ما لا يلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس يعلم يقيني !

فهو يتطلب المعرفة الحقة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوقن في قرارة نفسه بتلك النظرية الثابتة « إن الحقيقة لا تتعدد » ولكنه يرى التمدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو عبارة أخرى لا يكون المتمد إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير المستقيم هو الذي يسلم إلى هذه الغاية .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، حالت بين القول وبين النهج السوي ؛ لآفة أصابتها ، أو علة اعترضتها ؛ فكان هذا التصيب للبل والنحل ؛ والناس عبيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .



سبل المعرفة :

قلنا إن النزالي ابتداً طريق المعرفة بالشك فيها هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيها هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطبعته تأبى التمدد ، فإلّا الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني الملزم للفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشد النزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الغلط في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقاليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل مجد يبالغ في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسه بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويخونه ؛ تكديماً لاسيول إلى مدافعتة . قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا : المشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً .

هنا لا نجد النزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجرى مع مذهبه في التشكيك ، ولكنه لا يستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبين العقل ، ولا عن سبيل التجربة والحس والشاهدة ، وإذ ذاك يلتبس الشك من سبيل الجدل والفسطة ؛ ويخترع لذلك قياساً عجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادته وناقشته وحاجته قاتلة : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثفتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واثقاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، ومن وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا تجلّى كذب العقل

في حكمه ، كما نجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نجلى ذلك الإدراك لا يدل على استحالته ؟
وتتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتؤيد إشكالها بالنام ، وتقول : أما ترك معتقد في النوم أمورا ،
وتصنيف أحوالاً ، ومعتقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجسم
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطلال ؟ فم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يفتلك بحس أو عقل هو حق بالإضافة
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يفتلك كنسبة يفتلك إلى
منامك ، وتكون يفتلك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بفتلك خيالات
لاحاصل لها . ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لم إذا غاصوا
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً توافق هذه المقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فعمل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديث » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتباك ؛ إنه يبحث عن يقين يجعله محور البحث ، وقطة
يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو الغاية المنشودة بخطا ثابتة ، لا تنتقل إلا إذا اطمأنت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت
أنها تبرز فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا الظن ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العلوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية
مسئلة لم يمكن ترتيب الدليل .

إن نفي الاعتماد على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتماداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له
مايسوغه . ولكن هناك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه النزالي نفسه
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض شبه العارضة . ولكن ما ذهب إليه من جواز تنفيذ أحكام العقل لا يبعد
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للمنطق واعتمد على
المقدمات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تفضي إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء ؛ كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بيئات التفكير الإسلامي ، وهيام
بعض المقلدين بأرائهم واعتناقمهم إياها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباهاة للجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك
الأفكار الطارئة ، ولا يبي إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وتراث العروبة ، ورأى القضاء بها من تحصيل هذا
العلم الطارئ ، الذي لاصلة له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من
القدماء ؛ يعرف عنهم قبل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا النزالي في التفات ، وأنه رأى طاقة
يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأرباب والنظراء بيزيد النقطة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقوا شعائر الدين من وظائف الصلوات والتوفى عن المحظورات ، واستهانوا بعبدات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقبوده ، بل خلموا بالكلية ربة الدين بفنون من الفنون ، يتبعون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لسكفرهم غير تقليد سماعي إلقي ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشوهم وأولادهم ؛ وعليه درج آباؤهم وأجدادهم ، وغير بحث نظري صادر عن التمثير بأذيال الشبه الضارفة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما انفق لطوائف من النظائر في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كمقراط ^(١) وبقرات ^(٢) وأفلاطون ^(٣) وأرسطوطاليس ^(٤) وأمثالهم ؛ وإطناط طوائف من متبجهم ، وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لفرط الذكاء واللفظة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزاة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والمثل ، ومعتقدون أنها تواميس مؤلفة وحيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تميزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترفوا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافاً من القناعة بأديان الآباء ، فلما بأن إظهار التكاسيس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد من تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتحمل بترك الحق المعتقد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل نصديقاً ، دون أن يقبله خبراً وتحققاً ^(٥) ؟

وقع النزالي في هذه الأمشاج من المقالات والمطامير ، ووجد نفسه أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطول ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكمن من حسن فتن صاحبه فأرداه ؛ وكمن عقل أضل صاحبه فأغواه عن سبيل الرشاد .

فطارجت نفسه إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضروريات العقلية عنده مقبولة موثوقاً بها عن أمن ويقين .

(١) هو الفيلسوف المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، واتصل من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض من ملاذ الدنيا وورفضها ، وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة ، فتوروا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) من بعض علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين في عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله في الطب تأليف مشهورة في جميع العالم ، وفي صدور كتبه وصايا جيلة من التحنن والشفقة على النوع ، وتطهير الأخلاق من الكبر والعجب والمسد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط في الأخذ عنه ، ولم يشتهر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة في فنون الحكمة ، وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عليه ؛ وسمى الناس فرقته المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو ماش .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثّر على سائر تلاميذه وبسببه النقل ، وإلى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة العلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله في جميع العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الأسكندر ابن فيليب ملك مقدونية ، وبأدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية .

(٥) النزالي : تنهايت الفلاسفة : ص ٣ (المطبعة الحيدرية - القاهرة ١٣١٩ هـ) .

ولم يكن السبيل إلى ذلك نظم الدليل وترتيب الكلام ، بل كان السبيل نوراً قذفه الله تعالى في صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى « فن يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » ! فقيل : وما علامته ؟ قال : « التجافي عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره » . فن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب الترشده ، كما قال عليه السلام « إن ربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا تضرعوا لها » .

ولم يرد النزالي بذلك كف نفسه ، أو كف الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتماداً على هذا النور الذي لا يأتي إلا نفحات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يصل كمال الجهد في الطلب حتى ينتهي إلى طلب مالا يطلب ، ومالا قدرة على إدراكه ، وهو الذي يحتاج إلى ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب المصطفين الأخيار من عباده .

✽

وإذا كان النزالي معدوداً في آئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا تسير في ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من المجد في دنيا التفكير .

وإذا كان النزالي معدوداً في رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينبغي أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البُله من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستبصرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجهد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التي يرضاها ؛ والمعرفة التي ينكرها ، والمعرفة التي قد يسلم بها ولكنه لا يأخذ بها .

وهي صوفية تقف في وجه الابتداع ، وتقف أيضاً في وجه التقليد ، صوفية تفند من أهل المواءمة من أهل العقل ، وهي في الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التي لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدها بعض الجامدين خروجاً على الدين ومخالفة لنصوص سادت في بيئاتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلاً يجاري به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويظن في صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الزاهدة الشاخصة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسماً من هذا الخلاف ، لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلاً من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انحناء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر في ظل الأرض

اقطع عنه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في المقتدين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحاول النزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، وبصرح بأن من ظن أن للناظرة في هذا من الدين ، قد جنى على الدين وضمف أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسية لا يبقى معها ريب ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يحبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرها ومدة بقائها إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو قاتل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يخفان لموت أحد ولا حياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ يقول النزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو حياته ، والأمر بالصلاة عنده . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحباباً ؟ .

فإن قيل : قد روي أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى شيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما الروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ أفكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فسواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسطحاً ، أم مشتملاً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالقصد كونه من فعل الله تعالى حفظ كيفاً كان !

إن مثل هذه العقيدة الواجبة ، هي العقيدة التي تخدم الدين ، وتبسط ساحته ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجامدة التي تقف في سبيل كل علم ، وتمتعض على كل نظر واجتهاد وتعمد من الأمور الحديثة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن للسلف عهد بها ، خشية أن تكون من تلك البدع التي تقود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بدل أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يتقدم . وزعم بعض النافلين أن الدين نصٌّ يبنى الوقوف

عند حروفه ودلالات ألفاظه ؛ وما ليس في هذه النصوص بالإسلام منه براء ؛ وهو لنحو يحمل بالمسلم أن يحاشاه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب القول ، كما ألقى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالسي كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحقيقة مطمع ؛ إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم النزالي في عصره فألفاهم أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
 - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والخصوصون بالاعتباس من الإمام المصوم .
 - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل للنطق والبرهان .
 - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل الشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس النزالي مباحث هذه الفرق ، وأمن في درس مناهجها في البحث .

النزالي وعلم الكلام :

ابتدأ بعلم الكلام فخصله وعقله ، وطالع كتب المحققين من المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . فقد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلييس أهل البدعة المحدثين على خلاف السنة الماثورة . وقامت طائفة منهم بما نذبهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ، والتفسير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى النزالي بأنه صادف علم الكلام وافيًا بالفاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم يف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحوثه والتجرد في طلبه ، بل ألنى المتكلمين اعتمادوا في سبل غايتهم على مقدمات نسلوها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات الخصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات بشيء أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فحاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الفاية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يعمى بالكلية ظلمات الخيرة في اختلافات الخلق .

ولذلك لم يجد النزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافياً لدائه . وإن كان لا ينكر أن هذا العلم قد شفى قسماً غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك لطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتقليد في بعض الأمور . والنزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكمن دواء ينتفع به مريض ، ويستضر به آخر

النزالي والفلسفة :

وثق بطل الفلسفة ، درسه في سنتين ، ثم لم يزل يراخض على التفكير فيه بعد فهمه قريباً من سنة ، يعاوده ويردده ، ويتفقد غواظه وأغواره ، ويطلع على مافيه من خدام وتليس ، وتحقيق وتخيل . وقد رأى الفلاسفة أصنافاً ، ورأى علومهم أقساماً .

عرف منهم (الذهرين) الذين جحدوا الصانع المدبر ، العالم للقادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فأروا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيراً عظيماً في قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطلانه ، وإذا اندم فلا يعقل إعادته ؛ فالتفلسم تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فأنهكوا في الشهوات انهمك الأنعام . وهؤلاء أيضاً زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر مالم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان لخباً من علومهم . وهؤلاء يحملتهم ردوا على الذهرين والطبيين وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم ، وكذلك رد بعضهم بعضاً . ولهم شعبة من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والقارابي .

أما العلوم التي خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهي العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلقية ، وتكلم عن آفاقها وعما يتماق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولاً يؤثر في العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التي تتماق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية فنياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها . ولكن تولدت منها آفتان :

الأولى : أن من ينظر فيها يتمعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تديقيهم

في هذا العلم . فإذا عرف بالتسامح كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين ، وكما رأيت من يضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً لكل صناعة .
والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم وأدعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الإسلام مبني على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد للفلسفة حياء ، وللإسلام بغضا . ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات .

وبهذا الأسلوب عالج النزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكمال النقص ، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المضلات .

النزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسون أنفسهم (التلميسيين) الذين شاع بين الخلق تحذيرهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المصوم القائم بالحق ، وبحث عن مقالاتهم ، واطلع على ما في كتبهم ؛ وهناك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية للباحث الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسهه مدافته .

وخلاصة رأي النزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التعصب دعت الذآيين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به ، فجاءهم في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصلح كل معلم بل لا بد من إمام مصوم » وظهرت حججهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضمف قول المنكرين في مقابلته ؛ فاعتز بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضمف مذهب المخالفين لهم ، ولم يفهموا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل للصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم مصوماً . ولكن معلنا المصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميتا فنقول : فطمسكم غائب .

فإذا قالوا : معلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فنقول : ومعلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ، وأكل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته .

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجهد في البرهان على إبطالها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جربناهم ، وسبرنا ظاهريهم وباطنيهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوي مفعم ، حتى إذا ساعد على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هات طه ،

واقفنا من تعليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لي هذا قاطبه ، فإنما غرضي هذا القدر فقط . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا تفصح ، ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل يجز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .
فلما خبرهم ففض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئا من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء .

الفزالي والصوفية :

وبقي من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقهم إنما يتم بعلم وعمل ، وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والتزهد عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخليق القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول الفزالي : وكان العلم أبسر على من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العملية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات . . . وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

ولقد أثنى الفزالي على الصوفية ثناء عظيما ، وامتدح سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم علما وعَمَلا واقتداء ، ونجردا ومجاهدة نفس ، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه ليذهب إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لينبروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ؟

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يقرم على كل شيء إقرارا مطلقا ، بل إنه ليصف بالخطأ ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجري على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالاتحاد ، ومن يدعون الوصول ؛ وغير ذلك مما بعده أثر من آثار هدم القدرة عن الإفصاح عما يرون وما يشاهدون من آثار عظمة الله ، إلى درجة يضيق فيها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ^(١) .

آثار النزالي :

تلك لمحات من الجهود المضنية التي بذلها النزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبها ، والوقوف على ما عندهم من فنونها ؛ مع تعميق مقالاتهم والنحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبلوا مثل هذا الهلاك أقل من القليل ، قد جرت النالبية المظلمة من للفكرين على أن يتخذوا لأنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعدونه ، وتهديهم الملامات إلى فكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحصرّون أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرقاً منه .

وإنك لتعجب لتلك الآثار التي خلفها النزالي ؛ فإنها على كثرتها المعجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لوناً خاصاً متميزاً عما عداه ، وتجد فيه ما تنشد من العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه لتلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلفها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخسه بشيء من الدراسة .
- (٢) كتاب تهافت الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المنقذ من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوي على أصناف النفائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ما جاء في علوم الدين من النيات والمقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .
- (٩) كتاب القسطاس المستقيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم .
- (١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة تفرض لمذهب التلمبية وبين فساد مذهبهم .

- (١٣) كتاب كيمياء السعادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .
(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب تبحث في علم الحدود الموضوع للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من المباحث الفقهية .
(١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .
(١٩) كتاب للمستصفي (٢٠) كتاب للنخول . وهما في أصول الفقه .
(٢١) كتاب للتحل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .
(٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج العابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار (٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦) كتاب المبادئ والفايات (٣٧) كتاب تليس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العليل في القياس والتحليل (٤٠) كتاب إجماع العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب العلوم الدنيوية (٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجليل في الرد على من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضمن رحب المادة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرقى إلى درجة الكتاب ، ولكنه ربما كان أشبه بالمقالات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه العارضة . وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل صدق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على العلم ؛ وتبتلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتقان في سبيل الذود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إحياء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن الفزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا ، وزهدت فيها وقطع فيها ، العلائق بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن الفزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث » والذي يفهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به الفزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان ثمرة من ثمرات المعرفة التي أفاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولا نستطيع أن نقرّ هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل ما في « إحياء علوم الدين » كان وحياً أو إلهاماً ، وأنه كان ثمرة حياة العزّة والتأمل التي قضاها في دمشق وبيت المقدس وفي البلد الحرام .

ونحن في هذا لا ننكر أثر النفس والخلوة في تطهير النفس وتصفيتها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن في قطع العلائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التي يستنفدها الاضطراب في الحياة والاتصال بالناس ، وانشغال القلب بأقوالهم وأعمالهم وتزاحمهم في طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلية في إزهاق الملكات وتنقية الروح من الشوائب التي تقعد بها عن بلوغ درجة التفكير الجرد في هذا الملوكوت ، وفي الخلق والخلق ، وفي البداية والنهاية ، وفي مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لانشك أن الخلوة وطول التأمل وكبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرير الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، ونقل ما في الكون من الماديات ، وما ينطوي فيها من الآيات ، وما يحتجى وراءها من الأسرار التي أعيت على العقول .

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون ما في « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً ألهمه النزالي في رحلاته أو أوحى به إليه في خلواته ، ونرى في مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البطل من العوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتمل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرفه النزالي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المخرجون من رواة الأحاديث والعالمين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك في بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولا شيء من هذه الدعاوى يرتفع به النزالي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هناك من يريدون له تلك المنزلة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التي لا يرضاها النزالي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحي ولا مجال إلهام ، وكيف الإلهام بمحصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس في تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذي لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ما عاقل به لتلك الأحكام وما جمعه منها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً ، وفي « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء في الرواية والدراسة ، وفيما تقدم الكثير من الأدلة على ذلك .

تنقل النزالي بين خراسان والعراق والشام والحجاز ، فإذا وجد في تلك البلاد التي تعد معاقل للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وختهم الدنيا ، وحولهم من الرعية من يقتل لم بين الذروة والغارب ، وفيهم

العصار يأساً ، والمصر خذته تيهاً ودلالاً ، وألنى رجال الدين في شغل عن الدين ، يتذلقونه في استرضاء للسلطان ، وإشباع نهمه في الاستعلاء والكبرياء ، والكل عن الدين لاهون ، إلا بالقدر الذي تدر به معاشهم ، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى المرفة ؛ وتتخذ دين الله هزواً ، وترى الآخذين به جهة من الطغام ، ومن حوام الدماء ؛ والأخذ به غفلة وجوداً ، حتى زاد الخطب وحمت الرزية ، وأجوج الأمر إلى من يذكر بالله ، ويحث على التدبر في آياته ، والرجوع إلى دينه الحق وصراطه المستقيم .

إلى هؤلاء وأولئك أشار الفزالي في خطبة « الإحياء » إذ وجد في الناس للتأثير على ما هو عليه من المعنى عن جليلة الحق ، مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجمل والتشبيب^(١) على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ، ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم ، طمعا في نيل ما يعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب . . وأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغلهم الزمان ، ولم يبق إلا المترسمون ، وقد استحوذ على أكثرهم للشيطان واستغواهم الطغنيان ، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوقاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمفكر معروفاً ، حتى ظل علم الدين مندوساً ، ومانار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا فتوى حكومة نستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أوجدل يتدرب به طالب للباهة إلى التلبه والإفهام ، أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ إلى استدراج العوام ، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة الحرام ، وشبكة للطغام ! فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً ، وضياءً ، ونوراً وهداية ، ورشداً ، فقد أصبح من بين الخلق مطويًا ، وصار نسياً منسياً .

ورأى الفزالي ما آل إليه الأمر ثلماً ملأ ، وخطباً مدلماً في الدين ، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين ؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاح لمناهي العلوم النافسة عند النبيين والسلف الصالحين^(٢) .

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة ، فقد صنف الناس في المائى التى ألف فيها كتباً ، ولكن كتابته تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور :

الأول : حل ما عقده ، وكشف ما أجلوه .

الثاني : ترتيب ما بدعوه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما فرقوه .

الرابع : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنعام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً : إذ الكل وإن تواروها

(١) التشبيب : تهيج الشر

(٢) إحياء علوم الدين : ص ٩ من هذه الطبعة .

على منهج واحد ، فلا مستكرأن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه وينفل عنه وقفاؤه . أولاً يفضل من التنبيه ، ولكن يسهو من إirاده في الكتب . أولاً يسهو ، ولكن يصرفه من كشف الخطأ عنه صارف .

وما قرره صحيح ، يعترف له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لابد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليعرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يمرر من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عنده من المعرفة فيه ، والتحرير جهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هي ما يمتاز به جهد من جهد ، ويفضل بها الكاتب سواء من الكاتبتين .

أوبعنى آخر لابد من العنصر الذاتي والأصالة في كل عمل له وزن بين الأعمال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الذاتية في الكلمات السابقة .

ولقد ذكر النزالي نفسه أن العلوم التي تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الأحوال في حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها أقيمت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والذي يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع في القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) مالا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما يطلع العبد معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب ، وهذا يسمى (وحيا) ويختص به الأنبياء .

ويقرر النزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وقاض على صدورهم النور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد في الدنيا ، والتبرؤ من علاقاتها ، وتفرغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه إذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطعن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، ويتقضى العمر قبل النجاح فيها ، وكمن صوفى سلك هذا الطريق ، ثم بقى في خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أتمن العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الفرض .

لقد زعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قهيبا بالوحى والإلهام من غير تكرير وتعليق ، ثم يقول قائلهم : فأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة والمواظبة إليه ١٩

ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء النور على كنز من الكنوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً . فكذلك هذا

لا بد أولاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء ، فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة ^(١) .

فليندر هذا الكلام جيداً أولئك النافلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وحمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ؛ وليطهروا أن النزالي وهو من أقطابهم في القمة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

— ٢ —

قسم النزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

(١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد القائد ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من عطاء الآخرة من لا يطلع عليه .

(٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمباشرة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسمع والوجد ، والأسر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

(٣) ربيع المهلكات : وقد شرح فيه عجائب القلب ، ورياضة النفس ، وآفات شهوات البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات الغضب والحقد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والمجب ، وذم الغرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته ، وتزكية النفس عنه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي تترتب عليه ، والعلامات التي يبرف بها ، وطرق السالبة للتخلص منه .

(٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصدّيقين التي بها يقترب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حذرها وحقيقتها وسببها ونمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقر والزهد ، والتوحيد والتوكل ، والمحبة والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والحاسبة ، والتفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعليم ، ليكشف عن العلم الذي يبعد الله تعالى به ، حتى نصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود ، وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء (ص ١٧ - ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يتضح له أنها تعالج النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقاتها .

لقد درس فيها النزاع بين الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التى تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير ما منح العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلاقى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوفة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام العقل والاستدلال والمعرفة تُنفى جميعاً إلى التسليم بالبعث والنشور والحساب والجنة أو النار . وكان الذى حفز النزاع إلى تلك البحوث للضيقة مارأى من خور الاعتقادات فى أصل النبوة ، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى المل بما شرحت النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر فى أسباب الفتور وضعف الإيمان ، فإذا هى أربعة :

- ١ - سبب من الخائضين فى علم الفلسفة .
 - ٢ - وسبب من الخائضين فى طريق التصوف .
 - ٣ - وسبب من المنتسبين إلى دهرى التعليم .
 - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالملم فيما بين الناس .
- وقد تتبع مدة آحاد الخلق ، يسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسرته ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟
- فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعملها ، وتبيها بالدنيا ، فهذه حماة إفائك لا تتبع الاثنين بواحد . فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة ؟
- وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر إ فدير نفسك فى طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخلق الذى هو مذهبك باطلاً ، وهو سبب جرأتك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجملأ بالإيمان وتشرفاً بذكر الشرع إ
- قائل يقول : هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان الملأ أجدر بذلك إ وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصل ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .
- وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .
- وقائل ثالث يتطل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .
- وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .
- وقائل رابع لى أهل التعليم فيقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض إ وأدة القول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أديم اليقين بالشك ؟

وقاتل خامس يقول : لست أفضل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تمديداتها ضبط هوام الخلق ، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حجب التكليف ؛ وإنما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد^(١) . . . ١١ .

إنك تقرأ هذه الشبه المعارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العمل ، والأسباب التي ينتحلها المقصرون ، والأعذار التي يدلى بها الغافلون . وتقرأ في (الإحياء) تنفيذ كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والمنطق الذي بسل إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء مجموتا شبيهة بحقيقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما تطالعها فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك تقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النفس في تلقى العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفى أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد المعلم »^(٢) وأنه مهتم اشتغل بالتعليم فقد تقلد أسراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه التي نعلم عليه :

(١) الشفقة على التلمين ، وأن يجرهم مجرى بني . . .

(٢) الاقتداء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل الخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتسكاس . . .

(٣) ألا بدع من صحح التعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي ، قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينهيه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التمريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على المعجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار .

(٥) أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقيح في نفس المتعلم العلوم التي وراؤه ، كعلم اللغة إذ عادته تقييح علم اللغة ، ومعلم اللغة عادته تقييح علم الحديث والتفسير ، وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المعجزة ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن اللغة . . . فهذه أخلاق مذمومة للتلمين ينبغي أن تجتنب ، بل للتكفل

بلم واحد يبنى أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً بعلوم فيبنى أن يراعى التدريج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينتفه ، أو يحبط عليه عقله . فليث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا يبنى أن يفشى العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولتلك قيل : **كُلُّ لَكُلٍّ هَد** بمقياس عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ويتفجع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المقياس .

(٧) أن المتعلم القاصر يبنى أن يلقى إليه الجليّ اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقاً يدخره عنه ، فإن ذلك يفترغته في الجليّ ، ويشوش عليه قلبه ، ويوم إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لا تناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

وما بسطه النزالي في هذه الآراء هو ما يقوله الربون المحدثون في الانتقال بالمتعلمين من الجليّ إلى الخفيّ ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

ونجد هذا الكتاب زائراً يمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « النزالي الربى » وسيجد الدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لا مستقصاتها ، ولكننا نجتزئ بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

- ٤ -

ودراسة صلة الإنسان بخالقه دراسة لأصول العقائد والمبادئ التي فرضها عليه ، والتي يلتبس بها الزننى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقي أن تذكر أن النزالي لم يكتف في تلك المبادئ بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي نصائهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيراً من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، ونصق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إجادتها وتخليتها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند النزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون في البدن والثوب والمكان ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة والذائل الممقوتة . والرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى ^(١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإحياء ١/١٣١ من هذه الطبعة .

يدهو إليها ، والشريعة التي قهها وأجاد نحصيلها ، والمقل الذي عرف موارده ومصادره .
(و الصلاة) عنده مناجاة ، والمصلى مُتَاجِر به عز وجل ، والكلام مع النفلة ليس بمناجاة البتة - وإذا كان الفقهاء
يفتون بصحة الصلاة مع النفلة ، فإن النزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيما أفتوا به ، ويطل
بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن النفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم للظاهر ولعلم الباطن ، ويرى أن
قصور الخلق أحد الأسباب المانعة من التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع ^(١) .

ورأيه في (الزكاة) أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به
الأيق للموحد محبوب سوى الواحد للفرد ، فإن الحجة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما
يتمتع به درجة الحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق ، لأنها آلة تتمتعهم بالدنيا ، وبسببها يأنسون بهذا
العالم ، ويتفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ، واستزلوا عن المال
الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ
أُجْرَةٌ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ، فزولوا عن جميع أموالهم ، فلم يذخروا ديناراً
ولا درهماً ، فأبوا أن يترضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟
قال : أما على العوام بمحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ^(٢) .

وهكذا نجد أنفسنا دائماً ونحن نجول في (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وقه وعمل به ،
ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينتظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام
وتمكنه ، وهذا الخاص فضل وزيادة وناقلة بعد أداء القروض التي لم بفضل (الإحياء) ركننا من أركانها
أوسنة من سننها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، تجمد فيه الحجة البالغة ، وتجمد فيه التقوى والورع وقطع الملائق
بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد والمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه ونحرص عليهم .

في تلك الدراسات يجد المتفقه رغبته ، ويجد المتصوف طلبته ، ويجد صاحب العقل والباحث عن اليقين
ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السمة وبذلك الشمول أحيا النزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة
المضطربة المجادة للعامة ، والمأجزة الهازلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينهما وبين حكمة
العقل والمنطق التي تنفض إلى الصحيح من النتائج ، وتلزم الشاك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .
والناس عند النزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يبالغ به ما عنده من الجهل أو الشك
أو التردد .

(١) أما الصنف الأول : فهم (العوام) ، ويصفهم بأنهم ألبنة ، وبأنهم أهل السلامة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثانى : (الخواص) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها التريخة النافذة والقلنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها . الثانية : خلوة باطنهم من تقليد وتصب للذهب موروث مسموع ، فإن القل لا يضيئ ، والبلبل وإن أصغى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه (الغزالي) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يعالجهم الغزالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع الخلاف بينهم عن قرب ، ويدعوم إلى الله بالحكمة ، كما دعا العوام بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فلم أن الدعوى إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحكمة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمأزوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فيهم كياسة رقوا بها عن العوام ، ولكن كياسهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتصب وتقليد ، فذلك يمنهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتعصب عليهم أو يمنهم ، ولكنه يرفق بهم ، ويمجد لهم بالتي هي أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع الإسلامى ، وعرف فلسفتها في الحياة وما تسالجه من أسباب السعادة ، وما تساليه من أسباب الشقاء في الفكر والعمل ، ولا تعرف هذه السمة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجد في إحياء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاعتقاد وأصول العبادات - وهما كما قد منا صلة بين الإنسان وربه وقيام بطاعته ومامتثال لأمره ونهيه وفيها دلالة على المحبة - ما كتبه في الريح الرابع من الإحياء ، وهو (ربيع المنجيات) لأنه يختص بتصفية النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المعرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئ الشريعة الكثير .

ومقدمة (التصوف) التوبة عما اقترفه المبد قبل أن يسلك طريق المعرفة ، ثم آداب السلوك وهي : الصبر ، والشكر والخوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والمحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل العامة ، التي يبنى توافرها في الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالترامها ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لا شك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك بعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطريق المتطلعون إلى العرفه فإنهم يجمعونها جميعاً

ويصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون نفوسهم جهاداً حقيقياً ، ويحلقونها على ما تنكره ، بما يبدئه غيروهم إسرائاً وحسناً ، ولا يمتزفون بالضرورات ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً صريحاً ؛ ولا يبنين لذلك الطريق أن يهلها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة للعاصي ، وأنت بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل يبنين أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس يبنين أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير تحرّم يبنين أن يعاقب العين بجمع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف يده بمنعه من شهواته . هكذا كانت مادة سالكي طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلاً من الصالحين كرم امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذه ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يستوي ، ويمكن أن أحدم تكشفت له جارية ، وهو في بعض الخازي ، فنظر إليها ، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت ، وقال : إنك للحافظة إلى ما يضرك ! ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الحار لينقص على عيشه » (١) .

ففي هذا الريح ، ربح للنجيات ، يظهر ما يعلى به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل ما في الريح الثالث ، ربح للمهلكات ، الذي بسط فيه ما نجب فزكية النفس وتطهيرها منه ، وهي شرور وآثام مردية ، كالشر والنصب والكبر والرياء والمُغِب والحد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنجيات) لأن الأولى تطهير ونخلة ، والثانية فزكية ونخلة ، والأولى في أصول القرية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيها ذكره في المهلكات ، ولكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنجيات ، ولأن التجرد للخير الحظ دأب الملائكة المقربين ، والتجرد للشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الأدميين .

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقيلة الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه النزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتمد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرع والحديث والتأويل ، وهو يعد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة

الأول ، وأن الفقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعَلَّ لذلك بأن الناس لو تناولوا الدنيا بالعدل لاحتطمت الخصومات وتسلط الفقهاء ، ولكسهم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فست الحاجة إلى سلطان يسوئهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوئهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لتتظم باستقامتهم أمورهم الدنيوية . والملك والدين توأمان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ^(١) .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والقرائن وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ريع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ريع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جبل هذا العلم علىين : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتعلق بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن الطاعة واجبها ، وللمعصية عقابها . ولكن الرضى في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة للمعرفة السكاملة ، والفناء ، وقهر النفس وتركيبها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلواته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يُفتى بالصحة ، أى أن ما فعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو محل الآخرة ، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزاع وإن مدَّ الفقه علم الدنيا والفقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على الفهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة سلم الحقيقة ، والمهادة سبيل للفرقة الخفة التي نشدها وعدة من رجالها .

(٢) المقاييس الفلسفية : ونفى بها بقطعة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بظواهره وشواهده ، ومحاربة الوصول إلى أعماقه ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تعارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع النزالى إلى التحرر ، ونفوره من التقليد الذى لا فضل فيه للمقلد ، وفى الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

قد بحث النزالى كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التى تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث فى أعمال المبد ، ومبدأ الخلق وفانيته .

ومن ذلك البحث الفلسفى الذى عقده فى « ربح المهلكات » فى شرح مجائب القلب ، وفى بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

فلفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصورى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف ، وفى ذلك التجويف دم أسود ... الخ .

واللغى الثانى للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسمانى تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المحط والمقاب والمطالب .. وتعلقه بالعقل الجسمانى يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالسكان ...

و (الروح) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى ، فينشر بواسطة المروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت ، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محرّكه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا اللغى ، وهو بخار لطيف أنضجت حرارة القلب والروح معنى آخر ، وهو اللطيفة العالمة للدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

وللفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعانى ما يريد أهل التصوف فى استعمالهم ، وهى الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان ، وهى اللغى الجامع لقوة الشهوة والنفس فى الإنسان ، فإنك تزام يقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ التى بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذى يحل القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للمعلوم فيكون هو القلب .

هذا شيء قليل نشير به إلى جهاد النزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة . ولكلام النزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديمها وحديثها .

ثم الفلسفة الأخلاقية ، وقد أفاض فيها في المنجيات والمهلكات والمعادن ، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل في القديم والحديث . وما بالك برجل يعالج الفضائل السكينة والرزائل المستقرة ، فضلاً عن الأخلاق الظاهرة والباطنة الملحوظة . ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج ، فإن المطالع لا كثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما نقول .

(٣) المغاية الصوفية : ظهر للنزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب من الشواغل والملايق .

ثم لاحظ أحواله فإذا هو منغمس في الملايق . ولاحظ أحواله - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها يقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى ، بل باعها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فتيقن أنه على شفا جُرُف هار ، وأنه قد أشتى على النار ، إن لم يشتغل بتلافي الأحوال ^(١) .

وقد رأى العلوم التي حصلها لا تجدى فيما أراد ؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والمعرفة ، ورأى ذلك محتاجاً إلى جهد ومشقة ، وعلم وعمل .

وقد ساق النزالي كثيراً من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، لا من التعلم ، ولا من الطريق المعتاد ^(٢) ، من ذلك قوله تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » أي مخرجاً من الإشكالات والشبه ، ومعنى يرزقه من حيث لا يحسب : يطله طلاءً من غير تعلم ، وينظنه من غير تجربة . . . وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فعلم باطن في القلب ، فذلك هو العلم النافع . . . وستل بعض العلماء من العلم للباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً . . . وفي الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة . . . » .

(١) النزالي : المنفذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢٢/٣ .

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإلهام بنير الأسباب الظاهرة ، مما وقع للخلفاء الراشدين وأهل التقوى والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم اللدني ، وهو غير العلم الدنيوي الذي يكون بوسائط نطق الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحل النفس على مالا تطيقه أكثر النفوس ، ولقد كعب الغزالي في هذا الجهاد كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف فيها عند غيرهم .

وما بالك رجل يحمل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القهر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العهد من الأهوال . وبسميه (زهد الخائفين) ؟ وبجمل الدرجة الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس من رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقتصدوا والخللاص منها ، ولا إلى الذات ليقتصدوا نهلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله قد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، وطلب غير الله من الشرك الخفي .

وما أكثر ما زخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشيع الغزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصل إلى المعرفة بالله والقرب من رحته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم العميق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع المنجيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا ... الخ .

ﷺ

وأخيراً ...

لك بعض إشارات إلى التنايع الطاهرة والمناهل الصافية ، التي يفيض بها هذا الآثر الخالد ، يقصد إليها المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لقلوبهم ، ورياء لظمئهم ، وشفاء لأفواه قلوبهم ، ونهيدياً لظلمات الحيرة في غموسهم وأمناف في سلوكهم ، ونجاة من موبقات هذا السراب الأنغاز في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمرقة العاتقة والحكمة البالغة .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرغبة الكريمة التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربية) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نفعه ، وعت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام التتالي ، الذي فنز به عالمًا بدين الله ، ونؤمنًا بالله ، وداعيًا إلى الله ، وفنزه مسلماً من أولى البصيرة واليقين ، وحلاً من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقمت على هذا العمل . مستعيناً بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحاً لكشف عن شخصية التتالي وعقليته ومطرقه ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .
والحمد لله على ما هدنى إليه ، وأطمن عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم المولى ونعم النصير .

بروق المكيان

مصر الجديدة { ٣ من جلدى الأول سنة ١٣٧٧ هـ
٢٥ من توليد سنة ١٩٥٧ م



مواد المقدمة

- صفحة
- (١) تمهيد في التصوف الإسلامي ٣ - ٧
- تعالم الإسلام - المسلم بين الدنيا والآخرة - المسلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التفكير - ألوان جديدة من المعرفة .
- (٢) الإمام الغزالي ٧ - ١١
- مولده وشأنه - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في السكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن المنصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - العزلة والخلو - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .
- (٣) الشك عند الغزالي ١١ - ١٨
- اختلاف مناهج البحث في العقائد - التنصب للآراء - الغزالي والتقليد - سبل للمعرفة: الحسابات والعقليات - عقبات تترض طريقهما - آثر الفلاسفة والطبيعيين في بثاث التفكير الإسلامي - ليس الكشف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة الغزالي وتصوفه - الغزالي بين الابتداع والانباع .
- (٤) مناهج البحث عن الحقيقة ١٨ - ٢١
- الغزالي وعلم الكلام - الغزالي والفلسفة - الغزالي ومذهب التعليم - الغزالي والتصوفية مزايا كل مهج وعيوبه .
- (٥) آثار الغزالي ٢٢ - ٢٣
- (٦) كتاب (إحياء علوم الدين) ٢٣ - ٢٨
- متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - الفرق بين كتابة الغزالي وكتابة الذين سبقوه .
- أقسام الإحياء : العبادات - العادات - المهلكات - للنجيات - أسباب الفتور وضعف الإيمان - الإحياء والتربية - صنوف الناس في نظر الغزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشريعة والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .

إخفاء علوم الدين
للإمام الفخراني

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ»
(مراكان كرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حلي جلاله حمد الحامدين ، وأصلح وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما أنبئت له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تعجبك رابحاً ، أيها العاقل المتعالي في العنزل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفرع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهد السلام وقلادة النطق بما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر الزرع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأساً من عام التلاقي والجبر وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحد من دركها فرجعت بكلامها ، أحمد وأستكين له من مظالم أنهضت الظهور بأثقالها ، وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بمحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عنى علمه ثم شرعت في تبييضه في نصف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمال غير متعرض لتركه وإماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث ومجايه ومخرجه وبيان محته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند للذاكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مستول .

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بجزوه إليه وإلا عزوته الى من خرج من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزّه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق

لشتر المحاسن وطبها

في أحسن حكتاب

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلاة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا بأحياء شريسته

وطريقته قلوب ذوي

الأباب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرقت شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

للوهوب الى إسفاف

ملازمي مطالعته

ومجبه بالمطلوب .

وبعد : فإن الكتاب

العظيم الشأن المسمى

بإحياء علوم الدين

الشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق

الله السالكين المشايخ

العارفين للنسب إلى

الامام الغزالي رضي

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ^(١) » ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجسم الفقير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجمل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقل البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا الترميمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى المروف منكراً واللتكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدفع به طالب البهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه قهها وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين لما وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند التبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية اللهم لأكشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع ^(٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شاة كلة الصواب ، وانخداعهم بالامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الزم خرجته الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لفرض أول لذهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما ينفي عنه غالباً وربما لم أذكره . وميمته :

المغنى عن حل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار

جمله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى التعميم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج التهجدين
مقتدى الأئمة ميين
الحل والحرمة زين الله
والدين الذي ياهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
النفع جليل المقدر
ليس له نظير في باب ولا
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحة بمثاله
مشتغلاً على الشريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن التوامض
الحفية مينا للأسرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تكون كالعنوان
والدلالة على صبابة
من فضله وشرفه
ورشحة من فضل
جامعه ومصفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالقائمة في عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
المدايح والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب
كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب
أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب
الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب
آداب الصحبة والمعاينة مع أوصاف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع
والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوات وشهوة البطن وشهوة
الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب
ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع النجيات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد
والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة
والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر اللوت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع
عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهاء . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار للعاملات
الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين .
وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإمباطه وتركه النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد
ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق العلاج التي بها يتخلص .
كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع النجيات فأذكر فيه كل خلق محمود
وخصلة مرغوب فيها من خصال القربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر
في كل خصلة أحدها وحقيقتها وسببها الذي به يجتلب ويترتبها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في
بعض هذه المعاني كتباً ولكن يميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عقده وكشف
ما أجملوه . الثاني : ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إنجاز ما طولوه وضبط ما قررروه . الرابع :
حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنفهام لم يتعرض لها
في الكتب أصلاً إذاً الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين
بالتنبيه لأمر يخصه وينقل عنه رقاؤه أو لا ينقل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراد في الكتب
أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف النطاء عنه صارف فلهذا خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً للمجامع
هذه العلوم . وإنما حملت على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي :
أن هذا الترتيب في التحقيق والفهم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة
وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف العلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكابره عليه والجواب
عما استشكل منه
وطعن بسببه فيه
والخاتمة في ترجمة
المصنف رضي الله عنه
وسبب رجوعه إلى هذه
الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة
التي يتقرب بها إلى الله
تعالى تنقسم إلى ظاهرة
وباطنة والظاهرة
فهيان معاملة بين العبد
وبين الله تعالى ومعاملة
بين العبد وبين الخلق .
والباطنة أيضاً فهيان
ما يجب تركه القلب
عنه من الصفات
المذمومة وما يجب تحلية
القلب به من الصفات
المحمودة وقديني الامام
الغزالي رحمه الله كتابه
إحياء علوم الدين على
هذه الأربعة الأقسام
قال في خطبته : ولقد
أسسته على أربعة أرباع
ربيع العبادات وربيع
العبادات وربيع المهلكات
وربيع النجيات فأما
ربيع العبادات فيشتمل
على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم العامة فقط دون علم الكاشفة التي لارخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم العامة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم الكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والاحمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلما وورثة الأنبياء فلهم سبيل إلى المدول عن نهج التأسي والاعتداء . ثم إن علم العامة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم للملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتعليق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتعليق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العامة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى التدرج به إلى الباهة والاستظهار بجاهه ومنزله في النافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والتزني بزي المحبوب محبوب فلم أبعاد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا ناطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى اللطافة والتلطيف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطيف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأبين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والساداد إنه كريم جواد .

الكتاب في علم وفيه سبعة أبواب (الاول)

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العلم وفرض الكفاية من العلوم وبيان حشد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعدد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم للمذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء وبلا وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للمعلم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به - تنبيه على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد
العقائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلاة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأذكار
والدعوات كتاب
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربيع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصعبة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر كتاب
آداب السماع والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربيع المهلكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
عجائب القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشهوتين : البطن
والفرج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

نصرها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله
الدين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم والحق رتبهم بركة الأنبياء في كشف حكم
الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وربنا - يعني
اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم - وقال
تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال
تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم
«العلماء ورثة الأنبياء»^(٢) ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة
وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض»^(٣) وأي منصب يزيد على منصب من
تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال
صلى الله عليه وسلم «إن الحكمة تزيد الشريف شرطا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك»^(٤) وقد
نبه هذا على غمراه في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان
في منافق حسن سمع وقعه في الدين»^(٥) ولا تشك في الحديث لنفاق بعض قهواء الزمان فإنه ما أراد به
الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه
المرقة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الناس
للمؤمن العالم الذي إن احتجج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «الایمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس من درجة
النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاء به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم
على ما جاء به الرسل»^(٨) . وقال صلى الله عليه وسلم «لموت قبيلة أيسر من موت عالم»^(٩) وقال
عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كعادن الذهب والفضة يخارم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
إذا قهوا»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء»^(١١)

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله
ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود
والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات
والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرطا الحديث
أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغنى الأزدي في آداب المحدث من حديث أنس
باسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة
وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا
على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان هريان الحديث الحاكم في تاريخ
نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم
والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٩) حديث
لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند
أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث
يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

الغضب والحقد والحسد
كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الفرور . وأما
ربيع النجيات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفقر والرهق كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب التوبة
والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التفكير كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله : فأما ربيع
العبادات فأذكر فيه
من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها لئلا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها وأكثر ذلك
مما أهمل في الفقهيات .
وأما ربيع العادات
فأذكر فيه أسرار
الحاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيماً وشهيداً يوم القيامة »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة قتيماً عالماً »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله وورقه من حيث لا يحتسب »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام بإبراهيم أني أعلم أحب كل حليم »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »^(٨) فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »^(١٠) فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من قفه في الدين ولقائه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه »^(١١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه »^(١٢) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة »^(١٣) وقال

وخفايا الورع في مجاريها
وهي عما يستغنى التدين
عنها . وأما ربيع
للهلكات فأذكر فيه
كل خلق مذموم ورد
القرآن بإماطته وتزكية
النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر في كل
واحد من هذه الأخلاق
حده وحقيقته ثم سيبه
الآفات التي عليها يترتب
ثم العلامات التي بها
يتعرف ثم طرق
للمعالجة التي منها يتخلص
كل ذلك مقروناً بشواهد

(١) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيماً وشهيداً يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة قتيماً عالماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزيدى بإسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم بإبراهيم أني أعلم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له بإسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبونعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبونعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة بإسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من قفه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبونعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف: قفيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجنون الأدرع بإسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

من الآيات والأخبار
والآثار . وأما ربيع
للنجيات فأذكر فيه
كل خلق محمود وخلة
مرغوب فيها من خصال
القربين والصديقين
التي يتقرب بها العبد
من رب العالمين
وأذكر في كل خلة
حدها وحقيقتها وسببها
الذي به تجلب وتغرب
التي منها تستفاد
وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد
فيها من شواهد الشرع

والفعل

() المقصد في فضل الكتاب الشار إليه وبعض اللذات والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة لها باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبه ققصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردوا فيها علت بتأليف وهي جديرة بالتصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر الماني ثم لم يرض إلا بكبارها وجمال في بساين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن انقطف من أزهارها وسما إلى سماء الماني فلم يصطف من كواكبها إلا السبابة وجللت عليه عرائس أسرار الماني فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسمى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير قهواؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل قهواؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حشر الجواد الضمر سبعين سنة (٢) » وقيل يارسول الله : أي الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل أي العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له نسال عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا مبشر العلماء إنى لم أضع على فيكم إلا للمضى بكم ولم أضع على فيكم لأعذبكم بكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » نسال الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن أى طالب رضى الله عنه لكيل يا كيل العلم خير من المال العلم يهرسك وأنت تهرس للمال والعلم حاكم وللحال يحكموم عليه وللحال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإتقان . وقال صلى الله عليه وسلم : « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذامات العالم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بسلام تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل لمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصة التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان القليل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس المصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم وأنى شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال نفع الموصل رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتاه كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغلها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير قهواؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن حمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه واليقين من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتعوذ بالله من يوم كشف العطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورثته موت رواه فواللهي نفسي يده ليودن رجل قتلوا في سبيل الله شهداء أن يفهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسن في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا هزقت سفيتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجأما اتخذها الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فخرج ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يأبى الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداء محبة فمن طلب بابا من العلم ردا لله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استغفبه ثلاث مرات كذا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم إلى ذل مصيره وتال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترفت فاحترفت بالعلم لما نمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي بالعراق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى - فاولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تعدوا فضل العلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم ومصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تعدوا فضل العلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خبره من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ندر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالعين ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة .

فشكر الله له ذلك
المسحوق لله دره من عالم
عحق مجيد وإمام جامع
لشتات الفضائل محرر
فريد لقد أبدع فيها
أودع كتابه من
القوائد الشوارد وقد
أغرب فيها أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيها أفاد فيه
وأملى يدي أنه في العلوم
صاحب القدح الملى
إذ كان رضي الله عنه
من أسرار العلوم محل
لا يدرك وأين مثله
وأصله وأصله فضله:
هيئات لا يأتي الزمان
بمثله

إن الزمان بثلثه لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشتات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات الناقب فشجرت
في فواردة العلم والعمل
والملا والفهم والذكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضي الله عنه هذا الصدر
الرحيب والقرينة
الثابتة والراية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزان مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسميع والمحيط » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (٢) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينته وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » (٤) . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فمزت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأصرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والتعلم شريكان في الخير وشائر الناس هج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليدينن للناس ولا يكتُمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتُموه » (٥) وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » (٦)

(١) حديث العلم خزان مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة التلمذ من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسل (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم الضعيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم الجيني مثل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد للصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن علي بن حرزهم الفقيه المشهور القرطبي كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظهر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا ^(١) » وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندى كعص ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ^(٢) » وهذا إنما يكون بالعلم للتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيم إياه ولكن ينهب بنهاب العلماء فكلمة ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن شئوا أتوا بغير علم فيضلون ويضلون ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمه تسمعها فطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تطعه إياها تعدل عبادة سنة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو لمعلمها أو متعلمها ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد السلم أخا فائدة أفضل من حديث حسن بلغه قبله ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة ^(٩) » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعو الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم ^(١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل ^(١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ^(٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف ^(٣) حديث إن الله لا يترزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ^(٤) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن ^(٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمه تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه بإسناد ضعيف ^(٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب ^(٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النخلة في جعرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح ^(٨) حديث ما أفاد السلم أخا فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن السكندر مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى ^(٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمه يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة ^(١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعو الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال النزالي هنا خصمى يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعم تبنت إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذلي حتى من خصمى ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بئتك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المقرئ فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظنّ خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما يثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأبنت الكلاً والشب الكبير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فثربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيما لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً^(١) » اهـ فالأول ذكره مثلاً للمتفعل بعلمه والثاني ذكره مثلاً للنافع والثالث للمحروم منها . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به^(٢) » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحد إلا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله ما لا فسلطه علىهلكته في الخير^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلقائي رحمة الله قيل ومن خلقاؤك ؟ قال الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله^(٥) » . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكث لا يسأله إنسان فقالوا كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيدين السبب وهو يبكي قلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدة البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجمل وتعلم من يعلم ما يجمل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيت أيضاً مرفوعاً « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهل قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنارسيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتبس آثارهم وترمق أفعالهم وترغب لللائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيطان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها^(٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما يثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لاحد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلقائي رحمة الله الحديث ابن عبد البر في العلم والمروى في ذم الكلام من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرسلًا ولابن السني وأبي نعيم في رياضة التلمين من حديث علي نحوه (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي .

فأخطأ في ظنه فرضي
الامام الغزالي وقبل
شفاعة الصديق ثم
استيقظ ابن حزم
وأثر السباط في ظهريه
وأعلم أصحابه وتاب إلى
الله عن إنكاره على
الامام الغزالي واستغفر
ولكنه بقي مدة طويلة
متألاً من أثر السباط
وهو يتضرع إلى الله
تعالى ويتشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن رأى النبي
صلى الله عليه وسلم
دخل عليه ومسح
بیده الكريمة على
ظهره فعوفي وشفي بأذن
الله تعالى ثم لازم مطالعة
إحياء علوم الدين ففتح
الله عليه فيه ونال
المعرفة بالله وصار من
أكابر المشايخ أهل
العلم الباطن والظاهر
رحمه الله تعالى . قال
اليافعي روي ذلك
بالأمانيد الصحيحة
فأخبرني بذلك ولي الله
عن ولي الله عن ولي
الله عن ولي الله الشيخ
الكبير القطب شهاب
الدين أحمد بن الليق

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدايرته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يعبد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن للطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وثقافته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أول غير من الحصول فاقتضت عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بدم لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كمال ذلك الشيء كما يقال القرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وتقصان في العنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لعنايه وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للقرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في القرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا لما يطلب لذاته وأشرف وأفضل مما يطلب لغيره والطلوب لغيره الدرامم والدنانير فانها ما حيران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات لهما لكانا والحصاب بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمتنى بها والتوصل إلى التآرب والحاجات وهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت له دينا في نفسه فيكون مطلوب لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها لن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العلم إلا بالعمل بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد صرفت أن ثمره العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنة اللأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجونة على التوقير لشيوعهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لعمالة فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة بما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مندرجة للآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحيا كدوى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله يا قوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبي العباس
الرسى عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان معاصرا لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الامام
الغزالي يقول سمعت
علي بن أبي هريرة
الاسفرايني يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحى
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاوي
بمكة الشرفة يقول
دخلت المسجد الحرام
يوما فطرا على حال
وأخذني عن نفسي
فلم أقدر أن أتف
ولا أجلس لشدة ما بي

وهو للممكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها الثاني ماهي مهينة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالمعداة فانها تخدم الزراعة وحجة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلابة والفزل فانها تخدم الحياة باعداد عملها . الثالث ماهي متممة للأصول ومزينة كالطمن والحيز للزراعة وكالقصرة والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى فوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرب أيضاً أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأنظار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يشكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاهلها صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للتعظيم النجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم رتبة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنفى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والنفع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط وأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعدية وهو الراد بالتعليم وإما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالاتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المثل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ عمل أحدهما الذهب وعمل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كإسباني يانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه ونعمته سعادة الآخرة وأما شرف المثل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشغل بتكيله وتجليته وتطهيره وسيافته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أحل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العام الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تزيينهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب الثاني . في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة)
بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم ففرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا تطيل ينقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقت على جنبي الأيمن
نجاه الكعبة المعظمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن نفسى
النوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في أكل
سورة وأحسن زى
من القميص والعامة
ورأيت الأئمة الشافعي
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يمرضون عليه مذاهبهم
واحداً بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرهم عليها ثم جاء
شخص من رؤساء
المتدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتقدمت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أعنى
إحياء علوم الدين
معتقدى ومعتقد أهل
السنة والجماعة فلو
أذنت لي حتى أقرأ
عليك فأذن لي
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع الباردة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى المعلوم كلها وقال للتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه للملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومهم . وقال أبو طالب للسكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويستفد جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا برهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل (٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاتسكاك عنها وتلك الموارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصباح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقوع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافقه فإن فعل ذلك نقل تعلمه أيضاً فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث ا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير والحديث فند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول في ترجمة
عقيدة أهل السنة
حتى انتهت إلى قول
الغزالي وأنه تعالى
بعث النبي الأمي
القرشي محمداً صلى
الله عليه وسلم إلى
كافة العرب والعجم
والجن والإنس فرأيت
البشاشة في وجهه
صلى الله عليه وسلم
ثم التفت وقال أين
الغزالي وإذا بالغزالي
واقف بين يديه فقال
ها أنا ذا يا رسول الله
وتقدم وسلم فرد عليه
السلام عليه الصلاة
والسلام وناولته يده
الكريمة فأكب
عليها الغزالي قبلها
ويتبرك بها وما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
أشد سروراً بقرابة
أحد عليه مثل ما كان
بقراءتي عليه الأحياء
ثم انتبهت والدمع يجري
من عيني من أثر تلك
الأحوال والكرامات
وكان تقريره صلى الله
عليه وسلم لهذا مائة

وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البعوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من الساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال لما يعلم أنه ينفع عنه لا يجب تعلمه وما هو ملائمه له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بأس بالحرير أو جالساً في التصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تحريمه بذلك وما ليس ملائمه ولكنه يصدد التمرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما يجب تعليمه ويجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في المعاني التي تدل عليها ككلمة الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن يتقن أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالبطح وبعضها يخطر بالسامع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يحذر في أوله بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومقتضى العلم بكيفية العمل الواجب لمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الطالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ^(١) » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سذكركه من مذمومات أحوال القلب كالكبر والمجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بصدقه وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يفي . وما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والخبر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فإذا انتهت لهذا التدرج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يغلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تحدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه البادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المرف بالآلف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزاز والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستبشاره
بقيادة الصراحي
وتقريرها نعمة من الله
عظيمة ومنه جسيمة
سأل الله تعالى أن
يمينا على سنته وتوفانا
على ملته آمين .

(صل) انتهى على الأحياء
عالم من علماء الإسلام
وغير واحد من عارف
الأعلام بل جمع أقطاب
وأفراد فقال فيه الحافظ
الإمام الفقيه أبو الفضل
المراق في ترجمته إنه
من أجل كتب الإسلام
في معرفة الحلال
والحرام جمع فيه بين
ظواهر الأحكام ونزع
إلى سرائر دقت عن
الأنفهام لم يقتصر فيه
على مجرد الفروع
والمسائل ولم يتبحر
في الالفة بحيث يتعذر
الرجوع إلى الساحل
بل مزج فيه على
الظاهر والباطن ومرج
معانيها في أحسن
للوطن وسبك فيه
فنان اللفظ وضبطه
وسلك فيه من النمط
أوسط مقتدياً بقول
على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في الماملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحياطة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أزل الداء أزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بأعماله . وأما ما بعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشيعة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخط فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى الحمودة والمذمومة . أما الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات وثمرات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجتماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأمر فإنه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضی الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »^(١) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا وبحويه كتب الفقه والتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعم الكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يأنز الحوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة الخط
الأوسط يلحق بهم
التالي ويرجع إليهم
القالي إلى آخر ما ذكره
عما الأولى بنا في هذا
الحل طيه ثم الانتقال
إلى نشر محاسن الأحياء
ليظهر للمحب والبغض
رشد وغيه . وقال
عبد الغافر الفارسي
في مثال الأحياء إنه
من تصانيفه للشهيرة
التي لم يسبق إليها . وقال
فيه النووي كاد
الأحياء أن يكون
قرآنا . وقال الشيخ
أبو محمد الكازروني
لو عبت جميع العلوم
لاستخرجت من
الأحياء . وقال بعض
علماء المالكية الناس
في فضل علوم الغزالي
أى والأحياء جماعها
كما سيأتي أنه البحر
المحيط . وكان السيد
الجليل كبير الشأن
تاج العارفين وقطب
الأولياء الشيخ عبد الله
الميدروس رضي الله
عنه يكاد يحفظه قلا
وروى عنه أنه قال
مكثت سنين أطلع

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً (١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنىء
الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً . الضرب الرابع للتممات : وذلك في علم القرآن
فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات وتخراج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسير فان اعلمنا
أيضاً على النقل إذ اللغة بمعبرتها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كعقوبة الناسخ وللنسخ والد
والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الله
ويتناول السنة أيضاً . وأما التتمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة
وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتمييز الرسل
للسند وكذلك ما يتعلق بهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمولة بل كلها من فروع الكفايات . فان قد
لم ألحق الفقه بعلوم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام
التراب وأخرج ذريته من سلاله من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها
الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وها
الدنيا إذا زاد المعاد ليتناول ما يصلح للترؤد فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعتل الفقه
ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فحست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان
إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا في
الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامة
أمرهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدين امرزعة الآخر
ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فهدوم و
لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالقوم كما
سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به فكذا
معرفة طريق السياسة فعلوم أن الحج لا يتم إلا بيزقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج ثم
وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان وللقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بهاشي ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيا
وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة وبدل على ذلك ما روى من
« لا يخفى الناس إلا ثلاثة أمير أو أمور أو متكلف (٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون وللأمر
نائبه والتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك المهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم
يعتزلون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يعتزلون إذا سئلوا عن
القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل التكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غ
متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحا
والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربيع العبادات من الصيام والصلاة
فما يشتمل عليه ربيع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه
الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقا

كتاب الاحياء كل فصل
وحرف منه وأعادوه
وأقربه فيظهر لي منه
في كل يوم علوم وأسرار
عظيمة ومفاهيم
غزيرة غير التي قبلها
ولم يسبقه أحد ولم يلحقه
أحد أننى على كتاب
الاحياء بما أننى عليه
ودعا الناس بقوله وفعله
إليه وحث على التزام
مطالعة والعمل بما فيه
ومن كلامه رضى الله
عنه : عليكم يا إخواني
بتأدية الكتاب
والسنة أعنى التسمية
للمروحة في الكتب
الغزالية خصوصا
كتاب ذكر اللوت
وكتاب الفقر والزهد
وكتاب التوبة
وكتاب رياضة النفس
ومن كلامه : عليكم
بالكتاب والسنة أولا
وآخرها وظاهرها وباطن
وفكرها واعتبارها
واعتمادها وشرح
الكتاب والسنة
مستوفى في كتاب إحياء
علوم الدين للامام
حجة الاسلام الغزالي
رحمه الله ونفعنا به ومن
كلامه وبعد فليس
لنا طريق ومنهاج

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أى لا يعنى الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث
عبد الله بن عمر مرفوعاً أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة وابن جابر والدارقطني والحاكم والبيه
ومحمد بن حنبل حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأ
الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يخفى الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمر
ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد للصنفين وبقية
المجتهدين حجة الإسلام
الغزالي في كتابه العظيم
الشان للقلب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذي هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليكم
بملزمة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطالعه
وعمل بما فيه قد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأنبيائه
وأوليائه وجمع بين
التسوية والطريقة
والحقيقة في الدنيا
والآخرة وصار عالماً
في الملك واللكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزير لوبش الله للوني
لما أوصوا الأحياء
إلا بما في الإحياء .
ومن كلامه اعلوا أن
مطالعة الأحياء تحضر
القلب التأمل في لحظة
كحضور سواد الخبر
بوقسوع الزاج في
النفص والساء وتأثير

فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر . أما
الإسلام فيشكك الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا
شقت عن قلبي » (١) « للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف يمتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تصمم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » (٢) « جعل أثر
ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالأخاض في الكلام والطب وكان خارجاً عنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما
أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
واقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يترفض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرًا حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف
القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً للزكاة فعكى ذلك لأبي حنيفة رحمه
الله فقال ذلك من قهقهه وصدق فإن ذلك من قهقهه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية
الشهادة والقضاي والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من
الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » (٣) « وقال صلى
الله عليه وسلم « الائم حزاز القلوب » (٤) . الثالثة ورع للتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه
أذاؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مجابهة
بأس » (٥) « وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للؤدى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع
الصديقين وهو الاعتراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يندرج في العدالة والقيام بذلك لا يفتي الائم

(١) حديث هلا شقت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث
الائم حزاز القلوب البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفاً
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اصة « استفت قلبك وإن أقنوك وإن أقنوك وإن أقنوك (١) »
والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فلاذن جميع نظر الفقيه
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكأن يدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا
ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر والامان
والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإعنا العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب
أبضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع
المسلمين .. فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه
أحد من السالكين طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للرضى وم
الأقارب . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه ينظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال
الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة للنجاة في الآخرة
وللذموم يصدر من الذموم وليس غنى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فانشؤها صفاء في
المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه
وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل على علم
طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قبان : علم مكاشفة
وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الحاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه
لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان
محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينسكركه أنه
لا يندوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والقربين أعنى علم الكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته
من صفاته الذمومة وينكشف من ذلك النور أمرر كثيرة كان يسمع من قبل أمعاءها فيتوهم لها معاني
مجهلة غير متضعة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات
التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه تربيته للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والسايطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان
وكيفية ظهور تلك الأنبياء وحكيمة وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والسايطين فيه ومعرفة الفرق بين ملك للملك ولما للشيطان
ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسياء - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة لى الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أقنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل بالى كلامه تأمل .

كتب الغزالي واضح
ظاهر مجرب عند كل
مؤمن ومن كلامه
أجمع العلماء العارفون
بالله على أنه لا شيء
أنفع للقلب وأقرب
إلى رضا الرب من
متابعة حجة الاسلام
الغزالي ومحبة كتبه
فان يكتب الإمام
الغزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب للمقول
والمقول واقه وكيل على
ما أقول . ومن كلامه
أنا أشهد سرا وعلاية
أن من طالع كتاب
إحياء علوم الدين فهو
من المهتدين ، ومن
كلامه من أراد طريق
الله وطريق رسول الله
وطريق العارفين بالله
وطريق العلماء بالله
أهل الظاهر والباطن
فليه بمطالعة كتب
الغزالي خصوصا إحياء
علوم الدين فهو البحر
المحيط . ومن كلامه
اشهدوا على أن من
وقع على كتاب الغزالي
قد وقع على عين
الشريعة والطريقة
والحقيقة . ومن كلامه
من أراد طريق الله
ورسوله ورسائله فليحبه

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة اللائحة الأولى ومقارنة اللائحة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى السكوكب الدرر في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بمدا التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعدّه الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها للمفهوم من الفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدث معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر مبيع بصير متكلم فنفى بلم المكاشفة أن يرتفع العطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى البيان الذي لا يشك فيه وهذا يمكن في جواهر الإنسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدوها وخيبتها بقاذورات الدنيا وانما نفى بلم طريق الآخرة العلم بكيفية تفصيل هذه الآراء عن هذه الحقائق التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تفسد في الكتب ولا يتحدّث بها من أنتم الله عليه بشئ منها إلا مع أهله وهو الشاركة فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحفي الذي أراد صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة السكون لا يله إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاعتقاد بالله تعالى فلا تحمقوا علماً أناه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يهقره إذ آناه إياه (١) ». وأما القسم الثاني : وهو علم العاملة فهو علم أحوال القلب . أما ما يعمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والتقانة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، لمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وتثمرها وعلامتها ومعالجة ما ضف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يندم غفوف الفقر وسخط القدر والقل والحمد والفض وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والحيلاء والتنافس واللباهة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بميوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها القل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان الملاينة على عداوة السر والأمن من محكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والانتكال على الطاعة والكر والحيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلقين والوحشة لفرارهم والجفاء والطيش والمجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش وضياب الأعمال المظتورة . وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع

بمطالعة كتب الغزالي وخصوصاً البحر المحيط إحياءه المحبوبة الزمان ومن كلامه نطق معاني معنوى القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح اللائحة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملازمة بل جميع سر حقائق الكائنات والمقولات وما يناسب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون أن لا شئ أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب إلى رضا الرب ككتابة الغزالي وعجبة كتبه وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة بل قلب العقول والنقول وأنفع يوم ينفع إسرائيل في الصور وفي يوم تهر الناقدور والله وحكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا إلا امتاع القروور ومن كلامه كتاب إحياء علوم الدين فيه

(١) حديث إن من العلم كهيئة السكون الحديث أبو عبد الرحمن السلي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها ونماذجها وعلاجها هو علم الآخر وهو فرض عين في خوى علماء الآخرة فالمرضى عنها هالك بسطوة ملك للوكة في الآخرة كما أُر للعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم خوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة إلى صلاح الآخرة ولوسئل ققيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سأته من اللعان والظهار والسبق والري لسرد عليك مجملات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تزل البه عن يقو بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والتهطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليها كثيراً من فروض الكفايات فكأن من بركة ليس فيها طبيب إلا من أهل القمة ولا يجوز قبول شهادتها فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحداً يشتغل به ويتأثرون على علم الفقه لأسباب الخلافات والجدليات والبه مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرضى فقهاء الدين في الاحتفال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإعمال مالا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتعلم القضاء والحكومات والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتلييس العلماء السوء فافقه تعالى للسمان وإليه للاذني أن يبيدنا من هذا الضرور الذي يسطح الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بغفل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيان الراعي كما يجلس الصوفي للكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما أخفناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف السرخسي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما وكاناً يسأله أن وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجملوه شوري بينهم (١) » وذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض ولللك وعلماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيعي يوماً إذا قلت من عندي لمن تجالس قلت المجالس قال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على التكمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطب نفسه . فان قلت فلم لم يورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مدمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها القرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة لمنسومة وهي من البدع كما سيأتي يانهو إما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل اللقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات ترددها الطباع وتجبها الأصماع وبضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكيفية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبت جماعة لفقوا لها شها وربوا فيها

(١) حديث قيل له كيف تفعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط للمستقيم وكتاب منهاج العابد في الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه الثور . ومن كلامه السركه في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالي ومن كلامه نجح نجح لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من التناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله اليندروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

عبد الله في الغزالي
وصيته [الجواهر
التلالي] خصوصاً من
كلام الشيخ عبد الله
في الغزالي فلم يتيسر
له وأرجو أن يوفقني
الله لذلك تحقيقاً لرجائه
ورجاء أن يتناولني
دعاء الشيخ عبد الله
رضي الله عنه فإنه قال
غفر الله لمن يكتب
كلامي في الغزالي
وناهيك بيشارة في هذه
العبارة التي برزت
من ولي عارف وقطب
مكاشف لا يحازف في
مقال ولا ينطق إلا عن
حال وفي هذا من
الشرف للغزالي وكتبه
ملايحتاج معه إلى
مزيد - إن في ذلك
قد كرى لمن كان له
قلب وألقى السمع وهو
شديد - فان العظيم
لا يعظم في عينه
إلا عظيم ولا يعرف
الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل وإذا
تصدى العبدروس
لتعريفه فقد أغنى
تعريفه عن كل
تعريف ووصف
والشهادة منه خير
من شهادة ألف ألف

كلما مؤلفاً فصار ذلك المنور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر
الذي يقابل به المنتفع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سند ذكره في الباب الذي يلي
هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كاسبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة
فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لئلا يهتدى بهما إلى علوم مذمومة
عن شاطئ التهر خيفة عليه من الوقوع في التهر وكإيصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
خوفاً عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحد وشروطه وهذا دخلاً في علم الكلام . والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا
بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من التكميين ،
وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف
للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام
وخواصها وكيفية استحداثها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك
ولكن للعلم فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار
من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن غيالات البدعة وإنما حدث ذلك
بمحدث البدع كحدث حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لوترك
المنتفع هدياته لما اقتصر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم التكميم حده
من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة
الحاج والتكميم إذا تجرد للمناظرة والدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشغل بتعهد القلب وصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً وليس عند التكميم من الدين إلا العقيدة التي يشارك فيها سائر العوام
وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العوام بصناعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله
تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم للكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون
الكلام حجاباً عليه ومائلاً عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فان قلت قد رددت
حد التكميم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش البدعة كما أن حد البذرقة حراسة ألقسة الحجيج
عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل
العدوان عن بعض وهاتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة للشهورون بالفضل
هم الفقهاء والتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة
بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في مناهات الضلال فاعرف الحق
تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قمت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات
الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلماء منصفهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم
وأهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقديمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة
وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكرة صيام ولا صلاة ولا بكرة رواية ولا قوى

ولا كلام ولكن بشيء وقرئ صدره (١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصه في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس على تفضيحه وتعتيجه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في أحد بحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلاً ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالنا لا نعصر على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجد وضرب صيفاً بالدرّة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عندنا شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسم والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو للهلاك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالتفقه والتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد اتسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقواه وذو عن سنة نبه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعمل بعلمهم ولأرادتهم وجه الله سبحانه بفتوهم ونظرهم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل علم علماً والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث إنه عامل سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً لأمه حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم الكاشفة وعمل مجرد وهو كمد السلطان مثلاً وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً فانظر إلى نفسك أنتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عماله الله تعالى أو حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يفتيك عن زحل

على أناس نقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين اتحلوا مذاهبهم ظلموم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فاتهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخر كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فاتهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلوم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقايين بعلوم الفتوى والصوفاء والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذي الحكيم النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعاً .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ علياً قراءته فقرأ عليه مدة حياته خمساً وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ علياً ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضاً خمساً وعشرين مرة وكان ولده سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن ألزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الإحياء أبداً ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم متحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعين الذين أكثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وقبها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشمير والبالغة في تفاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الحصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمرها لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهبات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحاصل الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل لما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت لئانة آية وكان لا يمر بآية راحة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تموز فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شيعت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع يشغل البدن ويضي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشيع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التبعيد لتليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسألة فسكت فقيل له ألا تحبب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل في سكوتي أوفى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبينما إذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال زهوا أسمعكم عن استماع الحنا كما تزهون السنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بشرة آلاف درهم فغضب له خبايا في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما يرجع من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحماني مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاوة لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فغشى على الشافعي فقبل له قد مات فقال إن مات
 قد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً تذاكر
 العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه
 خرجت أنا وهو والحريث بن ليث إلى الصفا وكان الحريث تلميذاً لصالح للري فافتتح يقرأ وكان حسن
 الصوت قرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي
 رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول
 أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
 رقاب المشتاقين إلهي هب لي جودك وجللي بسترى واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى
 وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فعمدت على الشط أتوصلاً للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي
 يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت
 في وضوئي وجعلت أتقو أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة قلت نعم تملني مما علمك الله شيئاً
 فقال لي أعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت
 عينه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال قد
 استكمل الإيمان من أمر بالمعروف واتمى عن المنكر واتمى وحافظ على حدود الله تعالى
 ألا أزيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع
 الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
 ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله
 من عباده العلماء - ولم يستغف الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر
 كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذا حكم الأولين والآخرين مودعة
 فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم للأئمة عنه . روى أنه سئل عن
 الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عمدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
 اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب
 فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء
 تذكر فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الحصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
 الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه
 عمله . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له حجب ومبغض فإذا
 كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً
 ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
 للشافعي يوماً أفضّل الصبر أو المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر ممكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
 ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه
 السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليعوسف
 في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنته الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
 الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين
 إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون
 الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

وسر نفس مصنفه
 وحسن قصده والراد
 بالكافر هنا فيما يظهر
 الجاهل بصيوب النفس
 المحجوب عن إدراك
 الحق أي فيمجرد
 مطالعته لا بكتاب
 للذكور يشرح الله
 صدره وينور قلبه
 وذلك لأن الوعظ إذا
 صدر عن قلب متعظ
 كان حرياً أن يتعظ به
 سامعه وكان الله تعالى
 جعل لعباده الذين
 لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون رتبة فوق
 غيرهم كذلك جعل
 لما يبرز منهم ويؤخذ
 عنهم بركة رائدة على
 غيره لأن السنتهم كريمة
 وأنوار قلوبهم عظيمة
 وهمهم عليه وإشاراتهم
 صافية حتى يكون للقرآن
 أثر عظيم عند صماغه
 منهم وللأحاديث بهجة
 وجلالة زائدة إذا
 أخذت عنهم وللمواعظ
 منهم تأثير في القلوب
 ظاهروا لعلومهم وقمهم
 أنوار ونفع متظاهروا
 حتى تجد الرجل له العلم
 القليل وبعد ذلك
 ينتفع به كثير لحسن
 نفسه ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجد أنه أمراً ظاهراً مأموراً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتبنيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتحقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الإيمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب. قلت ونما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجاليوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجهمة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتتمكن حديثه لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وودت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كتبت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويصان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كتبت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقطت من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوله وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعاؤه له قاله ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوله كل هذا الدعاء فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالغاية للناس فانظر هل لهن من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد يده بحبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله من وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب قلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم القدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضا متجليا بهذه الحاصلات الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزومه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمسك من الجاوس على وقار وهيبة ثم حدث قتيلا في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدال في الدين ليس شيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إنني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لأدري ومن رد غير وجه الله تعالى يعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحدا من على من مالك . وروى أن أبا جعفر النصور منعه من رواية الحديث في طلاق الكرم ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضر به بالباطل ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا متع بقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخص قال مالك رحمه الله

ينبغي أن نخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللوطا كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس .
القرآن فقال له أما حمل الناس على اللوطا فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و .
اقرعوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلافاً .
رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للدينة خير لهم لو كانوا
يملكون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبئها كما ينفي الكبر خبئ الحديد (٣) » وهذه دنانير
كما هي إن شتمت غزوها وإن شتمت فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطفتني إلى فلا أؤ
الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأمور
الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زه
وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد للال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام
ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب ما
كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه قلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو ذا
مضى إليك يا أبا عبد الله قلت دع لنفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة
نبي الله صلى الله عليه وسلم بخافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توبة
لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت
مروان الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى نسمع صياحنا منك اللوطا قال قلت أ
الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فان أتم عززتموه عز وإن أتم أذلتموه ذل والعد
يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله
فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجهه الله تعالى يعلمه فأما كونه عا
فيرى بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله مروة وكثرة صلاة . وروى
حماد بن أبي سليمان أنه كان يحكي الليل كله . وروى أنه كان يحكي نصف الليل ثم يوافق طريق فأد
إليه إنسان وهو يحكي فقال لآخر هذا هو الذي يحكي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحكي الليل كله و
أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع
ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة قدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على
للال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل المذاب . قال الحكم
هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على
يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذ
أبو حنيفة عند ابن المبارك قال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخداقها فقرمها . وروى
محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور
بشرة آلاف درهم قال فلا رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الله
ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رجول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض
حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضموا المال في هذا الجراب في زاوية الب

(١) حديث اختلاف أمي رحمه ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسند في الدخول من حد
ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمه واسناده ضعيف (٢) حديث للدينة خير لهم لو كانوا يعلم
متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث للدينة تنفي خبئها الحديث متفق عليه
حديث أبي هريرة .

أخى اتقه والزم سلوك
الطرائق
وسارع إلى اللوى بمجد
وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب
وسنة
وقانون قلب القلب بحر
الرفائق
وإيضاح منهج للحقيقة
مشرق
وشرب حياصفو راح
الحقائق
وإجلال أذكار المعاني
ضواحا
يا هاج حسن جذاب
للخلائق
عليك بأحياء العلوم
ولها
وأسرارها كم قد حوى
من دقائق
وكم من لطيفات لدى
اللب منهل
وكم من مليحات سبت
لب حاذق
كتاب جليل لم تصنف
قبله
ولا بعده مثل له في
الطرائق
فكم من بديع اللفظ
يجل مرثا
وكم من خموس في حماه
شوارق
معانيه أنصت كالبدور
سواطحا

على درّ لفظ المعاني
مطابق
وكم من عزيزات زهت
في قبائها
محبة عن غير كفه
مسابق
وكم من لطيف مع بديع
ونعفة
حلاوتها كالشهد نعلو
لذائق
بساتين عرفان وروص
لطائف
وجنة أنواع العلوم
القوائق
رعى الله صبارا معاني
جناتها
يروح ويفسدين
تلك الحقائق
وبقطف من ذاك
جناها فواكها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجرين
وأقبل على تلك المعاني
وعائق
وراجع طرفا في بديع
جمالها
وطف حياها منعدا
كل سابق

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفتنوني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديتلك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شجاعا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصليح لهذا فقل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصليح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء والامان أو يثمرها علم آخر أعم وأشرف منه وانظر إلى الدين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حساية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص السحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستمانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص السحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمنومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع ولما من أولياء الله ليقته وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن عمله لم يحز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قيمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

تري في بدور الحى
أقار قد بدت
بألى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم
قتمت عى
وكم قدصت في غربها
والشارق
فيضى براح الحب
سكران مفرما
أصم عن المذال غير
موافق
وعسى يناديها طريقا
يأبها
منعم عيش في الربوع
الفنادق
صلاة على سر الوجود
شفيعا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل الكارم
والعلا
وعثرته وراث علم
الحقائق
[فصل] وأما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك المواضع
لمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
للمسمى (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

عاد كالمرجون القديم . . . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو
يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لجارى سنة الله تعالى وعادته
في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت
النجوم فأمسكوا وإذا ذكرت أمماني فأمسكوا » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمي بعدى
ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا
من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما جرعته من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر
بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في توهمهم أن الكواكب
هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية وعظم وقعها في القلوب فينبغ القلب ملتفتا إليها
ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهة ما وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف بمصر
نظره على الوصائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه
وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال الخلعة لو خلق لها عقل
وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها
إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر للريد
ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من
الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس
يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل
لا من حيث إنه علم فلهذا كان ذلك معجزة لا دريس عليه السلام فيها عجي وقد اندرس وأمنحى ذلك العلم وأمنحى
وما يتفق من إصابة النجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل للسبب عقيبها إلا
بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقعت
الاصابة وإن لم يقدر خطأ ويكون ذلك كتحمين الانسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى القيم
يجمع وينبث من الجبال فتتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب القيم وربما يكون
بخلافه ومجرد القيم ليس كافيا في عجم المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة
تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب
في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقول أحواله
أنه خوض في فضول لا ينفى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الحسرة ان
« قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة
فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم
« إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبه اقتحام خطر
وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة
ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من

- (١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي عجب
باسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا
رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم
آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

النوبة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الحائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كفى الناس عن البحث عنها ووردهم إلى مناطق به الشرع ففي ذلك مقنع للوقوف فكم من شخص خاض في العلوم واستغنى بها ولولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل يضر شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لاتلد فحس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستمتوتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنفس عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لاتأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته ميمنة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لاتمزل إلا بخوف الموت غرقها بذلك حتى هزلت وزال السانع من الولادة فهذا ينهك على استعمار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع »^(١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بخائنا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضى الله عنهم واتصروا على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجاج برأيك ومعقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أتى أبحت عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعد ما من لا يعرفها فيكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك فترك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطفى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كأن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب الفناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب وتقايتها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وترضاها لصفاته فضلها أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكأن القول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإعسا كانت التجربة تطرق إليها لورجح إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة القريبة إلى الله تعالى زلنى وعن الأعمال البعيدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ نعوذوا وقد تقدم .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقبها وقرب لك مقامات الأولياء تحمل معاليها عن بعض ما وقع في الاسلام للقلب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفكر به من الحظوظ للملك قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الظنم وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأنقوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابدته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيف عن التريفة واختلال إلى أن قال سكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر للمعرضين

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها بثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسماء محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشوع إطلاق هذه الأسماء عليهم . اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفريسة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تسقا فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأ فقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من التجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عديم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكما فقهاء (٣) » للذين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أقسه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار إلى عمرة الفقه والتقوى عمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم ينظ الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقائي وزيد

بما يرجع حاصلها إلى الحمد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حججوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاصرار ومحنة الدنيا واطهار الدعوى ثم بين ما ورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمنه أخبارا وأثارا موضوعا أو ضعيفا واكتاره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه للتورع للواقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن النزالي ومن المهين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره النزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواء عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيها ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود ومن حديث بريدة وفي اسناده من مجهول (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكما فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

الغبرى وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نضعه فذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا تنقها فسمى تدبر القرآن وعدنا نعم تنقها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه البديل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضى الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخى الحبسى عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله شككتك أمك فريد وهل رأيت قهبا بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض السليين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبصار فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بعض الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل بصعير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متمرد فوجد الشيطان مجالس تحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقته حتى إنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فصرفه بالألف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهبوه في الأكثر بمن يشتغل بالمنظرة مع الحضور في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم اللذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الحضور والقدرة على التشديق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم بأنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعات يمكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للجميع وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم تصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضى وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني ضال لما أريد

(١) حديث لا يفقه البديل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبيد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسبأ في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن القلب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهلوا القلب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من النفاق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش للتدعة . والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفردها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه قد أخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »^(١) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس بعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آتائه فيتبع ذلك الميل ويميل النفس إلى اللذات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وهو أول كذب يفتاح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجها إليه ، تعالى عن أن تجده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب للتعبده فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمضى وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالوحيد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان وإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر »^(٢) وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا إلى بيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم »^(٣) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

- (١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتقوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم نسيارة.

مصنفاته إلى الغرب أمر سلطانه على بن يوسف بإحراقها توهمه اشتغالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلا .

[خاتمة في الإشارة إلى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنا به ونقنها بعلومه وأسراره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد النزالى الطوسى النيسابورى الفقيه الصوفى الشافعى الأشعرى الذى انتشر فضله فى الآفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر فى حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأصعب فى جزالة العبارة وسهولتها

وحسن الإشارة وكشف
 المضلات والتبخر في
 أصناف العلوم فروجها
 وأصولها ورسومها
 القسمة في مقولها
 ومقولها والتحكم
 والاستيلاء على إجمالها
 وتفصيلها مع ما خسه
 الله به من الحكمة
 وحسن السيرة
 والاستقامة والزهدة
 والعزوف عن زهية
 الدنيا والاعراض عن
 الجهات القانية
 والطراح الحشمة
 والتكلف قال الحافظ
 العلامة ابن عساكر
 والشيخ غيف الدين
 عبد الله بن أسعد
 اليافعي والفقير جمال
 الدين عبد الرحيم
 الأسنوي رحمهم الله
 تعالى ولد الامام الغزالي
 بطوس سنة خمسين
 وأربعمائة وابتدأ بها
 في صباه بطرف من
 الققه ثم قدم نيسابور
 ولزم دروس إمام
 الحرمين وجد واجتهد
 حتى تخرج في مدة
 قريبة وصار أنظر أهل
 زمانه وأوحد أقرانه
 وجلس للأقران وإرشاد
 الطلبة في أيام إمام

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير القصص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنة نأت في كذب أنا الأعمش وما حدثت بك وقال أحمد أكثر الناس كذباً القصص والسؤال ، وأخرج على رضي الله عنه القصص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كانت يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بالله الله ونعماته وتقدير العبد في شكره ويصرف حقارة الدنيا وعبوبها وتصرفها ونكت عيبتها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المأمود شرعا الذي يروى الحديث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله من قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالمعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس الله وقد أخذ الزخرفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم وتلقوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله ذكر المأمود واشتغلوا بالقصص التي تنطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع مماعه ومنها ما يضر وإن كان صدقاً ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضرار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فليست أرى به بأساً ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تسمى إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تعطى عليها فان العاصي يتصمم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمجد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض الشايخ وبعض الأكابر فكنا بصدد المعاصي فلا ضرر وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني وفيه ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المخلوطين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المأمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويؤمن أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من زغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غيبة عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد جمعه يسجع هذا الذي يفضلك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر
 بإسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في
 الباب الأول .

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة » (١) فكان السجع المذمور التكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من لا شرب ولا كل ولا صاح ولا استل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب » (٢) وأما الأشعار فتكثيرها في الواعظ مذموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علنناه الشعر وما ينبغي له - وأكثرا ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المشوق وروح الوصال وألم القراق والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور اللبقة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات فيزعمون ويتواجدون وأكثرت ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استمهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٣) ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرب معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجليل رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم قيل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص . وأما الشطح فعنى به صنفين من الكلام أحدهما بعض الصوفية . أحدهما الدعاوى الطويلة المريضة في العشق مع الله تعالى والوصال التي عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الانحداد وارتفاع الحجاب والشاهدة بالرؤية والشافهة بالحطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك اللقائات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يسجروا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله بما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه قتلته أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فقلعه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام رده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

وصنف وكان الامام يتبع به ويستد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطاً لرجال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالي فيها اضافات حسنة من مناظرة القهول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فصار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان ولترفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مشغلاً بأسباب التقوى وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا ابن جبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المنيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الثمائل حتى مرن على ذلك ثم هاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح المباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين وفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انحلع عنه من الجاه واللباهة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتعريف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسة خسة الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراها كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للفرز إلى ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خبط في عقله وتشويش في خياله لقلته إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلته ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجففس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله (٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلغى عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا محل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموكم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن الحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كمكادب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناها من مذاهبهم في كتاب المستظهرى للصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيذنب أن يلقى وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن في السحور بركة (٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره القول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كآبي جهل وأبى لهب وغيرها من الكفار وليس من جنس الشياطين واللائكة مما لم يدرك بالهس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا (٤) » واهلوا إلى الغذاء المبارك (٥) فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرىاء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على طي ورفعه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور ورواه البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان .

بالتواتر والحس بطلانها نقلاً وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا تتعلق بها الاحساس فكذلك حرام وضلالة وإفساد الدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسد القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار »^(١) معنى إلا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقريراً وتحقيقاً فيستجر شهادة القرآن إليه ويعمله عليه من غير أن يشهد لتزييله عليه دلالة لفظية لغوية أو عقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيه عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه « اللهم قف في الدين وعلقه التأويل »^(٢) ومرو يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد به دعوة الخلق إلى الخلق بضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليقبوا مقعده من النار »^(٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطلات للغة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكيفية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسماء فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر وذلك بالتفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هو التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير كثيراً - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خيراً له من الدنيا وما فيها »^(٤) فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراض بتليسات علماء السوء فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أي وقال اللهم اغفر حق كرروا عليه فقال هم علماء السوء »^(٥) فقد عرفت العلم المحمود والذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليقبوا مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم قف في الدين وعلقه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلقه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث من كذب على متعمداً فليقبوا مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خيراً له من الدنيا تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أي وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو ضعيف ورواه البراز في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

الشيخ السيد العمودي
ضعف الله به وذكر
الشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أحمد
الباقي رحمه الله تعالى
بإسناده الثابت إلى
الشيخ الكبير القطب
الرباني عهاب الدين
أحمد الصياد اليمني
الريدي وكان معاصراً
لفزالي ضع الله بهما قال
بينما أنا ذات يوم قاعد
إذ نظرت إلى أبواب
السماء مفتحة وإذا
عصبة من الملائكة
الكرام قد نزلوا معهم
خلع خضر ومركوب
قيم فوق قواطي قبر
من القبور وأخرجوا
صاحبه وألبسوه الخلع
وأركبوه وصعدوا به
من سماء إلى سماء إلى
أن جاوز السموات
السبع وخرق بعدها
ستين حجاباً ولا أعلم
أين بلغ انتهاء فسألت
عنه فقيل لي هذا الإمام
الفزالي وكان ذلك
عقيب موته رحمه
الله تعالى ورأى في
اليوم السيد الجليل
أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم وقد

بإي موسى وهيسى
عليهما الصلاة والسلام
بالامام الغزالي وقال
أنى أمتكأ حبر كهذا
قال لا وكان الشيخ
أبو الحسن رضى الله
عنه يقول لأصحابه
من كانت له منكم إلى
الله حاجة فليتوسل
بالغزالي وقال جماعة
من العلماء رضى الله
عنهم منهم الشيخ
الامام الحافظ ابن
عساكر فى الحديث
الوارد عن النبي صلى
الله عليه وسلم فى أن
الله تعالى يحدث لهذه
الأمّة من يجد لها دينها
على رأس كل مائة سنة
أنه كان على رأس
المائة الأولى عمر بن
عبد العزيز رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الثانية الامام الشافى
رضى الله عنه وعلى
رأس المائة الثالثة
الامام أبو الحسن
الأشعرى رضى الله
عنه وعلى رأس المائة
الرابعة أبو بكر
الباقلانى رضى الله عنه
وعلى رأس المائة
الخامسة أبو حامد
الغزالي رضى الله عنه

وإليك الحيرة فى أن تتظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبّه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ، قليل ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسدته الناس من سنن والدين يحبون ما أماتوه من سنن (١) » وفى خبر آخر « هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم (٢) » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم فى الخلق أكثر من يجهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث عقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

(بيان القدر الممجد من العلوم الممودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليل وكثيره وقسم هو محمود قليل وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمده منه مقدار الكفاية ولا يعمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يعمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يعمد الاقتصاد فيه كبدل المال فإن القدير لا يعمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يعمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لافائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرق الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم الممجد إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللوصول به إلى سعادة الآخرة وبذل القدر فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والرأسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم للسكون الذى لا يسطرفى الكتب ويعين على التنبه للنعم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبّه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لافتحها سواها . وأما العلوم التى لا يعمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله السلك علم صفات القلب وما يعمد منها وما يذم إذ لا ينفع

(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتأمله عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم يقول فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإيهاها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون باخراج المادة بالقصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلاء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع ممارسها من القلب وإنما فرغ الأكتزون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستعصاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في اللواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم ينجز بك ذلك إلى التمامات الممودة المذكورة في ربيع النجيات لأعماله فإن القلب إذا فرغ من الذنوم امتلأ بالهمود والأرض إذا قويت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والراحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن مهلك نفسه فيها صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والقارب تحت ثيابه ومهت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجي مما يلاقيه من تلك الحيات والقارب إذا مهت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرا وقدرت على ترك ظاهر الآثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلوم القرآن من علم الناسخ والنسوخ والفصول والوصول والحكم والمشابه وكذلك في السننم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسب فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لقيس بها غيرها فلا تقتصر في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في القدر كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فلاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفى فيه بما تحمله عنك من قبلك ولاك أن تقول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصيله تحصيل لا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسيقم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فلاقتصار فيه على ما يحويه مختصر للزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فقصدوه حماية المعتقدات التى قلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومنافى رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلصة فى الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها وله فى أصول الفقه المستقصى والنحول والمتحل فى علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والفتنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار وللنقد من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التاويل فى تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب مناجى العابدين والذرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس فى الوحدة وكتاب القرية إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاة من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب القصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطن للستقيم
وكتاب التفرقة بين
الإسلام والزندقة
وكتاب الذريعة إلى
مكارم الشريعة وكتاب
للبادئ والنايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبس إبليس وكتاب
نصيحة للولك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
اللدنية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
للاخذ وكتاب القول
الجليل في الرد على من
غير الإنجيل وكتاب
للسظهري وكتاب
الأمالي وكتاب في علم
أعداد الوفق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاتصار منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاصي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما
للمبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً قلما ينفع معه الكلام فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العاصي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثل قبل أن يشتد التعصب
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار
فتنبه منهم الدعوى بالكفاة والمقابلة والعاملة وتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلو لا في معرض
التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يمتثل الأتباع مثل
التعصب والتمسك والشم للخصوم اتخذا التعصب عادتهم وآتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
السلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التي أحدثت في
هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يسهل مثلها في السلف
فياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الهاء المضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى
طلب النافسة واللباهة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
فيقال الناس أعداء ماجهولوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصميهاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألمهم الله رشده وأطلمه على عيه فمجره
واشتغل بنفسه فلا يترك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا يعلم الخلاف فان
علل للذهب المذكورة في للذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذي
يشهد له حدس الفقه إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمسكه على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمتعضيات الجدل وجبن عن الاذعان لدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتمثل بأنه يطلب علل المذهب وقد يتقضى عليه العمر ولا
تصرف همه إلى علم المذهب فكان من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التبع في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والمرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما
بينك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفع فيها ، وقال
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث « ماضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) » ثم قرأ سماضربوه ملك إلا جديلاً بل هم قوم خصمون -
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين غنم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذي وابن ماجه من حديث أبي
أمامة قال الترمذي حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروهم^(١) وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يفلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل^(٢) » وفي الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الحصم^(٣) » وفي الخبر « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل^(٤) » والله أعلم .

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات للناظرة والجدل وشروط إباحته)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولها الخلفاء الراشدون للهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامهم وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ففرض العلماء لعل الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تسئل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على ممت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلاات منهم ففهم من حرم ومنهم من أتيح والنجاح لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالأقبال عليهم إلا من وقفه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعملت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الحوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية القضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانشأوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف وجزء في الرد على النكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة . وقال يمدحه تلميذه الشيخ الإمام أبو العباس الأتليشي المحدث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب : أيا حامد أنت المخلص بالمجد

وأنت الذي علتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء تحي نفوسنا

وتقذرتنا من طاعة النازغ الردي

فربيع عبادات وعاداته التي

يعاقبها كالدرد نظم في العقد

ونالها في المهلكات وأنه

لمسج من المهلك المبرح والبعث

ورابعها في المنجيات وأنه

ليسرح بالأرواح في جنة الخلد

ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر

ومنها صلاح للقلوب من الجهد

ورتبوا فيها أنواع المجلدات والتصنيفات وهم مستمرين عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث
الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولومالت
نقوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لئلا يوا أيضا معهم
ولم يسكتوا عن التملل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .
(بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن فرضنا من المناظرات للباحث عن الحق ليتضح
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجدة والاخوة وحد شرب الخمر وجوب الغرم على
الإمام إذا أخطأ كما قل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما قل من مسائل
الفرائض وغيرها وما قل عن الشافعي وأحمد وعبد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل : وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
من فروض الأيمان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
ككذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول فرضي أستعورة
من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد وديعة في الحال قمام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من الناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
لحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة
وفي البلد فروض كفايات مهجلة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض
المهجلة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم ونحو الملك في صفاركم والفق في أراذلكم » (١)
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمنذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
باسناد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجوز له أن يتركه فأى فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى الناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ماتوا ورأوا إلا في ما تجد من الوقائع أو ما يظن وقوعه كالقرائض ولا ترى الناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكترو وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدركا للحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة في الخلوّة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فان الخلوّة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يناد في قوس الاحتياك مزعا حتى يكون هو التخصيص بالكلام . السادس أن يكون في طلب الحق كناشدا ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدمن يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا صرفه الخطأ وأظهر له الحق كالأخذ طريقا في طلب ضالته فبها صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الجبرين أنظر كم وذلك لماسئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود أنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يغجل به وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق . السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل البتة فيها له وعليه كقوله هذا لا يلزمي ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

للمدة فابتدرت لأجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك قللت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه وملمتعا إليه اعلوا أحسن الله إرشادكم وألان إلى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الخلق في الأديان والمثل ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ضيق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنقوان شباني مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الحسين أقنعت لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتفحص كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل محق
ومبطل ومستن
ومبتدع لأنقاد باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنيته ولا ظاهريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهرته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متكلما إلا وأجهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على العثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا إلا
وأجسس وراءه للتعنه
لأسباب جرائمه في
تعطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى درك
حقائق الأمور دأبي
وديدني من أول
أمرى وريهان عمرى
غريزة من الله وفطرة
وضعه الله في جيلتي
لاباختياري وحيلى
حتى انحلت عنى رابطة
التقليد وانكسرت
عننى العقائد المروية
على قرب عهد منى
بالصبا إذ رأيت صبيان

ترى أن جميع المجالس تنقضى في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة بظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معمل بهذه العلة فيقول هذا ما ظم لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصير المترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمى ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المترض على أنه لا يلزمه ويتوخي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضميئا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم لثبوت قوله لا يلزمى أى في شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشبه والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم علمعا في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مسام للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لما غسه فيه من ظلمات الآفات التى تعددها ونذكر تفاصيلها ففسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد البهاة والمارة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتركية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والبهاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهييج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيج به المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فنادام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايبون كما تتغايب التيوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفاه الله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيهما قصمته ^(٢) » ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والتعرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل النقي والمكار الحداغ منهم بأنه ينفي صيانة عز العلم « وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه ^(٣) » فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر للمقوت عند الله بعز الدين عزيفا للاسم وإسلا للخلق به كما فصل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحق فلا يكاد الناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحقود ^(٤) » وورد في ذم الحق ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضم حدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصفاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إظهار الحق وتريته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إirاده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انقرس في صدره حقد لا يقلمه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل اللثة ولا يزال الناظر مثابرا على كل اللثة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيها يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه وتقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لمرض من يعرض من كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والعلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء الناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا التفتن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتدحس مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردأى والعظمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردأوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذى ومحمه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بمحقود لم أصف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على التصبر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الإسلام ومممت الحديث للروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باطل إلى طلب الفطرة لأصلية وحقيقة المقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساتذيين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت في نفسى أولا إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لى أن العلم اليقين هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان التلط كالوهم ولا ينسجم العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لنقص مقارنته لو تحدى

وتخجله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فصاه يستر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويصد من لطائف التسبب ولا يتمتع عن الانصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين للمدودين من فحولهم ومنها القرح لمساء الناس والتم لمسارهم ومن لا يجب لأخيه السلم ما يجب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب البهاة باظهار الفضل يسره لاحالة ما يسوء أقرانه وأشكاله القدين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى الناظر إذا رأى منظرًا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتسامح في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمنهجه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب التلبة واللباهة هيئات هيات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق الناظرين ويرثك عن أخلاق المؤمنين والتقنين . ومنها اتفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم وعبيهم وأشياهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور وتفاق وفجور فانهم متوددون باللسنة متباغضون بالقلوب نموذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا باللسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواء الحسن وقد صرح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على للمارة فيه حتى إن أبغض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المحادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المارة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من أقرى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن أقرى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكناثر كاسياني في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات القواحي الباطنة سوى ما يتفق لغير التماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب والسك والظلم وتمزيق الثياب والأخذ باللحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

بالظلم بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهابا والصا ثمانا لم يورث ذلك شكوا وإمكانا فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أني ألقب هذه الصا ثمانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معنى منه إلا التعجب من حكيمة قدرته عليه وأما الشك فما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فقتحت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحيات والضروريات قتل الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهي الحيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأتبين أن يقيني بالحسوسات وأمانى من

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا باللسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجة من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن .

ليسوا معدودين في زمرة الناس للصبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا يفسكون عن هذه الحصال العشر ، نعم قد يسلّم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانعطاف عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله القارين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه المحتال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحسب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة واللباهة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالحيول والراكب والياب المخطورة والاستحقار للناس بالفقر والخيلاء والحوض فيما لا ينفي وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري الصلي منهم في صلاته ماصلى وما لا يدري يقرأ ومن الذي ينجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تبين في الناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تخصي والناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جل من مواد هذه الأخلاق وإنما غاية إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلوم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يحمل العالم بل يهلكه هلاك الأبدي أو يحية حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضربه مع أنه لم ينفعه وليته نجمانه رأساً برأس وهيئات هيئات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك للؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الملك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال . فإن قلت في الرخصة في الناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لو لاحب الرياسة لا ندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لو لا الوعد بالكثرة والصولجان واللعب بالمصايف مارغب الصبيان في المكاتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولو لاحب الرياسة لا ندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامهك نفسه وغيره وهم الصريحون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامهك نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامهك نفسه مسعدي غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد فرض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الحاصل لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع الهلكات ما ينفي عنك الريية فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات من جنس أمان الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان عتق لا يجوز فيه ولا غائله فأقبلت بمجديليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فأتى بعد طول التشكك إلى أنه لم تسمع نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت تنسج الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلوم الكلام فحصلته وعلقتنه وطالمت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علماً وإفياً بقصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

(الباب الخامس في آداب التعلم والعلم)

أما للتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر حمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة ^(١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما للمشركون نجس - تنبيه للمعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجواهر رأى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ^(٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابغة فأن تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة لا وكون بها وهم القدسون المطهرون البرؤون من الصفات الذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعمرن بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات الذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلوك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كإبري العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بسدد الانقلاب فصوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سمية ونجاسة إلى الروح السكية وهي السبعة . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشهوة إلى الدنيا والتكلم عليها والحرم على التزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالب على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحتمل كل شخص على صورته المعنوية « فيحترق الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشرة إلى أموالهم ذنبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد ^(٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فإن قلت كم من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم فهيات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
- (٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها
عشوة فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني بسبب
ميلها إلى المقام ومناذى
الإيمان ينادى الرحيل
الرجل فلم يبق من
العمر إلا القليل وبين
يديك السفر الطويل
وجميع ما أنت فيه من
العمل رياء وتغويل
وإن لم تستعد الآن
للآخرة فمق تستعد
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق فمق تقطعها
ففسد ذلك تنبث
الرغبة وينجزم الأمر
على الحرب والفرار ثم
يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة إياك
أن تطاوعها فاتها
سريعة الزوال وإن
أذعنت لها وترك هذا
الحاج الطويل المريض
والشأن العظيم الحالى
عن التكدير والتغيب
والأمر السالم الحيالى
عن منازعة الحصوم
ربما التفت إليك نفسك
ولا تيسر لك المعادة
فلم أزل أردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعى قريبا
من ستة أشهر أولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للمادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مسمومة قاتلة مهلكة وهلاكية
من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسممه من التزمين حديث يلقونه بالسنتهم مرة
ويردونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشنة لقوله تعالى - إنما يخشى الله من
عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم
لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا أنه أن العلم أبقى وامتنع علينا فلم تكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه
والفاظة . فان قلت إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في القروع والأصول وعدوا من
جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان
لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به
التقرب إلى الله تعالى وقد صبغت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .
الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويعمد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة
وصارفة - وما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحقائق
ولذلك قيل العلم لا يعطيك بضعه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إليك بضعه على خطر
والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بضعه واختطف الهواء بضعه فلا
يبقى منه ما يجمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلقى
إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدع لنصيبه إذ عاتب للريض الجاهل للطبيب للشفق
الحاذق وينبئ أن يتواضع لعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت
على جنازة فقربت إليه بعثته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء قبل زيد
ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على العلم ومن
تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من الرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم
سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرا من سبع صار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب
مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة
المؤمن يفتنهما حيث يظهر بها ويتخذ النمل من ساقها إليه كائنا من كان فلذلك قيل :

العلم حرب للفسق للتعالي كالسيل حرب للكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع
وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول
المنة فليكن التعلم لعله كأرض دمنة بالت مطرا غزيرا فتشرب جميع أجزائها وأذعنت بالكلية
لقبوله ومهما أشار عليه العلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني
والحاكم والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا هكذا فعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم
(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة
بإسنادين ضعيفين .

وثمانين وأربعمائة وفي
هذا الشهر جاوز الأمر
حد الاختيار إلى
الاضطرار إذ قل الله
على لساني حتى اعتقل
عن التدريس فكنت
أجاهد نفسي أن أدرس
يوما واحدا تطيبا
للقلوب المختلفة إلى
فكان لا ينطق لساني
بكلمة ولا أستطيعها
ألبنة حتى أورت هذه
العقلة في اللسان حزنا
في القلب بطلت به قوة
الهضم ومرى الطعام
والشراب وكان
لا تنفس لي شربة ولا
تنهض لي لقمة وتمدى
ذلك إلى ضعف القوى
حتى قطع الأطباء
طمعهم في العلاج وقالوا
هذا أمر نزل بالقلب
ومنه سرى إلى المزاج
فلا سبيل إليه بالعلاج
إلا بأن يروح السر
عن الهم الهم ثم لما
أحسست بعجزى
وسقط بالكلية
اختياري التجأت إلى
الله التجاء المضطر الذي
لا حيلة له فأجاني الذي
يجيب المضطر إذا دعاه
وسهل على قلبي
الاعراض عن المال

والجاء والأهل والأولاد وأظهرت غرض الخروج إلى مكة وأنا أدبر في نفسى سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضى في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعودها أبدا واستهزأني أئمة العراق كافة إذ لم يكن فيه من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا إذ ظنوا أن ذلك هو النصب الأعلى في الدين فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات فظن من بعد عن العراق أن ذلك كان الاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجأهم في التعلق بالانكار على وإعراضهم عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر سماوى ليس له سبب إلا عين أمصت أهل الاسلام وزمرة العلم فزارت بغداد وفارقت

في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نعمها فكم من مريض محروور بمالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لاجرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الحضرة وموسى عليهما السلام حيث قال الحضرة - إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال - فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مرادته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليهما لا خفاقا والحسرة أن . فان قلت فقد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال بالمأمور به . فاعلم أنه كذلك ولكن فيما ياذن للمعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم وقد لك منع الحضرة موسى عليه السلام من السؤال أى دع السؤال قبل أو انه فاعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف والمعلم يدخل أو ان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أو ان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا يتكبر عليه بالسؤال ولا تقتته في الجواب ولا تلج عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تغشى له سرا ولا تقتاتن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرتة عليك أن توقره وتعلمه فله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحتز الحائض في العلم في بدء الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويغير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادتته تقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يمد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع الحديث المهدى بالاسلام عن مخالطة الكفار ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار وينذب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار صديقا ومن رأى في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن روائب الفرائض فيتراءى الناظرين أنها باطالة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلم بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم من الكوز فاجاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدرك المسكين أن البحر بقوة يحيل النجاسة ماء فتقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يقلب على الكوز ويحمله إلى صفته ولمثل هذا جاوز لى صلى الله عليه وسلم ما لم يحور تغيره حتى أصبح له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة المدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض المدل بل يتعدى ما يبين من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحموده ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبي سعيد له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع النسوة .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الا تفككك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالمبدإ إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من التصود والقوام بها حفظه كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتبدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في اليسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والكاشفة فضاية المعاملة للكاشفة وغاية الكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العوامي ورائة أو تلقفاً ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الحباث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كاشده به سيد البشر ﷺ فاعتدى أن ما يعتده العوامي ويرتبه التكلم الذي لا يزيد على العوامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وقفه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتدبر في هذا فنده ضيعة رأس المال فكأن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجلة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشرية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يدهما رقعة فيها إن أحسنك كل شيء فلا تظن أنك أحسن شياً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظماً حتى إذا عرفته رويت بلاشرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والوقوف من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آمنوا هم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطئ واحد أو أحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيّات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبه في كتاب معيار العلم وترى طائفة يستقنون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق الواحد وطائفة اعتقدوا بطلان الخطأ اتفاق الآخر والكل خطأ بل يبنون أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح .

ما كان معي من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأهل قال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ولم أرى في العالم ما يأخذ العالم لبياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقيمت فيه قرى من سنتين لاشغلنى إلا العزلة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة للسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فان علم الحساب أشرف لو ثاقاة أدلته وقوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم
في الحال تحلية باطنه وتحصيله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار اللاأعلى من
للائكة والقرين ولا يقصد به الرياسة والسلب والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لاهمة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين الحقارة إلى
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة والتلحين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
القدماء والتميمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالثغور والباطنين بها والقزاة المجاهدين في سبيل الله ففهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحدهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - رفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقاقنا
للمصارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن مازل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى
بالعلم أى علم كان نفعه وورعه لاهمة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع
القريب على البعيد والهم على غيره ومعنى الهم ما يهكم ولا يهكم إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
العيان فالأهم ما يبقى أبا الأباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيًا إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى فيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأفلون والعلوم بالاضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عقله وتمكنه من
الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقبك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركنًا بعد ركن ثم بعد الفراغ والتزويج عن هيئته الاحرام وطواف ألوداع استحقاق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام
قسم مجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم مجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبان وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصا على
الحلوة وتصفية القلب
للتذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات العيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الحلوة وكان
لا يصفون لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكنني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
الدوايق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره لينتفع به
أني علمت يقينا أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقيهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء لغيروا شيئا
من سيرتهم وأخلاقيهم

تلك العقبات الشاغرة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموقنين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه
 كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا ينفى علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا ينفى
 علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن للبشارة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى
 نفس الحجج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة
 وههنا نجا وفوز بالسعادة والنجا حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة .
 وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للمؤمنين في جوار الله تعالى بالروح
 والريحان وجنة النعيم وأما المنوعون دون ذروة الكمال فلمهم النجا والسلامة كما قال الله عز وجل
 - فأما إن كان موت للقرين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من
 أصحاب اليمين - وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو اتهمض إلى جهته لا طي قصد الامتثال والعبودية
 بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا
 هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة
 الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر صدق ثم شاهد حقيق وحال غيرهم
 حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم
 الكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات
 الذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة
 أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطمح والسكن
 وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب
 الصحة في ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم
 الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشهد علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة
 فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلبه اللحم المحسوس بل
 هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس والظيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس
 الطمئة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه الطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية
 وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره
 وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرر عزيز أشرف من هذه الأجرام الرئية وإنما هو أمر إلهي
 كما قال تعالى - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المحاولات منسوبة إلى الله تعالى
 ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق
 وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال
 إذ أبين أن يحملها وأشفق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل يقدم
 الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده
 والقصود أن هذه اللطيفة هي الساعة إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فنه مصدرها وإليه مرجعها
 وأما البدن فطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في
 طريق الحجج وكالراوية الحازنة للواء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من
 جملة مصالح اللطيفة ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان
 الإنسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه
 خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسمي وحده في تحصيل طعامه بالجرانة والزرع

ويبدلوه بما هو خير
 منه لم يجدوا إليه سبيلا
 فان جميع حركاتهم
 وسكناتهم في ظاهرهم
 وباطنهم مقبسة من
 نور مشكاة النبوة
 وليس وراء نور النبوة
 على وجه الأرض نور
 يستضاء به وبالجملة ماذا
 يقول القائل في طريقة
 أول شروطها تطهير
 القلب بالكلية عما سوى
 الله تعالى ومفتاحها
 الجارى منها مجرى
 التحريم في الصلاة
 استغراق القلب بذكر
 الله وآخرها الفناء
 بالكلية في الله تعالى
 وهو أقواها بالإضافة
 إلى ماتحت الاختيار
 انتهى قال العراقي فلما
 نفذت كلمته وبعد صيته
 وعلت منزلته وشدت
 إليه الرحال وأذعنت
 له الرجال شرفت نفسه
 عن الدنيا واشتاق
 إلى الأخرى فاطرحها
 وسعى في طلب الباقية
 وكذلك النفوس
 الزكية كما قال عمر بن
 عبد العزيز إن لي نفسا
 تواقا لما نالت الدنيا
 تافت إلى الآخرة قال
 بعض العلماء رأيت

الغزالي رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
قلبت له يا امام اليس
التدريس يفقد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

ترسكت هوى ليلي
وسعدى بمنزل

وعدت إلى مصحوب
أول منزل

ونادى الأشواق مهلا
فهذه

منازل من تهوى
رويدك فانزل

انتهى كتاب تعريف
الأحياء بفضائل الإحياء

بمحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء

في إشكالات الاحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خصص

وعزم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء

البعوث إلى العرب

والعجم وعلى آله وعترته

وسلم كثيرا وكرم

سألت بورك الله

لمراتب العلم تصعد

مراقبها وقرّب لك

مقامات الولاية محل

والحيز والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخاطلة والاستعانة
ومهما اختلط النافع وثار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاط للتنازع من داخل ، وبالسبب الاعتدال في الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأعمال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والسترق
عمره في دقائق الحكامات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الحيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الواصل إلى علم السكافة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانها فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مياينة
الحلق العامة والخاصة في الزرع من تقليد مجرّد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف التلم .

(بيان وظائف الرشيد العلم)

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يقضى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظميا في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمس الذي يشحن غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وذباله الصباح تضيء لغيرها وهي تخترق كاقيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تخترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على التلمذ وأن يجري مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده (١) » بأن يقصد إقازمهم من نار الآخرة وهو أمم من إقازم الوالدين ولدها من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لانساقت ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما للمعلم هو المفيد
للحياة الآخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك فعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواود ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحامد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والتراشق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواود والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والتراشق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والمعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون ع
موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلد
على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يبر
لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله
تعالى بزراعة العلوم فيها كاللدى يترك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفتحت بها تزد على منة
صاحب الأرض فكيف تقلد منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا ذلك
مانت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إ
أجرى إلا طي الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو الله
إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مدامه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خاد
والمخدوم مخدوم وذلك هو الاتسكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكرم مع المجرم
ناكس رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمو
أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والسكلام والتدريس فيهما وفي غيرها فانه
يبدلون المال والجاه ويحملون أصفاء الدل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولوتركوا ذل
تركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع العلم من التعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصرو له ويعدى عدوه ويقتضيه
جهارا له في حاجاته ومسخرين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس
بالم يرضى لنفسه بهذه للزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر الله
تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتقادات . الوظيفة الثالثة
أن لا يدع من نصح التعلم شيئا وذلك بأن ينمعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قد
الفراغ من الجلي ثم ينه على أن العرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والباه
والمنافسة ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسد
فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه
والجدل في السكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علو
الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإتمام ذلك عام التفسير وع
الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذاتما
الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمر له طمعا في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء
الأمر أو آخره إذ فيه الطول المخوفة من الله تعالى المحرقة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤد
إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجزى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ين
حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النفس
وخلق أيضا حب الجاه ليكون سبيلا لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلات
السكلام ومعرفة التفاريع الفرية فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا نقوسة في القلب وغف
عن الله تعالى وتغاديا في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والملاحظة فانظر واعتبر واستصبر لتشاهد تحقيق ذلك في الب
والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا قليل له مالك فقال صرنا متجرا الأبد
الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاصيا أو عاملا أو قهرمانا . الوظيفة الرابعة : وهي من دقائق

معالجتها عن بعض
ما وقع في الاملاء للقلب
بالإحياء مما أشكل على
من حجب فهمه وقصر
علمه ولم يفز بشيء
من الحفظ لللكية
قدحه وسهمه وأظهرت
التحزن لما شاش به
شركاء الطعام وأمثال
الأنعام وأجاء العوام
وسفهاء الأحلام وذعار
أهل الاسلام حتى
طنخوا عليه ونهوا عن
قراءته ومطالعتهم وأقتوا
بمجرد الهوى على غير
بصيرة باطراحه
ومنايذته ونسبوا عليه
إلى ضلال وإضلال
وبندوا قراءه ومنتحلته
بزيغ في الشريعة
واختلال فإلى الله
انصرافهم ومآبهم
وعليه في العرض
الأكبر إيقافهم
وحسابهم فستكتب
شهادتهم ويستلون
وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون بل
كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه . وإذا لم يهتدوا به
فسيقولون هذا إفك
قديم ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه منهم
ولكن الظالمون في
شقاق بعيد ولا هيب
فقد توى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الغالب
إلا أهل الزور والفسق
مشتبهين بدعاوى
كاذبة متصفين بحكايات
موضوعة مزينين
بصفات منمقة
متظاهرين بظواهر
من العلم فاسدة
متعاطين للحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو حجة تاء أو
مغالبة نظراء قد ذهب
المواصلة بينهم بالبر
وتألفوا جميعا على النكر
وعدمت النصائح بينهم
في الأمر وتضافوا
بأسرهم على الخديعة
والنكر إن نصحتهم
العلماء أغروا بهم وإن
صمت عنهم العقلاء
أزروا عليهم أولئك
الجهال في علمهم الفقراء
في طولهم البخلاء عن
الله عز وجل بأنفسهم
لا يفلحون ولا ينجح
تابعهم ولذلك لا تظهر
عليهم مواريت الصدق
ولا تنسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التلميم أن يزجر التلميم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يترك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرس على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البر لفتوه
وقالوا مانهمنا عنه إلا وفيه شيء (١) » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهبها عنه
فأذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس
الفاضلة والأذهان الدكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن التكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يصبغ في نفس للتعلم
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تفسيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تفسيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المجاز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن تجنب بل التكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقولهم (٢) » فليتب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوما بحديث
لا يبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم » وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما
حجة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشى العالم كل
ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه التعلم ولم يكن أهلا للارتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بما يعار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والإوقع
الإنكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فسلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كنتم علما نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار (٣) » فقال أترك اللجام وأذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجمن فقد قال الله تعالى - ولا توتوا السفهاء أموالكم - تنبها على أن
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أثر درآين سارحة النعم فأصبح محزوناً براعية النعم
لأنهم أمسوا بجمل قدره فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة وإلا فحزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لو منع الناس عن فت البر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر
أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كنتم علما نافعاً
جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف وتقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يقتر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فامن أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حياء وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من يقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشييه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقلا أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يغلى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المصطفى وينقله شيطاننا يريدنا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يغاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدها ويعمل قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجاهل والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تغلفت الشبهة بقلبه ويصر عليه حلها فيشوش ويهلك وبالجمل لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوا عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون العلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فانه لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا واما للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أن أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لا ته عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أأمرون الناس بالبر وتنهون أنفسهم - ولذلك كان وزير العالم في معاصيه أكبر من وزير الجاهل إذ يزل يزلته عالم كبير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فطيه وزرها ووزر من عمل به ولذلك قال على رضي الله عنه قسم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متهتك فالجاهل يفر الناس بتنهكته والعالم يفرم بتنهكته والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دللت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدين وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدوا من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في الدخول موقوفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستعوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل التاقل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم جيبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الصكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يفر منك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطمعائهم ولا يغيروك

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق في صيد - وجاءت كل نفس منها سائق وشيد - وتلا - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقييل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين - ولا تقطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تتبغى نقا في الأرض أو سلا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - ولقد جئتكم بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة ما زعم فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألبه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟ فقال من الأئمة المضلين » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع التحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالحوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للنافق الطيب قالوا وكيف يكون منافقا علما قال علم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفترط وقال الحليل بن أحمد: الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارقضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دينه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظما لشدة عذابه » (٤) وأراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) وإعياضا عذاب العالم في مصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل - إن النافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن جبان في روضة العقلاء موقوفا

على الحسن من ازداد علما ثم ازداد الله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدي

في الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حيا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث

إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة

المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث

متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم .

- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين - حتى قال - مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - فكذاك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبها بالكلب أي سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها تين ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسر حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين للقرينين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهم أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي للبران مهمار جحت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فيقدر ما تصب منه في الآخر حتى يعتلى* يفرغ الآخران من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لثمتها بالمهاثم انصرام ما يصفونها منها فهو فاسد العقل فإن الشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما مطمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلى هاربا كتبتة جهيدا ومن كتبتة جهيدا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يشقى الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب محوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمي أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة ويوتكم كسروية وأنوائكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكم كبرية قارونية وأوائكم فرعونية وما تمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة الحميدة قال الشاعر :

وراعى الشاة يحس الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يامعشر القراء يا ملع البلد ما يصلح للبح إذا الملح قد

وقيل لبعض العارفين أتري أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تنظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

ذكر فيه الأقلام إذ اتفق أن يكون أشهر ما في الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل وحديث المجالس فساعدتنا أمنيتهك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى أملائنا هذا بيان غيره مما عدوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة محجلا ومضللا ونحن نستعين بالله من الشيطان ونستصم به من جرأة فقهاء الزمان ونسخر إليه في المزيد من الإحسان إنه الجواد اللبان [ذكر مراسم الأسئلة في المثل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجملك تعقل نبيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافي التقسيم في الشهود كما ينافي التكرير التعديد وإن صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

مزبد البيان في تحقيق
كل مرتبة وانقسام
طبقات أهلها فيها إن
كان يقع بينهم التفاوت
وما وجه تمثيلها بالجوز
في القشور واللبوب ولم
كان الأول لا ينفع
والآخر الذي هو الرابع
لا يحل إفاثؤه وماعنى
قول أهل هذا الشأن
إفشاء سر الربوبية
كفر أين أصل ماقلوه
في الشرع إذ الإيمان
والكفر والمهداية
والضلال والتقريب
والتبديد والصدقية
وسائر مقامات الولاية
ودركات الخالفة
إنما هي مأخذ شرعية
وأحكام نبوية
وكيف يتصور مخاطبة
المقلاء الجمادات
ومخاطبة الجمادات
المقلاء وبماذا تسمع
تلك المخاطبة أبحاسة
الأذان أم بسمع
القلب وما الفرق
بين القلم المحسوس
والقلم الإلهي وما
حدّ عالم الملك وعالم
الجبروت وحدّ عالم
الملوكوت وما معنى
أن الله تعالى خلق آدم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يتفنى به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجالان الحديث الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف .

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق في فانك بالوادي القدس طوى ولعله يغدادا وأصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسم قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي ذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتعلق إلى مثل ذلك اللقام حتى يسبح أسرار الاله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردني إلى حاله حتى أسألهم أصابهم هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع »^(١) وفي الكلام تعميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يحزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفنيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يفض للتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزى به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكر في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغزى الزهو والعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت به تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير هيب أو تمشي في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة »^(٢) وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك ثققتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة »^(٣) قال تعالى - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه قدوة حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، فعرف أهل العلم بإخبار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا لا نفعون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويلكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسموا - وقال تعالى ليعسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان انعطت فنظ الناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار قفلت من أثم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه »^(٤) وقال

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما يزن عند الله جناح بعوضة ما أجده هكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنعه من البقاء في اللوضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وابن هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا مارجعوا ما وصل من رجع ومما معنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخسلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم للكونية هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت للمشاكل من الألفاظ واللفظ من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتنع فيما بال من ليس شارا

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الثرثار شرار العلماء وخير الخياريار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شككت الثواويس ما تجدد من ثمن جيف الكفار فأوحى الله إليهما بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلقي أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به فجازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهم إذ عبت منهم أمورا أنت تأتينا

أصبحت تصحبهم بالوعظ مجتهدا فملوقات لعمري أنت جانبا

تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لانتبه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبنى تعتبر قلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نهرب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد بقاء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعلموا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السرف حملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضح الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتمونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزله عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن بينهم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تلج فيه غدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ. عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات اللع ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويغطي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه غشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ماذلك إلا لأن للعلمين علموا لغير الله تعالى والتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الثرثار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجده صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا لعله ابن عبد البر وأسند ابن عدى وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح .

لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعلموا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عتة ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم المتقاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجهل وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار (١) » وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الأغنياء ودون الفقراء يتنايرون على العلم كاتفاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره أولئك الجباروا أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قليل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العلم قائلا وللعمل مسوا حتى يموت وما عمل (٢) » وقال سري السقطي اغترل رجل للتبذد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضعيفك الله فقلت إنني لأحفظه فقال حفظ العلم العمل فترك الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همهم الرواية والعلماء همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكم انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فانخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يتفنون مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر « مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن (٣) » ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقييل والقيل فمثال من يمرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصة العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم (٤) » بل ينبغي أن يكون التعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البخاري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه اللدة قال ثمان مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب حمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أصحها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

- (١) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جدا .

اتمى جملة مراسم الأسئلة في التل فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات المسالك وأن يعم بنفعه أهل البادية والدارك ثم لا بد أن أهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالغرض بها تبين عبارات انقرد بها أرباب الطريق تعمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يعض منها ونذكر للقصد بها عندهم فرب وافق على ما يكون من كلامنا محتصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي ننوي بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمّل وأسهل على الناظر للنفع وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقته فجعلت الحسنات محبوبا فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم في الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفته وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليقب عنده محفوظا الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطمعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عن السادسة نظرت إلى هذا الخلق يعني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فعاديت به وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على منيعته وهذا على تجارتهم وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقتك الله تعالى فأتت نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا العلماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدر كتمهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في الطعام والشرب والتعمق في اللبس والتجمل في الأثاث والممكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حظه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الثرمامات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا في رجل من التجار متشفين بحب للساكنين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فأتى أريد أن أعود قهبالنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فورا واسعة تهرة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرس وطيفة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقام الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعلك حاجة

فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستو جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم فيها أذا جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات وأذا الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل للنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب للمساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله للنزلة قال له حاتم فأتت بمن اتحدت أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم فرعون ونمرود أول من بنى بالجنس والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسي يزورين أكثر تواسا منه فار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبدءا ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأني به قعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ققام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعمل الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بنسداد اجتمع إليه أهل بنسداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجعل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تفقر للقوم جهلهم وتنعج جهلك منهم وتبذل لهم شيئا وتسكون من شينهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر وإنما كان له بيت لا طير بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور وإنما كان لهم بيوت لا طير بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تسجل على أنا رجل أعجمي فحرب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأنتم عن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم أم فرعون أول من بنى بالجنس والآجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسأني من سيرة السلف في البذاذة وترك التجلل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالانفاق من غير قصد وتكون المشاركة إذا انفتحت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرف من بحث عن مجازي الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما صيغنا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدءا وغاية ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضي الله عنهم فأنهم لم يكونوا فيها عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسبها عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة
والملقبين بالصوفية
والمتشبهين بالفقراء
والمعروفين بالرقعة
والمزى إليهم العلم
والعمل ألقاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فيما يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يعض
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بغير ما عرف من
ألقاظهم وعباراتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء قدر فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمسكان والشطع
والتطاول والتهاب
والنفس والسرو والوصل
والفصل والأدب
والرياضة والتجلى
والتخلى والتجلى والملة
والانزعاج والشهادة
والمكاشفة والنوايح
والتلون والغيرة والحربة
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب أنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمر أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبدولة مع الخوض فيها كان صلى الله عليه وسلم لا يبلغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالصلم^(١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة^(٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى وتعمل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطىء وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما طلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أنى أكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى قد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وأنا لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمل ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعرج على التتم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والحشية وخاصة علماء الله تعالى الحشية وخاصة الحشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستماله قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتضييق قلوبهم فالدخول عليهم إما أن يلتفت إلى نجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأذوار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعنى من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المطرز عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذى وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

تعرفون منهم وتتكبرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعد
 الله تعالى قيل أفلا تتائلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلا (١) وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء
 الزأرون للملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قبل وماهى ١ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على
 الأمير فيصدق بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد
 الله تعالى ما لم يخالفوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (٢) رواه
 أنس ، وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تصجلوا ثلث يموتون قبل
 الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق وثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك
 قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاجتروا منه فإنه لمن وقال الأوزاعي
 ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عمالا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار
 العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (٣) وقال مكحول الدمشقي رحمه
 الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تعلقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار
 جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند
 الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ
 ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه
 به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أجو من الدخول عليه كفافا مع أنى
 لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون
 السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه
 وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحة
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال
 وكان لا ينشئ السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحة والقدم
 في الاسلام فلو أتيتهم فقال يابى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركم فيها . قالوا
 يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يابى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا مميئا
 قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى
 أن الداخل على السلطان لا يسلم من التناق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة ياسلمة لا تنش
 أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة
 للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه
 أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقم شعائر الشرع إلى أن يحيل إليه أن
 الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويغوص في التناء
 والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا
 فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على بأقوام

والقيص والبقاء والجمع والفرقة وعين التحمل والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والقربة والمصكر والاصطلام والرجبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فتذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وإن كانت ألقاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فأنما قصدنا أن نريك منها أعود جاد دستورا تصلم به إذا طرأ عليك عالم تذكره لكشها إذ لها بحث وإلها سيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السخر والطريق) فالمراد بها سفير القلب بالالفكر في طريق العقولات وعلى ذلك انتهى لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم يريد بذلك سلوك الأقدام التي بها يقطع مسافات الأجسام فإن ذلك مما شاركه فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكبرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
 (٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي
 في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن
 ماجه بالطر الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والنهي
وتعلق الفرض فيها
والمراد بها ومنها فاذا
خلفوا نواحيها وقطعوا
معاينتها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدنيا
فاذا تخلصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عفو وشدة
في لين وقوة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخرج
الخائفون عنه طرفة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
الملكوت الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي والروح المحفوظ
واليمين الكاتبة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش والبيت
المعمر وهم يسبحونه

أستمع بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصنون شرفهم أن يدنسوه بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليبلغهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان مثل عما يعله تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو لإجماع أو قياس جلي أفق وإن مثل ما يشك فيه قال لأدري وإن مثل مما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشافعي لأدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يخفى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوت أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يصدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومروا على وعبد الله رضي الله عنهما رجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقطع ضرره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرًا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يتكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي وكان أبو العالية الرياحي وابراهيم بن آدم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسر فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزيرني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشربها الأسواق (٣) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لأدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك (١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري ، الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم (٢) حديث ما أدري أعزيرني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فبردها إلى الآخر وبردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر . وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً منه ويشهد لحسن الاحتراز من ثقله الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعا لها وأروعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته وقال ابن حنبل إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلحق بالحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الروايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يفترق منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أ كثر كلاماً وفلان أ كثر عملاً وقال أبو سليمان المرفعة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغني أنك قصدت طبيياً تدأوى المرضي فانظر فإن كنت طبيياً فكلّم فان كلامك شفاء وإن كنت متطيياً فالله لا يقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماه به وقال سألتوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أ كثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تنفضي إلى الشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بهائياً يسبح الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّة إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد بإسناد ضعيف (٣) حديث : وإخاتنه صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقدسونه وفهم كلام
المخلوقات من الحيوانات
والجمادات ثم التخطي
منها إلى معرفة الخالق
لكل والمالك للجميع
والقادر على كل شيء
فتشأم الأنوار المحرقة
ويتجلى لمراة قلوبهم
الحقائق المحتجة
فيملكون الصفات
ويشاهدون الوصف
ويحجبون حيث غاب
أهل الدعوى
ويصرون ماعى
عنه أولو الأبصار
الضعيفة بحجب الهوى .
والحال منزلة العبد في
الحين فيصفو له في
الوقت حاله ووقته
وقيل هو ما يتحول
فيه العبد ويتغير عما
يرد على قلبه فاذا
صفا تارة وتغير أخرى
قل له حال وقال بعضهم
الحال لا يزول فاذا زال
لم يكن حالاً . والقام
هو الذي يقوم بالعبد
في الأوقات من أنواع
للعاملات وصنوف
المجاهدات فتق أقيم
العبد بشيء منها على
التحام والكمال فهو
مقامه حتى ينقل
منه إلى غيره

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصفاء الفكرة والاتقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكمن من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكمن من مقتصر على اللهم في التعلّم ومتوفّر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) وفي بعض الكتب السابقة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعده ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم جمول في قلوبكم تأدبوا بين يدي آداب الروجانيين وتخلّقوا لى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى ينطيقكم ويفعركم وقال سهل بن عبد الله التقى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يبسطها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال عليه السلام « استفت قلبك وإن أقنوك وأقنوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » (٢) الحديث فكمن من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب التجردين للذكر والفكر تغلغها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل القسرين وإذا انكشف ذلك للمريد للراقب وعرض على القسرين استحسنوه وعلّموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية واللطاف الله تعالى بالهمم العالية التوجهة إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم للامة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبه حسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وجميع رعاى أتباع لكل ناعق يملون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن ونيق العلم خير من المال العلم بحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدث بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حيلة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيع بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو متقادا لأهل الحق لكن ينزع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو منهوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار متقادا لهواه أقرب شهابهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته وكمن أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه للترفون وأنسوا بما استوحش منه النافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأماؤه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

والكان هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية فإذا كمل العبد في معانيه قد تمكن من الكمال والأحوال القسامات والأحوال فيكون صاحب مكان كإقال بعضهم : مكانك من قلبى هو القلب كله فليس لشيء فيه غيرك موضع والشطح كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه محفوظا والطوالع أنواع التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها فيطمس سلطان نورها الألوان كما أن نور الشمس يحو أنوار الكواكب والذهاب هو أن يغيب القلب عن حسن كل محسوس بمشاهدة محبوبها . والنفس روح سلطه الله على نار القلب ليطنى شرها والسر ما خفى عن الخلق فلا يعلم به إلا الحق وسر السر ما لا يحس به السر . والسر ثلاثة

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف.

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظب على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين » (٢) ومناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وتقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضربه الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة » (٣) ولذلك قال عليه السلام « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يابى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات الشركيين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دلل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لانهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يتبدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا شئت عن شخص معين أن الله تعالى يباهيه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان تشكك لا تميل إلى الحكم فيه بآثبات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا شئت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان تشكك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز إخفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساو لذلك الليل ولكنه غير دلغ رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يظلم عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأني النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع سرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسمت نفسه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في شؤسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة شق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو مضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة فسرة
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقعت به
الإشارة . والوصل
إدراك الفائت .
والفصل قوت ما ترجوه
من محبوبك . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزم الخدمة
والثاني أدب الخدمة
وهو التشمير عن
العلامات والتجرد
من الملاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موافقة الحق
بالمعرفة . والرياضة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صحة الراد
والتحلي التشبه
بأحوال الصادقين
بالأحوال وإظهار
الأعمال . والتخلي
اختيار الحلولة
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجمل هو ما ينكشف
لقلوب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للماقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكن التصديق به بالبدية لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجوده بحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري غرق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبدية ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالوجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمراد إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون الوجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة فقد حصل للطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان السكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو تجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عند عدم الشك فكل علم لاشك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نقي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف فأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لاشك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو التحكم والتصرف في النفس بالتجويز والنقص صمى ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يقادر فيه متسعاً لغيره فيصير عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نقي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب للتحكم عليها المتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلالة فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في القلب والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنهاى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلالة في الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ما فيها ينطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً عنه لاسيلاً إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكه ووجود فذلك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس بوضوح ملاح له بدليل واحد كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نقي الشك وهذا قد ينكره التكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

الغيوب والعلة تنبه
عن الحق والارتجاج
انتباه القلب من سنة
الفعل والتحرك للأشياء
والوحدة . والملاحظة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإصابة
بالفهم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية من
السمو من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلوين
تلوين البعد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلوين
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلوين

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قويا اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاله وخفائه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فاني مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكن أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها فالمصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضاع عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهما بل يراها آيتين مسخريتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر لكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريثا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيباق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجالا في الطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وآتمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يطلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشعير ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرس على التحصيل للخبز طلبا للشعير فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرس على الطاعات كلها قليلا وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلا وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القربون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لمواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متأسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والدل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه البعد الفيرة . والفيرة غير في الحق وغيره على الحق وغيره من الحق فالفيرة في الحق برؤية الفواحي والنهائي وغيره على الحق هي كتمان السرائر والفيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق المبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا . واللاطفية إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسما العبارة . والقروح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح الكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان بحريان في الأبد بما جريا في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والقناء قناء المعاصي ويكون قناء رؤية العبد لعملة

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والتفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التعلم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة لإزادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمعن وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والريد هو الذي صبح له الابتلاء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرفا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطور والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهودأب أبناء الدنيا الفاقلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لأبائهم الله وهم المقتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لأبائهم الله ولا بأبائهم الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأبائهم الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأبائهم الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تسكنوا من جبايرة العلماء فلا يقوم علمكم بمهلككم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام التقيين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتعشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ^(١) » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله تعالى يفضّه فانه يموت في السماء والأرض ويروي في الاسرائيليات أن حكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لقلان قدملاّت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا قدم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشي في الأسواق ووا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وقفت لرضاي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيز بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يعقهم وهم أحق بالمت من ذلك الشرطى وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال عليه السلام صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرتك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيتك لم يذكرك وإن ذكرتك لم ينسك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا ^(٢) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسل سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضعفا في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله عز وجل خلقنا من طين طينة وأصابه زعيم إنه لا يسبح على التقوى زرع قوم ولا ينظم على الهدى سجع أهل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل فحش علما أغاربه في أغباش الفتنة حماه أشباهه من الناس وأرداهم علما ولم يعش في العلم يوما سالما بكر واستكثر فساقل منه وكفى خيرا ما أكثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأها من رأيه حشوا لرأى فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يتعذر عما يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيختم بكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم الثلاث وحقت عليهم النجاسة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم العلم فأكثموا عليه ولا تملطوه بهزل فتعجب القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة مع من العلم بحجة وقيل إذا جمع العلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وطى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل بالرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره ثراقل ^(٢) » وفي خبر آخر بثله معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه وضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم ^(٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنا نحشى الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخضع جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبأرحمة من الله كنت لهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - قيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجراف عن دار الفرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ^(٤) » . ومنها أن يكون

والمراد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات. والممة ثلاثة : ممة منية وهي تحرك القلب للمني وممة إرادة وهي أول صدق المرید وممة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فان الأمراة والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق مسدود وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائد من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغلهم الزمان ولم يبق إلا للترحمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد يعاجل حظه مشغوبا فصار يرى المعروف

- (١) حديث إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا الحديث لم أجده أصلا
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا والنكر معروفا
حق ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أفطار الأرض
منظما ولقد خيلوا
إلى الخلق أن لا علم إلا
قوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جعل يتدرع
به طالب الباهات إلى
الغلبة والإخام أو سجع
مزخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إذ لم يروا ماسوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام
فأما علم طريق الآخرة
هو ما درج عليه السلف
الصالح وهي جمع المهم
بصفاء الإلهام
والغربة ثلاثة : غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة القصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرد بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الدهش عن
المعرفة . والاصطلام :
نعت وله برد على القلوب
بقوة سلطان فيستكها .
والسكر ثلاثة : مكر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

أكثر بعثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوق من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن
في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يخلب مسيس الحاجة
إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرعات في
الحكومات والأفضية ويتعبون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأنما تقع لغیرهم
لا لهم وإذا وقعت كان في القاعين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويشكروا عليهم أثناء الليل وأطراف
النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه للآزم بهم غيره
النادر لإشارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرفها في أن يسميه البطالون
من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل
يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين
وفوز المقرين وذلك هو الحشران اللين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما
بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم أتفتت الكلمة في حقه
على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أباسعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته
قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة تراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته
قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة
أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني عنه ^(١) وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول
يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله
عنه أيضا قد خص بلم للناقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر
الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن الناقين فيخبر بعدد من نقي
منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك
وكان عمر رضي الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها ولا ترك وكان
يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب
الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل
هذا تزويق للذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم فجاهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأدق لطباعهم فان الحق مر والوقوف
عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن
الشر الحديث أخرجاه مختصرا .

الذسومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جمل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليسكون فطره عند الملوت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل القسري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يندل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما التقليد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسرارهم فإن التقليد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لرسول فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه القطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه وترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرأتهم أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرآن فسددم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على السموع من الغير تقليداً غير مرضى فلا اعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن السيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهم حتى أشار عمر رضي الله عنه بوقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تحاذل الناس وتكاسلهم وحدثنا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من التشابهات فاشترح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه برضه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السرفي الحق . والرهبة : رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد تقدم والوجود : تمام وجد الواحدين وهو أتم الوجد عندم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبغي عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح الماني والإشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الوطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه صنفا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الوطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والنفوس في إبطال القالات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندرا من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأمرض عن ذلك إلا الأقولون
فصار يسمى الجاهل التكلم عالما والقصص للزخرف كلاما بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام
هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يرففون بها مبالغة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سابقة فكيف الظن زمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنفسه إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوق من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا أو كل مال الأيتام
ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب ذيق الآثم وجليسه والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فثم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرنا أتبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل مصر في موافقة أهل مصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طابعهم إليه ولم تسمع قوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبعد
الدنيا لها يضرب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما بمن
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتفتي آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكونوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والمهدي ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن المهدي هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتفسق قلوبكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت (١) »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والمهدي الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على مامله أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى المكسوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاطاة
الوجودات الحسنة :
الداني والحسي والخيالي
والعقلي والشعبي
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلنا أدرك
شيء من العجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليك ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء
قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصنيف
والاستشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله وفيه
وفي الله لأنه إن لم يكن

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما شا كل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عليك لعيره ونكست على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يجرك بعادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه تسمى القلب وتهتك السر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تنقب به حيث وقف به كلامه فالعلماني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب للؤلؤات وكثير علم مما

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس وأشق من ما اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل واللعية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خلقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل ببله وأتقى الفضل من ما وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنن ولم يدها إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه للسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خیرهم فيه التثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق لمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بخير ما همتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق قال أتم معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضى الله عنهم إذ من غير المعروفات في زماننا تزيين للساجد وتنجيدها واتفاق الأموال العظيمة في دقائق محاربتها وفرش البسط الرفيع فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في السجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلسا يجملون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل وللناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من النكرات ومن ذلك التحسين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب والتساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الفرائب ما أقل العلم فيهم والله للشئان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدرتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان غشها ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوا اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخبر أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وورب يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحاط فيهما لاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان النبر في صلاة العيد عند الصلوة قام إليه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يلفهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه ولأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لاهل النبر (٢)

(١) حديث طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس وأتقى ما لا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبراز من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب الصرى وسط الحديث وكلها ضيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحية ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف وروا في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في الميدان خطب على قوس وإذا خطب في الجمع خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بأسط كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

وفي الحديث للشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمي فعليه لعنة الله واللائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بابتداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف فالسكوت عنه جفاء وماسكت عنه السلف فالسكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالخط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالئ»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلالة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذري الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا - وقال قتال - أئمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فبكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم بما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللب واللغو وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد هبوا نبهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تتلون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم شيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تتلوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقرأ أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البديع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادومهم أين شاءوا. فإن قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يلمنون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد تصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الراعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصفى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فعليه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته لم أجده أصلاً (٤) حديث عليكم بالخط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعاً .

لم يعبر عنه واطمع بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدر حقيقته بباب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحمين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيرة فانتصر الحسنة واطلب المأذير للسيئة ولا تكن كالذباب تنزل على أقدر ما تجده ولا تجعل على أحد بالخطئة ولا تبادر بالتجريح فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشمر فكل عالم عورة وله في بعض ما يأتي به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولي الله تعالى الخضر وكنية موسى على نينس وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بحال أو اختلال فخذ ما ظهر لك عليه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيها أحب ويدفع ما لا يوافق محبوه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - والعوام العصابة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين للمعتدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمر أعليه إلى اللوث وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والافتراق عنهم كإسحاق في كتاب العزلة يانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة الرعشي ما ظنك عن يقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آمناً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد ولو تأمل هذا السكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن الاستفادة إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشرف فيكون هو معيناً على ذلك ورده أو ظهوراً وميثاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخس له في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بذلت آلة الدنيا بالدين وتشبه بسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بمجتهل وإنكارك بزمرة المالكين الآيسين نموذ باقه من خدع الشيطان فيها هلك الجهر ففسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا نفره الحياة الدنيا ولا نفره باقه الفرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيا وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشد هاضرة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمة وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » (١) وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكير شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة نجهته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون للشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا وقتلوا أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وترأى لهم ما كان يتلأ على دياجيه وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإعما القصد أن نوراً ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - ومعنى العلم المستفاد منه روحاً وحياء حياة فقال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا بمشي به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيقي لك فاحفظها وتذكرى إياك فلا تذهل عنه : اسمع وصيقي إن تحفظ حظيت بها

وإن تخالف فقد يردى بك الخلف

وأزيدك زيادة تقتضى التمرين بأصناف

العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من

غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولى في

وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء

ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم

بالله وبأمره وآياته مهتبا بالحشية لله سبحانه

والورع في الدين والزهد في الدنيا

والإيثار لله عز وجل المستقيم والحجاج

مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد

أخرس للتكلمين وأخفم للتخرسين

برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينازع

شواهد بينة ونجومه نيرة قدحى صراط الله

للمستقيم والمهجوج عالم بالله وبأمره وآياته

ولكنه قد الحشية قد
برؤيته لنفسه وحجبه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبسده من بركات
علمه محبة الموت
والشرف وخوف
السقوط والقرقو
عبد لعبد الدنيا خادم
لخدمها مفتون بسد
علمه مقتر بعد معرفته
مخدول بسد نصرته
شأنه الاحترار لثم
الله والازدراء لأولياته
والاستخلاف بالجهايل
من عباده وفخره ببقاء
أميره وصلة سلطانه
وطاعة القاضى والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بعلمه
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله للثل
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها
فأصبح الشيطان
فكان من الظالمين
ولو شئت لرفقنا بها
ولكنه أخذ إلى
الأرض واتبع هواه فله
ككل الكلب إن تحمل

فى الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم
عنه واعلموا أنه يجتدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم للنظر حقير الخطر
دنى، المزلزلة أهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف المنزلة
حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنزير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تنظر بتعظيم أهل الدنيا
إياكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال عليه السلام « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم الكاشفة فلا يليق ذكره بعلم
العامة وغرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضي الله عنه قال « أتى قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام : إن الأحق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما
يرتفع البادع في الدرجات التي من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيماناً عبداً ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال عليه السلام « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فند ذلك ثم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما صمتم قول الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الدار « ما السودد فيكم قال العقل
قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كاسألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة، وأبو نعيم من حديث
عائشة باسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أن قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال
كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة للمؤمن عقله
الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الدار ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن المهبر وعنه الحرث .

عليه يلهث أو تتركه يلهث - فويل لمن يحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل دينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمذحة لمن أعطاه وإن منع رضى بالدم لمن منعه وقد نسي من قيم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فتعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكبرائها ليست من الفرض الذي نحن فيه قصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من الطاء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو خير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم (١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقلا (٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون (٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آله وعدة وإن آله المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية الرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل (٤) » وقال ﷺ « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « آتكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا (٦) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم المعين مثلا على معان عدة وما يجري هذا الجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان بمسائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتبها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستمد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن النافل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المجرى (٢) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المجرى كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المجرى (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المجرى والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آله وعدة وإن آله المؤمن العقل الحديث ابن المجرى وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المجرى من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث آتكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المجرى من حديث أبي قتادة .

غاب الذين إذا ما حدثوا
صدقوا
وظنهم كيفين إن هم
حدسوا
وذلك لما سبق في
القضاء من ظهور
الفساد وعدم أهل
الصلاح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غيبته وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الوجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمداوا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأرسان العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذان لموائد السوء
وعنهم رد عتب الحكم
الشائنة وانتقاض أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال مخالفتهم
لهم تصاور لم يعرف
لهم حبا
كل يوم على مقدار
حيلته

العلوم والنائم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الفريزة فيهما مع قد العلوم وكأن الحياة غريزة بها
يتبها الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنبها بعض الحيوانات
للمعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والجماد في الفريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة بحكم
إجراء العادة فإنه لو قدر الجماد لجاداميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فإله سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب الشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقتها للجماد في الحركات إلا بفريزة اختصت
به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بفريزة يبرعها بالعقل وهو
كالمرأة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصفاة وكذلك
العين تفارق الجبهة في صفات وهيات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الفريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الفريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الفريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة الاستحالات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض التكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة الاستحالات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما القاسدان تشكر تلك الفريزة ويقال موجود إلا هذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بعجاري الأحوال فإن من حسنة التجارب وهذبة المذاهب يقال
إنه عاقل في المادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمرا جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الفريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة الفريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو للراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل ^(١) » والأخير
هو للراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك ^(٢) » وهو
الراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضى الله عنه « ازدد عقلا تزد من ربك قربا
قَالَ بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ قَالِ اجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَدِّ فَرَائِضَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ تَكُنْ عَاقِلًا
وَأَعْمَلْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ تَزِدْ فِي طَاجِلِ الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً وَتَتَلَّ فِي آجَلِ الْعَقَبِ بِهَا مِنْ رَبِّكَ

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر تقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب وإسناده ضعيف .

زوائر الأسد والنباح

الله

فاحذرهم قاتلهم الله

أى يؤفكون اغذوا

أيمانهم جنة فصدوا

عن سبيل الله إنهم

سواء ما كانوا يعملون .

أولئك كالأنعام بل هم

أضل أولئك هم

الذافلون .

أولو النفاق فإن قلت

اصدقوا كذبوا

من السفاه وإن قلت

اكذبوا صدقوا

ولناخذ في جواب

ماسألت عنه على

نحو ما رغبت فيه

واستوهب الله تفوذ

البصيرة وحسن

السيرة وغفران

الجرير قوه وروى ورب

كل شيء وإليه الصير .

[ابتداء الأجوبة عن

مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الأحياء

بتقسيم التوحيد على

أربع مراتب تشبها

لمواقفة الغرض في

التجليل به وذكرت أن

للمقترض وسوس أو

بالحوطر هجس بأن

لفظ التوحيد ينافي

التقسيم إذ لا يخلو بأن

يتعلق بوصف الواحد

عز وجل القرب والعز^(١) وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو التقي وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا^(٢) » قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته^(٣) » ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الفريضة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها تمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الحشية والعالم من غنى الله تعالى فإن الحشية ثمرة العلم فتكون كالجهاز لغير تلك الفريضة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الفريضة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله للساء في الأرض فإنه يظهر بحجر البئر ويختص ويتميز بالحسن لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فاتهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها القرب استعدادها للدراك ثم لما كان الإيمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة نفسها بفعله ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون . وليتذكر أولوا الألباب . واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقكم به . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا النمط تذكر ليس بعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه^(٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخط في مثل هذه الآيات ويتصف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبى الدرداء ابن الحبر ومن طريقه مطارث ابن أبى أسامة والترمذى الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الحبر (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الحبر من حديث سعيد بن المسيب مرحلا وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أى يكون السماع والتقليد رأيا عنده فتأمل اه مصححه .

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الحلل في بصره فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالقارس والبدن كالقارس وعمى القارس أضر من عمى القارس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وعمى ضده عمى فقال تعالى - فلأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يلق به من الدين إلا تشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بمجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزدد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المرفع لثلاثة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك الماصي من الجاهل لقوة علمه بضرر الماصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد مينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لأعماله أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فاتهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوت في الغريزة وإما تفاوت في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جرده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشرافه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموًا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم

الذي ليس بزانة عليه
فذلك لا ينقسم
لا بالجنس ولا بالفصل
ولا بغير ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكلفين
الذين توجب لهم حكمه
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انتسابهم إليه
بالعقل وذلك لضيق
المجال فيه ولهذا
لا يتصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلوك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلbas وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
التكلمين بتأمل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
والرسلين وسائر عموم
الرسلين وإنما تختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذاهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنتم في هذه الإجابة
كلها بشيء من أنحاء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بل بقصد
إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالفهم إلا بعد تب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكاد ينيتها بشيء ولولم تحسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ تنضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعنى ماشئت فانك ميت واعمل ما هئت فانك مجزى » (١) وهذا النمط من تعريف اللائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر وتلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والجوهر فيها لا يليق بلم العامة بل هو من علم الكاشفة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب للمريض درجات الصحة ويسلم العالم الفاسق درجات المدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف القوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كاتقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الساء فيقوى فيتفجر بنفسه عبونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوت وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت « يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك » (٢) فان قلت لما بال أقوام من التصوفة يذمون العقل والعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس تلووا اسم العقل والعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فقدموا العقل والعقول وهو السمي به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده محمد فان كان الحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل للذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تتميز بها آدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما تارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الهجر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

يورد ما طعن به أهل الضلال والإضلال . واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أعماق يتوجهها بشيء قدح به المقترض أو هجس به الحاضر وإنما للشمول ههنا من أعماق ما تتميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حاله منها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والليل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيًا والحنبلي حنبلية

ومن رزق علم التوحيد
وما يتحقق به عنده
وسمى من أجله
بشكوكه المارضة له
فيسمى موحدا لأنه
عارف به يقال جدلي
ونحوي وقبه ومعناه
يسرف الجدل والفقه
والنحو . وأما من
استغرق علم التوحيد
قلبه واستولى على جملة
حق لا يجد فيه فضلا
لغيره إلا على طريق
التبعية له ويصكون
شهود التوحيد لكل
ماعداه سابقا له مع
الذكر والفكر مصاحبا
من غير أن يعتريه
ذهول ولا نسيان له
لأجل اشتغاله بغيره
كالعادة في سائر العلوم
فهذا يسمى موحدا
ويكون القصد بالمسمى
من ذلك المبالغة فيه .
فأما الصنف الأول وهم
أرباب النطق المفرد
فلا يضررون في
التوحيد بهم ولا
يفوزون منه بنصيب
ولا يكون لهم شيء من
أحكام أهله في الحياة
إلا مادام الظن بهم أن
قلب أحدهم موافق
لسانه كما يفرد القول

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل
الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول
وبالله التوفيق : الحمد لله للبدى للعبد الفعالم لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة العبيد إلى النهج الرشيد والسلك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار حبه الأكرمين الكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بحسن أو صافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو
شاهد للعرف بإيم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قیوم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانقضاء بتصرم الآباد واقراض
الآجال بل هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . التنزيه : وأنه ليس بحجم مصور
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله
الجواهر ولا يمرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ليس كنهه شيء ولا هو مثل
شيء . وأنه لا يحده القدار ولا تحويه الأنظار ولا تحيط به الجهات ولا تتكشفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أرادته استواء منزلها عن الماسة والاستقرار
والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومههورون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء . إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء
كما لا تزيد بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو
على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء
ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته
وأنه مقدس عن النقص والانتقال لا تحله الحوادث ولا يعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلالة منزلها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالقول مرقن
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمرضه
فناء ولا موت وأنه ذو الملك والمكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات بيمينه والخلق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع التوحيد بالإيجاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته نصارىف
الأمور لا تحصى مقدورات ولا تنتهى معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(كتاب قواعد العقائد)

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو اللبغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله النبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم ومنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فأملوها فأروا على كل منها خطأ منتظما فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فيادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

يعل ديب الخلة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الإرادة : وأنه تعالى مرید للكانات مدبر للكانات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتة لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيتة لقلة ناظر ولا قلة خاطر بل هو للبدى العبد الفاعل لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لبعده عن مصيبته إلا بتوقيفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الناس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيتة لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مریداً في أزاله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزاله من غير تقدم ولا تأخر بل وقت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير در الأمور لا بترتيب أفكار ولا ترص زمان فذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن محمه مسموع وإن خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يعجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويطنش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم أمرناه وأعدمتوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو صطكك أجرام ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه للزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في الصالح محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والاتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى البرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مریدا مميما بصيرا متكلم بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا يعجز دالته . الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وآتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأ إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كفته لا لا فتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده للؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بعجز العقل ولكنه بث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فلبقوا أمره ونهيه ووعده ووعده

كل مخلوق النطبع فيه
من مركب ومفرد
وصفة وموصوف وحى
وجاد وناطق وصامت
ومتحرك وساكن
ومظلم ونير وهو الذى
يسمى تارة بسلامة
وتارة بسمة وتارة بأثر
القدرة وتارة بأية كما
قال الشاعر ولا أدري
عن سماع أو رؤية قلب :
وفى كل شئ له آية
تدل على أنه واحد
فلو قرءوا ذلك الخط
وجدوا تفسير ذلك
المكتوب عليه
وشرحه أبدية مالكة
والصرف له بالقدرة
على حكم الإرادة بما
سبق في ثابت العلم من
غير مزيد ولا نقص
فتركوا الكتابة
وللمكتوب وترقوا إلى
معرفة الكتاب الذى
أحدث الأشياء وكوّناتها
ولا يخرج عن ملكه
شئ منها ولا استغنت
بأنفسها عن حوله
وقوته ولا انتقلت إلى
الحرية عن رقب
استعباده فوجدوه كما
وصف نفسه - ليس
كثله شئ وهو السميع
البصير - غفلت لهم

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسول بالرسالة وأنه
بث النبي الأئمة القرشي محمد صلى الله عليه وسلم رسالته إلى كافة العرب والمجم والجن والأنس
ففسخ بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن به شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم
الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن
بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان البعد في
قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن
نبيك (١) وهما فتانا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بمذاب القبر (٤) وأنه
حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته
في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ
مناقل النار والحرمل تحقيقا لتمام العدل وتوضيح مخائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها للميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح مخائف السيئات في صورة قبيحة في كفة
الظلمة فيخف بها للميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار
وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض للورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى ومحمه وابن حبان من حديث أبى هريرة إذا قبر الميت
أو قال أحدهم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما النكير وللآخر النكير وفى الصحيحين من
حديث أنس إن البعد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان
فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتانى القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن
سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون
أو تمذبون فى قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من
عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق
السموات والأرض البهي فى البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث
عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أبخف ميزانه أم يثقل زاد ابن
مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حى قد علمنا اللوازم هى الكفتان فىوضع فى هذه الشئ وبوضع
فى هذه الشئ فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس وأطلبينى عند الميزان
ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث
وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان
بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشخان من حديث أبى
هريرة ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم
زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة
والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعه فى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسل ومن
قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم شرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم للقرّيون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين (٥) ويسأل للبتدة عن السنة (٦) ويسأل للسليين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج اللوحدين من النار بعد الاتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه شرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آتته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعفة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطك على الحوض ومن حديث ابن عمر أما لكم حوض كباين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن مرة وخارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب من شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يمدّانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البحث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والتقدير كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقض الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك العرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأمّ قليل هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البحث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فها استزده قال قد استزده فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فها استزده قال قد استزده فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين بديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لييك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتي فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وآتته الحديث . ولابن ماجه يحيى النور يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للبتدة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من التقدير صلت عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادها ضعيف (٧) حديث سؤال للسليين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسألي في الصلاة .

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيد فسيحان من بصرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم القرّيون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدست عنه فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعّد عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٤) فكل ذلك بما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوءه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوءه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرّد والتقليد المفضى نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بتيقظه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتمل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحّد بفضل الله سبحانه الشياخان من حديث أن هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً عن أراد الله أن يرحمه عن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعاة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يصلوا خيراً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نغير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يغلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به والقيلدون هم العوام وهم أهل للرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يغلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لسنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالتقى لم يبلغ وكان على قرب هم القربون وهم أهل للرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل للرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائريين النبي والاثبات ومحصور بين اللبدي والغايات ولم يدخل أهل للرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد شرح وبسط بيان تعرف منه ماذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالسهم وسماهم وجماعهم وحياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالتقاء بذن في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والترية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يعمده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما غشيتها ذلك ويغسدها وهو الأغلب والشاهدة تكفيك في هذا بيان فناهيك بالبيان برهانا قسى عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة للتكلمين والمجادلين ترى اعتقاد العاصي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكلم الحارس اعتقاده بتفسيات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفيثه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كالتلفف نفس الاعتقاد تقليدا إذا لفرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم الدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوة على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة اختصت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والتقويين وإليه الإشارة بالسرا الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كثافات الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في التكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتنم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنما أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأمل رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي للفترة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وحكي الكراييسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فضرب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لقروا منه فراهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمت في أصحاب

كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يستقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يملوه لا يتصورون صحته ولا فساد ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا صوابه إذ لم يستحوا عليه ولا أرادوا فهمه إما بعد همهم وقلة أكرامهم وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فإن التزاموها فارقوا راحت أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منخصة وملاذم مكذرة من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه عفاة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنسجة أو كثير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يسل ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأساً. مثل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يستند وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحرطاً باظهار القول في الجرم الغير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة للمكيين أحدكم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لأدرى سمعت الناس يقولون قولا قتلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظراً في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالع في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على البدعة وقال له وبحك ألت تحكي بدعتهم أو لا ثم ترد عليهم ألت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام لا تادق. وقال مالك رحمه الله أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أبعد دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا يجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحنائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولمونه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»^(١) أي المتنطعون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباء^(٢)، وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طفلان وظنهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المخذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تصدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولوعرض عليهم عبارة النقص والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فأحدث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المخذور هو المعنى فحين لا نفي به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كاجاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المخذور هو القشعب والتصبب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم - وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل لله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - فبهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين - إلى قوله - وأولو

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلوها الناس الحديث ولقرننذي من حديث أنس وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا . تقدم في العلم .

جشك بشي ميين سوطي الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فمعدة أدلة للتكليمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحييها الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون للنسكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون للنسكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة للبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهم فقال ماتمقون على إمامكم قالوا قاتل ولم ينسب ولم ينهم فقال ذلك في قتال الكفار أرايتم لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عبيدة في الإيمان قال عبد الله لوقلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن حميرة يا صاحب رسول الله هدمزلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث واليزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو تعلم أنها تنفعلنا لعلنا أنتم من أهل الجنة فمن أجل ذلك تقول إنا مؤمنون ولا تقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها من زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس وأغاخذه صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إتمام الحضم واعتراؤه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الحضم أو لجاجة لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بيزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الدور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخوارق فمن أيضا ترتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيد الخاطار أو لادخار الحجة حتى لا يمجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والبيعة وأغنى بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار واللوث وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة البيعة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك للسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الأضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قلبه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالغسل فان كثيره يضر بالهرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العمل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنمود إلى علم الكلام وهو قول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وعمله حرام أما مضرته فأنارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان لا حديث ولا تليت وصحاح النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة التقدم ان عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه غرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبر ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « متفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

الإلحاد أعلنوا عندهم
بكلمة الكفر فهو لاء
التأقون الذين ذكرهم
الله في كتابه بقوله :
وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا
إنا معكم إنما نحن
مستهزون الله يستهزئ
بهم ويهدم في طغيانهم
يسمعون . الصنف
الرابع قوم لم يعرفوا
التوحيد وما نشأوا
عليه ولا عرفوا أهله
ولاسكنوا بين أظهرهم
ولكنهم حين وصلوا
إلينا أو وصل إليهم
أحد منا خاطبوا
بالأمر المقتضى للنطق
بالشهادتين والاعتراف
بهما فقالوا لا نعلم
مقتضى هذا اللفظ
ولا نقل معنى الأمر به
من النطق فأمرنا أن
يظهروا الرضا ويظهروا
بلا مهلة فسكنوا إلى
ما قيل لهم ونطقوا
بالشهادتين ظاهرا
وم على الجهل بما
يستقدون فيها فاخترم
أحدهم من حينه من
قبل أن يأتي منه
استهانام أو تصور يمكن
أن يكون له معه معتقد

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
البدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه وبغضه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويبرك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرض به خصمه وهذا هو الداء العضال
الذي استطار في البلاد والبلاد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منقصة تقديره
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخييل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا صمته من محدث أو حشوى ربما
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاد بمدح حقيقة الحق وبمدح التظلم
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على التدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منقصة
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجحها على العوام وحفظها عن تشويشات البدعة بأنواع الجدل
فإن العامي ضعيف يستغربه جدل البدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متبعون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودينام وأجمع السلف
الصالح عليها والعلماء يتبعون بحفظها على العوام من تلبسات البدعة كما تبعد السلاطين بحفظ
أموالهم عن نهجمات الظلمة والفساد وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يرضه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تأمنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا وبزول عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بذلك بالإصلاح وأما العامي المعتد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف القنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سبيل
أدلة القرآن والحديث المزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل للوضع على
شرط التكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن هيج عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدر أن يدفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القرينة
القبولية البينة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض على
اعتقد البدعة بنوع جدل صمه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامة فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاء أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها للذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يمرض للأدلة ويربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر
قدر الحاجة فإن كانت البدعة شائسة وكان يخاف على الصبيان أن يخذعوا فلا بأس أن يطبوا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات البدعة إن وقعت

فيرجى أن لا تضيق عنه
سعة رحمة الله عز
وجل والحكم عليه
بالنار والخلود فيها مع
الكفار تحكّم على غيب
الله سبحانه وربما
كان من هذا الصنف
في الحكم عند الله عز
وجل قوم رزقوا بعد
الهم وغيب الدهن
وفرط البسالة أن
يدعوا إلى النطق
فيحيوا مساعدة
ومحاذاة ثم يدعوا إلى
فهم الحق بكل وجه
فلا يتأتى منهم قبول
لما يعرض عليهم فهمه
كأنما تخاطب بهيمة
ومثل هذا أيضا في
الوجود كثير ولا أحكم
على أحد مثله بخلود
في النار ولا بعد أن هذا
الصنف بأسره أغنى
المحترم قبل تحصيله
العقد مع هذا البليد
الجميد بعض ما ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة
الذين أخرجهم الله عز
وجل من النار بشفاعته
حين يقول تعالى: فرغت
شفاعة الملائكة والنبيين
وبقيت شفاعتي . وهو
أرحم الراحمين فيخرج

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه
لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر
الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أفنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد
صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه إلى أن ينكشف له الحق بقبليه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر
الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى نفسه فأما الخارج منه فصبان أحدهما
بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكواف وعن الإدراكات وعن الخوض
في الرؤية هل لها ضد يسمى النع أو العمی وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت
لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات والضلات والقسم الثاني زيادة
تقرير تلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استفصاء لا يزيد إلا ضللا
وجها في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطناب والتقرير غموضا . ولوقال قائل البحث
عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والخواطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد
فلا بأس بتشجيدهم كان كقوله لب الشطر نج يشجدا لخواطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الخاطر
يتشجد بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر الحمود من
الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمدها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به .
فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع البتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت
الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق
كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشغل العلماء بشئ ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولوترك
بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه البتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه
والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة ما كانت ماسة
إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه البتدعة التي ثارت في تلك البلدة
وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل
الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم
ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرس عليه فإن المحترف
يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن
البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه .
الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فإن الفاسق
بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يعرض على
إزالة الشبهة بل يقتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا التعلم أكثر مما يصلحه
وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس جميع
القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب القنعة للنفوس دون التغافل في التفسيات والتدقيقات التي
لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبس فإذا قابله
مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما
فيه من الضرر الذي نهى عنه وأن ما قل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج

من النار أقوام لم يصلوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة فيكون في أعناقهم
صمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
وإنما اختصرت منه
قدر الحاجة على للمنى
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة المالكين ما،
عشر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيف
الموحدين وإن لم يشر
عليهم فهم صائرون إلى
جهنم خالدين تلعف
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ النسبي عن
التوحيد إذا انفرد
عن المقدم وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسيبه نجا إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه واليدان
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من الناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالسكينة على الله تعالى وملازمة السكر
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفعاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها
جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى للطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلي لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تعلقوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدوا عليه فلم يمكن لهم ترقى إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما (١) » وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حمة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بمحدث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يفلها إلا المالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة السكون لا يعلمه
إلا المالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولم يأت آخر فلم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن ينزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجمتوني وفي لفظ آخر لقلمت إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثته
وأما الآخر لو بثته لقطع هذا الخلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بروتق في صدره (٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه لعالم ثلاثة علوم علم ظاهر ينقله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسمعه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلماء بآله سر لو أظهروه

- (١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بمحدث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة السكون
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضملاء لقصور فهمهم فإذا كره له بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطق "نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة" [مسئلة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر فيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلا الشريعة وهو كافر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقض ولا يخالفه فهو فيزول به الإقسام ولا يكون للشرع سر لا يخفى بل يكون الحفي والجلى واحدا . فأن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم السكافة ويخرج عن مقصود علم العامة و غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تصدنا بتلقيها بالقول والتصد بصدق القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطن لما أوردناه في الش الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشر أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها القربو يدركها ولا يشاركهم الأكثرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : الله الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسكل أكثر الأنفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعا أن لا يفتشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أنفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الراد وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم من يانه (١) من هذا القسم فإن حقيقته مما تسكل الأنفهام : دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا ي أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكم يتأدبون بأداب الله فيسكتون عما سكت عنه بل في صفاة الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أنفهام الجماهير عن دركه يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حتى يفهما الخلق بنوع مناه توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بمقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض للناسبة شيء لم يفهموه بل لنة الجماع ذكرت للصوى أو الضنين لم يفهما إلا بما يناسبه إلى لنة المطوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لنة الجم والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان لأنفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو بما كانت له قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة الب إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به . الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) ولي

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسه حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم قلم يرد عليهم شيئا الحد .
(٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذ لم يعلم خلق حاله حسن فيه أن يشبه بغير الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أى مجالس الطعام ولا تشبهه النفوس إلا مادام منطويا على طعمه صونا على له فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا يخفى في صحته والتمرض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاس على التعلم والسمع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يصحكون مطابقا لخواصه المراد منه .

[فصل] فإن قلت لما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق من النظر والبحث حتى نطقوا أو من الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

اللعن أني أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلالة وتلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل الخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالمعجز عن معرفته . ولتنبض عنان الكلام عن هذا الخط ولترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تسلك الأفهام عن إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » (١) القسم الثاني من الحقيقت التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر السامعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منح أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفائش وكأنضرب رياح الورد بالجلل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعة بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه وتقيض الحكمة والرضا بالتبعية والظلم وقد ألد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين على ذلك وكذلك سر القدر لو أفضى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرائها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو أنجحه وصح فيكون مثالا لهذا القسم . القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحها لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستمارة والرمز ليكون وقعه في قلب السامع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كالأمر في قوله تعالى فلا تأكلوا أموالكم بالسر والباطن فيفتاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر :
رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السكك الأعزل
لازال بنسج ذاك خرقة مدبر ويحيط صاحبه ثياب القبل

فانه عبر عن سبب صحاوى في الاقبال والادبار برجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن معنى المعنى أو مثله . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد ليزوى من النخامة كما تزوى الجملدة على النار » (٢) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تتقبض بالنخامة ومضاه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهها ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين اللائكة الذين حول العرش سبعون حجبا من نور وإسناده ضيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجبا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد مؤيد الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب من نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولابن ماجه شيء أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد ليزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

ومهم في الظاهر قادرين على ذلك وما السانع الحسنى الذي منهم وأبدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم فقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد ولكن لا بد إذا وقع في الأصماع ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى صماع الجواب عنه أن نور في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتفتح به النفوس بحول الله وقوته، نعم ما سبق في العلم القديم لا تجرى غلغلة المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق الكلاية والشيم القدائية والطباع السبعية وغلبيتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب بيوت تولى الله بنامها يسهه وأعد لها لأن

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام قد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحق وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى -إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون- فان ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطأ بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ اللعدم لا يفهم الخطاب حتى يمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى -أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والتناقض فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهذاية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تصفق جماعة فأولوا ماورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشهادة جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدوق بأن يصير حاله لا بأسا له في تفاوت العلماء ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والايمن والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجود المشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أو كمال من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجويع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام أربعة تفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتم القلب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يمر بلسان القائل عن لسان الحال فالتاصر القهم يقف على الظاهر ويعتد به نظما والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوثة لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان القال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائمين - فالبلد يفترق في فهمه إلى أن يقدّر لها حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف سمعه السماء والأرض فتجيبان

تكون خدائن عله ومشارق مكشونات ومهبط ملائكة ومغاشي أنواره ومهاب فضائه ومجال مكاشفاته ومجاري رحمة وهياها لتحصيل المعرفة به فحق كان فيها شيء من تلك الأخلاق للذمومة لم يدخلها للملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للذمومة التي حلت فيهم وهي التي فم الكلب لأجلها لما احترمت للملائكة بأذن الله عن حولها فيها وهي لا تغلو من خير تنزل به ويكون معها حينما حلت حل الخير في ذلك القلب غلولا وإنما هي لها خفيما وجدت قلب خاليا ولو حينما من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على للملائكة ما زعمها عنه

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة .

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بحرف وصوت وتقولان أتيننا طائمين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فالبلد يختر فيه إلى أن يقدر للجماهير حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريده نطق اللسان بل كونه مسجعا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحداية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية يدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكال العلم لا يعني أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويدبر أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجة يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسييحهم - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما القربون والطاء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسييحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم العامة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لأرباب القامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي اللزبان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه »^(١) وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين »^(٢) ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسم للباب ورعاية لصالح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الحرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ونشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرؤها كجاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعا بصيرا وأولوا للمراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والليزان والصراط وجلة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد والجنة واشتغالها على الأكلات والشجومات واللكوحت والملاذ

(١) حديث الحجر عين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله تحت .

من تلك الأخلاق للنسومة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة اللاتكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثر فيه من متاعها واستماتت بغيرها حتى يتلى البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرقت ذلك البيت طارقت شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان فاته الله وطرده عن ذلك المثل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب للتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

المحسوسة وبالنار واشتغالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويندب الشحوم ومن ترتبهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم السرفون وحد الاقتصاديين هذا الانحلال كله وبين جمود الخنابة دقيق ظامض لا يطلع عليه إلا الوقفون الذين يدركون الأمور بنور الهوى لا بالسماح ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فسا وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتبين له موقف والأليق بالتقصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفه فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكافون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوفه تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوازم ولتقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس ومبينات الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنهم ريغ الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد الرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالجلل التين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع للنقول وتحققوا أن النطق بما تمسكوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصل إن لم يتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفضاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا صميما بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف ما لا يطاق وأنه لا يلام البرى ولا يجب عليه رعاية الأهل والأولاد إلا بالشرع وأنه بثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبيينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر واليزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستفاد به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

انشرأحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى فان قلت : فيزلي أصناف هذه الأخلاق الذمومة التي صمدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الالامكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخبرات السالكين معها فأعلم أن الأخلاق التي لا يجتمع معها الالامكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها مظهرها وهي الطمع في غير خطير والحرص على فان حقير . وأما الصنف الأول فانهم رجوا وخافوا أن تبدو لهم حمة ما يشغلهم عن قناتهم وينص عليهم ما رغبوا فيه من راحتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا أكرم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فصدف أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألقوه من تبجيل أحدهم أن يزول

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا
والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعة سدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من العصرات ماء فنجاءا لنخرج به نباتا ونباتا وجنات
الفا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الريح والسحاب المخرجين السماء والأرض لايات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا - وقال تعالى - أفأنتم تعلمون أم أنتم تعلمون أم نحن الخالقون - إلى
قوله - المقرون - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها
منهورة تحت تسخيرهم ومعرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -
ولهذا بث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا
لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي غفوة شبابهم ولذلك قال
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما يضي عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذا لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل
تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى المختص وأما قولنا
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث
فقد حدث في هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبدية والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل واحتكار فإن من عقل جسا لاسا كنا ولا متحركا
كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تماقهما
وجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد لها
من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنقض تلك الحوادث بمحملتها
لانتهى النوبة إلى وجو الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك
دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شغفا أو وترا أو شغفا وترا جميعا أو لا شغفا
ولا وترا ومحال أن تكون شغفا وترا جميعا أو لا شغفا ولا وترا فإن ذلك جمع بين النقيضين والاثبات
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شغفا لأن الشفع صير
وترا زيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ التور صير شغفا بواحد
فكيف يجوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شغفا ولا وترا إذ له نهاية فتحصل من

ومؤانسة أشياعهم أن
تفسير وتذهب ومواساة
إيلافهم أن تقطع
واستقلا لما يشاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلتزموه وفرارا من
شرائطه وما يصحبه
من الأعمال والوظائف
إذ يتشبهوا والكلب
ما لم يصورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحسائس
والجزع من الصبر على
ما يصده من الفضائل
حق احترمت لللائكة
أن تدخل بيتا فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لا تفارق
قلب الكافر والعاصي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق الذمومة
التي هي كلاب ناجة
وذئاب عادية وسباع
ضارية وأصناف الخير
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة لللائكة
وهي لا تدخل موصفا
عمل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
مهما ولم تصل إليه فعل

هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى الحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قدير لم يزل، أزل ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سمينا صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدم مضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فسكا يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدم مضاده لأن ذلك العدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فان كان الضد للمعدم حادثا كان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحدث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتجزئ بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الجزئ وبرهانه أن كل جوهر متجزئ فهو مختص بجزءه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متجزئ قديم لكان يقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرها ولم يرد به التجزئ كان غلطاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرنا مخصوصا بجزئ بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بجزئ ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو شيء آخر من أقسام الأجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن الفرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتى بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كشيء شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه وللقدر مقداره وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه ومنه فاستحال القضاء عليها بمائلته ومشايبته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزلة الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم القوق لما إلى جهة الرأس واسم السفلى لما إلى جهة الرجل حتى إن النملة التى تدب بمنكسة تحت القف تتقلب جهة القوق فى حقها تحنا وإن كان فى حقا فوفا وخلق للإنسان الدين وإحداها أقوى من الأخرى فى القالب فحدث اسم

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم . فاعلم أن هذا يستدعى أصنافا من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام للمعلوم والقول وللحق في جواب ما سألت عنه أن للشيطان غفلات وللأخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها قرات فاذا وجد الملك كما أعلمت قلبا خاليا ولو زمانا مافر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا وتزوعا أورد عليه ما يعلل ويستغرق له وإن صادف منه صموا ومع منه مجنود الشياطين استغاثة بالأخلاق الكلاية استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا ب عن لمة ملك أو نزعة شيطان . فان قلت : فأى بيت فهم

اليمن للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلى اليمن يمينا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل وأتلفت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص المرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصا بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المنين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وهو محاذ لجسم فلما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ماهو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن . العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا يتأني وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدود والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرت أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرت أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكين لزم منه كون المتمكن جسا محاسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بنوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفراد بالخلق والإبداع واستبداد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه ويتأوه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأي كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته أن القصور بالإخبار هو بيت اللبن وكلب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نهيك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم ووجه الاستنباط ولم تنجبه القلوب المستضاء ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تنزع من تشنيع جاهل ولا من تفور مقلة فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى مافي معناه ومثابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيها آلهة إلا الله لفسدتا - ويانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداغته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم عظم في صناعته مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لأقدرته كان متخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الغباوة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات - لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستغرب في دلالة الخلق اللطيف والصنع اللزج بالترتيب ولوفى الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقماش في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو البدئ للعبد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد التقديرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن ينفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هوائس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت ديبب التلذذ السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سمعا بصيرا والسمع والبصر كالإحالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وفيما فقال له - لم تعبد مالا يسمع ولا يصر ولا ينفى عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدة وسمعا بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يقله عقله ولا نهام نهامه عن أن يقول لسانه حادث ولكن ما يحدث فيه بقدر في الحادثة قديم

قته إلى من هو أفقه منه
سؤال : فان قلت قد
قال النبي صلى الله عليه
وسلم « لا تدخل
اللائكة بيتا فيه
صورة » وعلم السبب
الذي جاء هذا الحديث
عليه وفيه فهل يمدى
عن سببه ويترقى منه
إلى مثل ما ترقى من
الحديث الآخر فهذا كما
قيل الحديث شجون
وأبتنا هذا الباب
ما يقرب منه ويعد
علينا التخلص عنه نعم
يترقى منه إلى قريب من
ذلك وشبهه ويكون
هذا الحديث منها
عليه وهو أن الصورة
النحوتة قد اتخذت
آلهة وعبدت من
دون الله عز وجل وقد
نهى الله عز وجل قلوب
المؤمنين على عيب فعل
من رضى بذلك ونقص
إدراك من دان به حين
قال هجرا عن إبراهيم
عليه السلام حيث قال -
أعبدون ما تحتون
والله خلقكم وما
تعلمون - فكان
امتناع اللائكة من
دخول بيت فيه صورة
لأجل أن فيه مآعبد

فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين التأخر عن الباء قديما فتره عن الالتفات إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فماله من هاد - ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بحجم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من المبارات وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة وعفوفة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدة من غير أن تحمل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدة والقلب والورقة فليقل كون الكلام مقروء بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخل تحت التغير بل يجب للصفات من نوت القدم ما يجب للذات فلا تتغيره التغيرات ولا تحل الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبدنه كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبئ على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به - وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس كان قدم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تملكت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللاتقة بها على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيف قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلم حي حياة قادر بقدره ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتل ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

من دون الله سبحانه أو ما حكي به ما هو على مثاله وبترقى من ذلك المعنى إلى أن القلب الذي هو بيت بناء الله ليكون مهبط الملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فإذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقر به الملائكة أيضا . فإن قيل فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تمليلا ينبغي أن لا يقتضي إلا منافرة ما عبد أو ما نحت على مثاله . قلنا تشابه الصور النحوتية كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذى الأرواح ومائت للعبادة إنما قصده تشبيه ذى روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة . فإن قيل فما وجه الترخيص فيما رقم في ثوب فذلك لأنها ليست مقصودة في نفسها وإنما المقصود الثوب الذي رقت فيه .

فليجوز انفسكاكه عن العلوم وانفسكاكه العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لخالقه له سواء ولا يحدث له إلا بإياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحر كتهم لجميع أفعال عباد مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسروا قولكم أو جهروا به إنه علم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم لعلهم بما أراد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لخلق العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها لما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتعجب فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات هيئات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حر كات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والقدر جميعا وخلق الاختيار والاختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسبه وأما الحر كة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحر كة المقدورة والحر كة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحر كات للملكوتية وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاتصاف في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وقدرة العبد على وجه آخر من التعلق بغير عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزلة قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصل بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بمحصل المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا فمسيبانه فلا يجزى في الملك والملكوت طرفه عين ولا فتنة خاطر ولا فتنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضرب والإسلام والكفر والعرفان والسكر والقوز والخمران والتواقيع والرشد والطاعة والعصيان والترك والإيمان لأراد لقضائه ولا مقب لحسكه يضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يسل عما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرها ولا يريد بها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو فمسيبانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليتشمع كيف يستجيز السلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسه زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والنصيحة هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند البدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهاظر أن أفعال العباد مخلوقة لله صرح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد وأمر بما لا يريد

فان قيل لما بال الثياب
رخص في محاسنها
بالصور وذات أنواط
في الصرب مشهورة
معلومة فاعلم أن
ذات أنواط إنما كانت
شجرة في أيام العرب
الجاهلية تعلق عليها
يوما في السنة فآخر
ثيابها وحلى نسائها
لأجل اجتماعها عندها
وراحتها في ذلك اليوم
ولم يكونوا يقصدونها
بالعبادة لما كانت بغير
صفة التماثيل للنحوته
والأصنام ولو كان ذلك
ماسأل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يجعل لهم ذات أنواط
حق أنكر النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك
عليهم ولو عبت قد
عبد كثير من خلق
الله تعالى كالملائكة
والشمس والقمر
وبعض النجوم
والسبح عليه السلام
وعلى رضى الله عنه ولم
يسدوا ما تحت على
شكل النبات فلم تعبد
من هذه إلا ذات روح
فما أبعد عن در كهان
حرمة الله تعالى إياها
فله الحمد وهو أهله .

[بيان أصناف أهل

الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد

المجرد عن تحصينه بالعلم

وتوثيقه بالأدلة وشده

بالبراهين قد اتسموا

في الوجود إلى ثلاثة

أصناف أحدهم صنف

اعتقدوا مضمون

ما أقرّوا به وحشوا به

قلوبهم من غير تردد

ولانكذيب أسروهم في

أنفسهم ولكهم غير

عارفين بالاستدلال

على ما اعتقدوا وذلك

لفرط بدم وغلظ

طبائهم واعتياص

طرق ذلك عليهم ويقع

عليهم اسم الموحدين

ونعمة قنا وجود أمثالهم

كثيرا على عهد سيد

الرسلين صلى الله عليه

وسلم والسلف الصالحين

رضى الله عنهم ثم لم

يلفتنا أنه اعترض

أحد إسلامهم ولا

أوجب عليهم الخروج

منه والعروق عنه ولا

كفوا مع قصور فهمهم

وبعدم عن فهم ذلك

بعلم الدلالة وقراءة

ترك البراهين وترتيب

الحجاج بل تركوا على

مام عليه وهؤلاء

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد أمثاله ولولم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لأمثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمرو والنهائي وكيف يهدف لإيجاب أو تترس للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وأن أراد به المعنى الثاني فهم مسلم إذ بعد سبق العلم لابن من وجود المعلوم وأن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلياء ويسرّهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فمافي ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولولم يجز ذلك لاستحالة سؤال دفعه وقد سألو ذلك فقالوا لا ربنا ولا عملنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباهل لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن لله عز وجل إيلام الخلق وتذنيهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يبدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهايم إيلام لها وما صاب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم يتقدمها جريمة . فان قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشيها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تحب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفضت منزلته على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتنى في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن المدل في التفضل عليه بطول العمر لهدوني فلم فضلك فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر للمعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانارضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فهذا إيجاب عن ذلك وهل يجب عند

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل هما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه فديكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره . إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أو ولياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من محاسبة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بمخائلي الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منابر أسمى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإحباب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها للغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العيب وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والقوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيات وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسيبه وليس في المال إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على العصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد دل من أخذ هذا من القياس بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر للكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أذي ذلك إلى إضحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من اللواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم ترح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المهرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا إلى صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلككم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ البين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر وهي كون الشيء واجبا أن تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي إلى التهدي للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بشة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية الفاسدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدتهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
بقوله سبحانه لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات محال
وسنبدى لك طريقا
من الاعتبار تعرف به
صحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والصنف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
النطق واعتقدت مع
ذلك أنواعا من الخائيل
قام في محيلتها أنها أدلة
وطأتها براهين وليست
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصنف من يزعم
عليهم تلك الخائيل
بالصدق ويظهرها
عليهم بالمعارضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أصفوا لما يأتي
به ويرفضوا إلى أن
يجابوه لما يحملهم
عليه من سوء الفهم
أو رداء الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الحقايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يستند دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقموا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يجرؤوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يمسر انحلالها أو يقيموا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلما من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يقنع بدونها وإقوا حصل له ذلك قويا به ومن قنع بأيسرها ولم تطمح همته إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسييح الحمى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تعدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة نهّدوا لسيده ونبيه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضة بمثله القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير محارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما يحجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك الدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقصد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الإعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها التي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بشئكم إلا كنفس واحدة - والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول. الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء البيت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهرة ويدرك باطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسييح الحمى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمحموط رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير التي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذب والجرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة خفاء ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أتنا في بيت للقدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقدر الشرح به قال الله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : البرزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع للوازن القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقهوهم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعوها إلى مفطرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاء والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كاهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منارعة من معاوية في الامامة إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون للصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه للمشاهدون للوحي والتزيل بقرآن الأحوال ودقائق التفصيل فلو لا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الوصفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف لا أكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطيف وإنما يهلك من لا بلغة له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابة ممن جاء بمضرة بدعة ومموم كفر فلا تنهل عما يشار لك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله للستمان وقلم بين الصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا . والصنف الثالث أقرؤا واعتقدوا كما فعل الدين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الدكاء والفطنة واليقظ مالو نظروا لعلوا ولو استدلو

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

لثقة قوا ولو طلبوا
لأدر كواسيل المعارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة ومالوا إلى الدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقلوا الأعمال
الموصلة إليه ونموا
بالعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البداية
ويردّد في حالهم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تمهيد آخر ليس هذا
مقامه والالتفات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف التكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفريق بين
بلد ومتيقظ وفطن
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولعلك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحل لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فمن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكما بانقضاء إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يليق المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يغوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة شغفا بمزاياها كالنبي قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد القضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البقي في بلادهم لميس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فناعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومبينا لرهط البدعة فآله تعالى يسدّدنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بعه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قليل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب السكي في هذا كلاما شديدا الاضطراب كثير التطويل فلتهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على ثقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لقوى والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فوجب اللغة أن الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس ^(١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ^(٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب والقدر خيره »

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد أن تؤتوا خمسا من اللقم .

وشره فقال لما الاسلام، فأجاب بذكر الجصالح الخمس (١) « فببر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « وأما التداخل فمأروى أيضا أنه سئل « قيل أى الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) « وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم يعنى حال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لم يس غير يعنى بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل السمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنيته بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص يتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعى، والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودينوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأل عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشرط الأخير قال رجل يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخارى منهما ، وله تعليق من حديث

الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ما له من الصفات. قلنا فلننصح ذلك في الصفات التى هي أعراض قد لا يصح في الأوصاف التى هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالقوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة للشرطة في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألما بقول من جعل المعارف

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعددوا من هذه العارفين كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن العارفين كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية ولم يتمروا على العبارة على مواضع العلوم والأفهام إذا نبهوا عليها وتلطف بهم في فهمها بالزوال إلى ما ألقوه من عبارات وجدوا أنفسهم غير منكورة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الفينة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نصحه أو رآه فنيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قائل إنه مجرد المقدر ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف النطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والمقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو محلد في النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للملكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذهنا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم للعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به (١) » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتزيد وتقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثم مات فهل يغلد في النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وماعده تلك الطاعات التي تركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل قول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا ما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يغلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمرملة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يحفل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة وتقول هو مؤمن غير محلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كالأينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة للرجة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عمى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق قلبه فلانشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه عجل في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما نشك في أمرناك وهو الحكم الديني في ما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستغنى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أن نكح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ومحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويؤمره إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المناقبين وعمر رضي الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مانعاً لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهية ظنية تبني على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفصح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فمما يشبه المعزلة والرجة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما للرجة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً - وقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله - فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء - قوله كلما أتى فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من أتى في النار مكذباً ولقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانضيق أجر من أحسن عملاً - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصرح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشقي الذي كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصاً معيناً أيضاً وقوله تعالى - كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها - أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات (١) حديث تعذيب العصاة البخاري من حديث أنس يصيين أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفاً بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من التكلمين أيضاً أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للشروطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الوضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقب الزلف ما ينبغي فيها بآذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تمة ما جرى قلنم أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأصنى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان

الإيمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لا يستندوا إلا ببعض الأركان مما فيه خلاف إذا نظر ولم تنصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يستند وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويغلو عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذي يستند من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لنبيه . الحالة الثالثة أن يستند الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيها يستند في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من التكميلين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما العزلة فسيبهم قوله تعالى - وإني لفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتما مقضيا - ثم قال - ثم تنجي الدين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها - وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى - ويضر ما دون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضج أجر من أحسن عملا - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا - أي لا يمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فإمناه . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التديجات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدائها التصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بدمه وبقي الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »^(١) والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب للعزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز لا تقطع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فان قلت قد انفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول لما ذكره حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد ببلحيته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالأدب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فالاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا المداينة ولم نكثر بتشبيب من تشب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف والاشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتترخي كالعقدة على الحيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استزاله عن اعتقاده بأدنى استئالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في تمام هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في تمام الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيمانا - وقال تعالى - ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «الايان يزيد وينقص»^(١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فسمع رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع للنجات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالمقالات والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأغنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط وقوته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورفق الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولترجع إلى القصور فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين العالين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم المكاشفة تتلاقى كل ساعة على علوم العامة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه: إن الايمان ليدو لمة يضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدو نكة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلاقؤه تعالى - كلا بل ران على قلوبهم - الآية . الاطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الايان بضع وسبعون باباً»^(٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته وقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الاطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وإشراح الصدر والشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان وقصانة حق

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب للمعنى يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه: أداها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأداها قد كرهه ورواه بلقظ المصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاة ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو إسلام
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويبقى الصنف
الثالث على محتملات
النظر كما نبهناك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الانقصار على
الوجود الفردي والوجود
ووصف آخر معه مع
الخلو من اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالمقدمون من السلف
لم تشهر عنهم في صورة
للسئلة ما يخرج صاحب
هذا المقعد عن حكم
الايمان والاسلام
والتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الاقرار بنبية صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعيان
وضغفاء النساء والأبناء
على هذا بلامزيد عليه
لوسلوا واستكشفا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أو بقاء أو كلام

أو ما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هي هو ولا هي غيره
ربما وجدوا مجهولون
هكذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووجدانيته مع الاقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والنبي صلى الله
عليه وسلم قدر رفع
القتال والقتل وأوجب
حكم الإيمان أو الاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتقد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضي
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى الدينية
من غير نظر ثم معنا
عمن قالها في صدر
الاسلام أنه لم يعلم بعدها
إلا فرائض الوضوء
والصلاة وهيات
الأعمال الدينية
والكف عن أذى
السلم ولم يلنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولاهل الله
تعالى عالم يعلم أو عالم
بنفسه وهو باق يقاء
أوباق بنفسه وأشباه

وكيف لا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مسئلة) فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه فقله سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كأن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينًا أو صميا أو بصيرا ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الإيمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا عمل في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك أمؤمن أنت قل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لمقلمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فامعنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الإيمان ولكن في خاتمة أو كاله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم نزل إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء للره على نفسه والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها قل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للزعم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لأحالة وأنه شاء . ولكن للقعود تلميحه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحقوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فإذا قيل لك إن فلانا يموت سرى فقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه أو يصح فقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فاقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالمهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال **عليه السلام** « الإيمان عريان ولباسه التقوى ^(١) » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضغ وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحقي قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ^(٢) » وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصديد فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها ^(٣) » وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبته » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها ^(٤) » وفي حديث « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا ^(٥) » وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ^(٦) » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرهونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكلاه وهو خفي . وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبئت للمناققين أذنان ما قدسنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسليمان في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة للمناققون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

سده المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معاند أوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على معانده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولملك يقول قد قال في مواطن أخرى إلا يحفظها ثم يقول اعتقاد باقي الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكلاه من حقانهم هي من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يستفدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها فقيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر وهذا وأنت

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تسكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من تلاح الأرض ذهابا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن للنفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سعة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرقت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم ألتعلم قبيلا له آخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يعتسبون» (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غناطيه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في النفاقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر خفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض قلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكاله وصفاء لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويأحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يقضي بصاحبه إلى النار مدة أو يتقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع: وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتعة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا أ كنت تسكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم ألتعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولأبي بكر بن الضحاك في الشمايل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم ..

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من النفاق إلى القدرة والحردة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لافي الأعمال فان قلت فان من الناس وأمة الطلاء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجهه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدا له أنه تسبب إلى ما يظهر له من نظوره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا ترمي منه الركون إلى ما أريناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

الصائم ضحوة النهار عن صفة صومه فقال أنا صائم قطعاً فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على القيام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة عذوبة ولاجلها كان بكاء أكثر الحائنين لأجل أنها ثمرة القمية السابقة والشبهة الأولية التي لا تظهر إلا بظهور القضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر تخوف الحائنة تخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي السابقة يعني أظهرتها . وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحائنة نموذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالأقراء . وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت للموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنني لا أدري ما يمرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»^(١) وقيل في قوله تعالى - وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً - صدقاً لمن مات على الإيمان وعدلاً لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فهم ما كان الشك بهذه الثابتة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الدمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الدمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصحمت بالأمرس يقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطالع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكاً في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطالع عليها إلا الرب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع المبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطّف بعباده فتصدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزيّة لسرايرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الباء المخصوص بالبرقة واللطافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجيها بركاها يوم الخافه ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بنى الدين على النظافة»^(٢) .

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأصغر بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بن الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان .

ولم يدل عن مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يقولوا اسم الكفر عليهم ثم يرضوا على الاستنابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه وقص ما قالوا إليه فلترجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكماً بصحة إيمان أهل الحالة للذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصدية طمطمهم عن إيصال الصدر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا النع عن الإصلاح والرجوع

بالعبودية المؤلفة دون
قتل كان ذلك وإن
قالوا بالموت لم تقصرهم
في اعتقادنا عن أرباب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالتأجى
والهالك من خلقه
واللطيف والماضى من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بين
الرفقة والرحمة ولم
يدخل بين الله عز وجل
وبين عباده فيما ناب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
- ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه
مسئولا - . فان قلت
وأين أنت من تكفير
كثير من الناس لجميع
أهل البدع عامة وخاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرية
« إنهم مجوس هذه
الامة » وقوله صلى الله
عليه وسلم « ستفترق
أمتي إلى ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار إلا
واحدة » وقال من

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » وقال الله تعالى - فيرجل يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوة على الله عليه وسلم « الطهور نصف الايمان »
عمارة الظاهر بالتنظيف بافاعة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإيقائه مشحونا بالأخباث والأقدار هيات
هيات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق الذمومة والردائل المقتومة . للرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن نعمل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل
ماسومه الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعا
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
المحمودة والعقائد الشريفة ولن يتصف بها مالم ينظف عن شوائبها من العقائد الفاسدة والردائل
المقتومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال الصدا الطبقة السالية إلا أن يجاوز الطبقة الساقطة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات الذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
الذموم وعمارته بالخلق الحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارته بالطاعات وكلما عزّ الطلوع وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن
أن هذا الأمر يدرك بالمنى ويتال بالمهوى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب للطلوب فصار
يعمن فيها ويستقصى في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة طمانه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع المهمة والفكر في تطهير القلب وتساهيلهم في أمر
الظاهر حتى إن همّ رضى الله عنه مع علو منصبه تواضاً من ماء في جرة نصرانية وحقق إنهم
ما كانوا يضلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع الهدئة ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات
ومن كان لا يجمل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فتدخل أصابعنا في الحصى ثم نفرّكها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث طي قال الترمذى هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعرى بلفظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فتدخل أصابعنا في الحصى الحديث ه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة.

« ما كنا نعرف الأثنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا القمر مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البدع بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع للناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في التملين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتن نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يعيشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرتها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والتفاخر ولا يستذكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو طوى بوارى السجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو تواضعا من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زميرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البدأة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار النكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظائهم من المخطورات أو للنكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقدم به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقرن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يحمل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بنى الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المخطور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يحمل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للباطنين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يبعد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأثنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجة نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلع نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خبير البرية أو من قول خبير البرية يعرفون من الدين كما يبرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام التقيين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يعرفون من الدين كما يبرق السهم

من الرمية قد قال
متصلا بهذا القول
وتنارى في الفرق وما
موضع هذا التنارى
من المثل الذى ضرب به
فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالى
أراك تلاحظ جهة
وتترك أخرى وتذكر
شيئا وتذهل عن غيره
عليك بالعدل تكن
من أهله واستعمل
التفطن تشاهد
العجائب المعجبة
وتفهم قول الله
- وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس
ويكون الرسول
عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان
الاعتقاد المجرد عن
العلم بصحته ضعيفا
وتفرد عن المعرفة
قريبا من رآه ألقى
عليه شبه القشر الثانى
من الجوز لأن ذلك
القشر يؤكل مع ماهو
عليه صونا وإذا انفرد
أمكن أن يكون طعاما
للحجاج وبلاغا للجائع
وبالجملة فهو لمن لا شئ
معه خير من قدسه

بصرفوا من أوقاتهم إليه لإقذار الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذى هو أنفوس الجواهر
وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي
للبطال أن يترك النظافة ويشكر على التصوفة وزعم أنه يقشبه بالصعابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ
إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا
للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصر
تقصير في الفصل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء اللدبوعة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة
واللدبوعة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظركم في استنباط
الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشى
معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى
هذا الاسراف فالناظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون حمام الدهن لاستنباط مثل هذه
الرقائق لاقى احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة
إلى التساهل خير وذلك العامى يتفجع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل الباح في نفسه فيمتنع
عليه للمعاصى في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار
ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف
وقت العامى أن يشغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال
وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها
إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها
أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكمل إلا في المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لأننا في الشطر
الأول من الكتاب لا نتمرض قصد إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والختان وغيره .

(القسم الأول في طهارة الحبث والنظر فيه يتلاق بالمزال والمزال به والازالة)

(الطرف الأول في المزال)

وهى النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل
منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت
فكلها نجسة إلا خمسة الأدمى والسماك والجراد ودود الفخاخ وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة
وكل ما ليس له نفس سائلة كالدباب والحفشاء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء
الحيوانات فقسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس .
الثانى الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللحاح
والخاط وما له مقر وهو مستحيل نجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمنى والبيض والقيح والدم والروث
والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعنى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :
الأول أثر النجس بعد الاستجمار بالأحجار يعنى عنه ما لم يعد المخرج . والثانى طين الشوارع وغبار الروث
في الطريق يعنى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب التلطيح به إلى
تفريط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الحنف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعنى عنه بذلك الحاجة .
الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا تجاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فليسته .
الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضى الله عنه برة على وجه

فخرج منها الدم وصل لم يفسد وفي معناه ما يترشح من لطخات الدمايل التي تدوم غالباً وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يغفلها الإنسان عنها في أحواله ومسامحة التبرع في هذه النجاسات المحس تترك أن أمر الطهارة على التسهيل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها .

(الطرف الثاني في الزال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما المائعات فلا تزال النجاسات حتى منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتناحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم يتنجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً»^(١) وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجارية للتغير نجسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفصلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقفاً من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة لما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليهم ميثار الوساوس اشتراطاً للقلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لم يمر سبب للشقة ويعرفه من تجربته ويتأمله وما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصرح في أنه لم يبول إلا على عدم تغير الماء وإلا فتجاسة النصرانية وإنائها غالباً تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا للذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعمار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إماء الله^(٢) وعدم تقطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السناير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلقى الماء النجاسة بالورود عليها أو يورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإحانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد وليت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصغاء الإماء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل للرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التطييل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج والشكر . [بيان أرباب للرتبة الثالثة وهو توحيد للقرنين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه وللأسالك التي يصبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بمحصوله كإقذاره المزين العلمي واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط للستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في حين ذلك التوحيد وقته وحقيقته وكيف يتصور للأسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

والحد الثالث في غمرات ذلك التوحيد وما يلحق أهله به ويطعون عليه بسببه ويكرمونه به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناه وحبه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وإياه عني رسول الله

شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر في الفرق وإن جرت في الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع قلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يشتر منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تغلبل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الحالية يتوأسفها المتقشفون ويضمنون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ريحه » (١) وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلية عنه فكذلك الحبل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بطله طعمه أولونه أو ريحه فهذا للعار وقد أشار الشارع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يمول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يظلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الفسالة وفي الماء الجاري وفي إصفاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاق له نجسا ولا ينجس بالفسالة ولا ببولغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » فهو في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير . فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها يمكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويضمنون الأواني النجسة فيها ثم يرددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فإن قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حقا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهنا من سيرة الأولين وحسن المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكيمة وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت غبية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا أن يلحق به فهو معفو عنه بعد الحلت والقرص أما الرائحة فيقاؤها يدل على بقاء العين ولا يبقى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يصير إزالتها فالذلك والمصررات متواليات يقوم مقام الحلت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير نونه أو طعمه أو ريحه . من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقدرناه بدون الاستثناء دونت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره .

والزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة ييقن فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث : ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسنّها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجدته وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والمدول أيضا عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتله جاز وكذلك بذيله وأن يتق الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهب الرياح في البول استنزاهها من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بستان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمين في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه » (١) وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : يا عمر لا تبول قائما » (٢) قال عمر فابلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في القنصل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في القنصل إذا جرى للماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبيل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنضيع والترتلات وإمرار اليد على أسفل القضيبي ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أحفهم استبراء أقفهم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه « علنا رسول الله ﷺ كل شيء حق الحراءة فأمرنا أن لا نستنجي بظلم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بفائط أبول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

صلى الله عليه وسلم بقوله « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وجميع ذلك محصور في اثنتين العلم بالعبادة والصلح بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الحافظة والسرف في تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم العامة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبها بالرمز تارة وبالتصریح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالما من شرك التعصب بيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد ، وأما الحد الثالث فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن . قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٣) حديث عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله ﷺ كل شيء حق الحراءة فأمرنا أن لا نستنجي بظلم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بفائط أبول » (٤) حديث قال في البول لعمر (٥) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٦) حديث قال الترمذي غريب قلت وإسناده صحيح (٧) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الاتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفی أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٨) حديث سلمان علنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حق الحراءة الحديث م وقد تقدم في فواعد العقائد .

سبيل التذكار لاطي
التعليم إنما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه محض النص
للخلق واستفادهم من
غمرة الجهل والتكيب
بهم من مهاوى العطب
وقودهم إلى معرفة هذا
للقيام وماوراء مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأكبر وفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السعادة فمن عجز عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالغالب عليه
الوصول إن الله لا يضيع
أجر من أحسن عملا
ومن وصل شاهد ومن
شاهد علم وذلك غاية
الطلب ونهاية الرغبة
والمحسوب ومن قصد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله للمجاهدين على
القاعدين أجرا عظيما
ومن غاب لم تنفعه
الأخبار ولم يفده
كثير من الأحاديث
وأبضا فان الأخبار
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحسبك نعمن الحراء قال بلى وأيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد الددر
وأستقبل الشيخ وأستدير الريح وأقمى إقواء الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ ثبت طيب الرائحة
بالبادية ، والإقواء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فلذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك .

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لمعدته بثلاثة أحجار فلان أنقى بها كفى والاستعمل رباعا فان أنقى استعمل خامسا لأن الإقواء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم القعدة قبل موضع النجاسة ويمر بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر
كذلك ويمر به إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيدبره حول السرة إدارة فان عسرت الإدارة ومسح
من المقدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ومحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل للمسح فان حصل ذلك بمرتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصاد على
الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجاسة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فظهره أن
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن
فرجي من الفواحش ويدلك يده بمحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أئتمى الله بها عليكم قالوا كئنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدئ
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك (٤) »
فينبى أن ينوى عند السواك تطهير فيه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر
فليوتر متفق عليه في حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن
يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف
ورواه ك ومحمه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر
وقول النووي تبع لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم
(٤) حديث إن أفواهكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث على ورواه موقفا على
وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم
في كتاب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك ومحمه والبيهقي وضعفه من حديث
عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» (٢) أي صفر الأسنان «وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا» (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء» (٤) وقال عليه السلام «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» (٥) وقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلم (٦). وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بغضب الأراك أو غيره من قشبان الأشجار مما يخن ويزيل القلع ويستاك عرضا وطولاً، اقتصر فرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبها وعند تغير النكبة بنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى» (٧) أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتضمض بها ثلاثا ويغترغ بأن يرد الماء إلى الفلصة إلا أن يكون صائغا فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة التذكر لك ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي راحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه التزعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تحذيف الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشهور الأربعة الحاجبان والشاربان والعداران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والعداران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما السكيفة فلا وحكم العنفة حكم اللحية في السكافة والحفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب دوال بغوي من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الحطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند دت وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت. من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقلت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب.

والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجري بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لمرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه في منازل الرضة وبسده بالجللة والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود والألوف ومبايسته لكل ما نشأ عنه ولم يشاهدوا غيره من محوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يعمل عليه مثل كما قال عز وجل: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحكي عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم ينكشف له شيء من علمها وحققها

من اللحية ويدخل الأصابع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل ويتقيهما قد روى أنه عليه السلام فعل ذلك (١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجود أعدائك ويغسل اللحية الكسيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يفسل يديه إلى مرقبيه ثلاثا ويحرك الحاتم ويطيل الفرقة ويرفع الماء إلى العضد فاتهم بمحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل (٢) » وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء (٣) ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبي حسابا يسرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن ييل يديه ويصق رءوس أصابع يديه اليمنى اليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل طي من بركاتك وأظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحته في صمخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من القل يوم القيامة (٤) » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يفسل رجله اليمنى ثلاثا ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويغتم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء نغم على وضوئه بختام ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « تواضعا عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء (٥) » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يتدنون في الدعاء والظهور (٦) » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الظهور (٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

(١) حديث إدخاله الأصبع في مجازر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتماهد الملقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من القل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث تواضعا ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له . ومن رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والظهور . وابن جبان وك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلا .

في الدنيا وإضافا لوجاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد ويتطرق إلى من أهل الغفلة وذوى القصور رجوع وتبعد فلهذا أمرنا بالكتم إشفافا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم « لا تعذبوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة » وعلى هذا يخرج قول المشايخ إفشاء سر الرواية كغفر رزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير إنه ولي كل صالح وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه في كتب الرواية والدراية ومثلت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير محبوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يعلموه والعلماء

إن أول ما يتبدى الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضجك بالناس في الوضوء يقال له الوهمان ويكره أن يفيض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلم وجهه بالماء لطماوكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه ^(١) » وروت عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ^(٢) » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال به سهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه وتقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجسيص ظاهر الباب البرانى من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للعنت واليوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات ^(٤) » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ^(٥) » وقال ﷺ « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء ^(٦) » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ^(٧) » وقال ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرفائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما ود من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطنى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يذلوله ويملوه فلانريد فيه ههنا قولاً ولما كان حكم الحد الثالث السكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعد إلى محدودات الشرع فلئن اللعان إلى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فقول : أرباب المقام الثالث في التوحيدوم القربون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجملة فكلمهم نظروا إلى المخلوقات فأواعلامات الحدوث فيها لأئحة وعانوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة وسموا جميعها تدل على توحيدده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم ، وشاهدوه بغير أرواحهم ولا حظوا إجلاله وجماله بغير أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشجار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى السجدة وصلاته نافلة له ^(١) » وروى « إن الطاهر كالصائم ^(٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا إذا كرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبع طي ما قبضت عليه .

(كيفية الفسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوء للصلاة كما وصفنا لإغسل القدمين فإنه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم بذلك ما قبل من بدنه وما أدبر ويغسل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف وليس على المرأة تقص الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعمد معاطف البدن وليتق أن يحس ذلك في أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الفسل فلا يعيده بعد الفسل فهذه سنن الوضوء والفسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الفسل أمران النية واستيعاب البدن بالفسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما يتطرق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والفسل الواجب بأربعة بخروج الماء والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كفسل العيدين والجمعة والأعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب .

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعلطش رقيقه أو كان ملكا لغيره ولم يعبه إلا بأكثر من ثمن الثلث أو كان به جراحة أو مرض أو خاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د . من حديث الصانعي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند من من حديث أبي هريرة وعمرو بن عتبة نحوه مختصرا (٢) حديث الطاهر التام كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر التام كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند من دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والثيلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور. خفت أو كثفت ومجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلمس ظهور أصابع يده اليمنى يطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأمان من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقبض بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمررها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويغسل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به القرض فله أن يتنفل كيف شاء فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم الثانية وهكذا يفر لكل فريضة بتيمم والله أعلم.

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نوعان أو سائح وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسبة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالنظيف عنه مستحب بالفصل والرجل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غبا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أي ليصنعها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل نثر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع.

الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات اللعقة المتسقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القاع فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالفصل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهي سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبا الترمذي في الثمائل بأسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثمائل أيضاً بأسناد حسن من حديث يحيى لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند دت ن من حديث عبد الله بن مغفل التهي عن الرجل إلأغبا بأسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل نثر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث دت وابن حبان من حديث جابر بأسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطوًلاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الثمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت .

والفناء والبقاء ، ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لقوى الأفهام من فمس النهار وقت الزوال وعلمت لم يمي أهل هذه للربة مقرين فذلك لعدم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لها في هذا الفن إحدى الحالتين عمام البصرة وانطاس القلب والحلوة عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعداً مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والنزل الواجب وموضع العبادة والأنس والاقطاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومطمان الاقتراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتغال القلب وانقاس الصدر بنور اليقين والمعرفة

والعقل وعمارة البيت
بمشاهدة ماغاب عنه
أهل الغلة والاهو
ولكنه يدل على أنه لم
يصل لملك يقول أرى
بعض أئمة الكلام عن
لحوق هذا المقام كأن لم
يضر بوا فيه بسهم ولم
يفر قدحهم منه بحظ
ولاسهم وأرام عند
الجمهور في الظاهر
وعند أنفسهم أنهم
أهل الدلالة على الله
تعالى وقادة الخلق إلى
مرادهم ولجاهدون
أرباب النحل المردية
واللؤلؤ الضالة المهلكة
وقد سبق في الإحياء
أنهم مع العوام في
الاعتقاد سواء وإعنا
فارقوم بإحسانهم
حراسة عقودهم . فاعلم
أن ما رأيت في الإحياء
صحيح ولكن بقي في
كشفه أمر لا يخفى على
المتبصرين ولا يغيب
عن الشاذين إذا كانوا
منصفين وهو أن
التكلمين من حيث
صناعة الكلام قطع لم
يفارقوا عقود العوام
وإنما فارقوم بالجدل
عن الانغماس والجدل
علم لفظي وأكثره

وكان على عريض اللحية قدماء ما بين منسكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها
« اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في الحب يسوى من رأسه
ولحيته قفلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه
إذا خرج إليهم ^(١) » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيها
للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من
وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدرية نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا
تستغفره أعينهم فيفترهم ذلك ويتعلق الناقدون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم
تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب غرة الناس عنه
والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالترزين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة البالالة بالنفس محذور وتركه شغلا
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتليس
غير راجع عليه بحال وكمن جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم
إرغام المبتدعة والمجاهدين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم
يعثر مافي القبور ويحصل مافي الصدور ، فقد ذلك تتميز السيكة الخالصة من البهجة فتعود بالله
من الحزى يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب
لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك القوضون وسخ فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم ^(٢) . السابع تنظيف الرواجب ^(٣) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
وسلم العرب بتنظيفها وهي رءوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها
المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً ^(٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار ^(٥)
وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قاله
كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجكم وقلحاً لا تستاكون مرأتمك
بذلك ^(٦) » والأف وسخ الظفر والتنف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تعبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأته يطلع في
الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر ^(٢) حديث الأمر بغسل البراجم
الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجكم ولا بن عدى في حديث
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا تواضاً ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطل
عنك جبريل قفيل ولم لا يبطي وأتمم لا تستنون ولا تفلون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا
تنقون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش ^(٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً من حديث أنس ^(٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من
حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألت عن الوسخ الذي
يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك ^(٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه
جبريل قاله كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا حديثين

تحت الظفر من الوسخ وقيل لاتأذى بهما كما تأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويدكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما وقال بعضهم بشئ البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتماطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقبيس التحريم إذا لحق مس السوائين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يضرب بصره عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهي عن السكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لحوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن يسكر حراما يرهق السكر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عن ذرا بل لابد من الذكر فلا يغفلوا قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعصى وذلك يؤثر في تبحيح الأمر في عينه وتغيير نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تغلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يبدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تحلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أغضب رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بمصاصة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن فمشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب تزيينا للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجبول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد الموضين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الحثيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الحلوة أو يتكلف تحلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمهتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يغلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويفعل الجناحين عند الدخول ولا يجعل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه للأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مثونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبضه إلى جهنم فانه أشبه بيت مجهم النار من تحت والظلام من فوق فعوذ بالله من ذلك ، بل الماقل لا يفضل عن ذكر الآخرة في لحظة فاتها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دار معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والتجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وهمى وهو عمل النفس وتخليق القهم وليس بشرة المشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والثقل وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الحضم والقام للشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم للضارح للضرورة بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من القيوب ومن أين للنازل طي النازل ومال العالم الكلام مثل هذا القام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والمدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينقص على ذوي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع عليه فيما مضى من الزمان إليهم لا يقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواء بما هوأعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم في وقته من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشبث كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والنازعة لهم والسعي في اجتناع الكلمة على السنة بعد اقترابها وإهلاك ذوي الكيد في احتيائهم وإخعاد نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكري للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب الصاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة اللقاة في الدنيا إلى مدة اللقاة في الآخرة استحقها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بافظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقرىبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يسله انسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكاذه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تصحمت بي (١) ثم منها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفى اللثة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بولة في الحمام قائماني الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تبدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من القرمس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا تنقأ أو مريضته دخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمنزلة سابع ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على الكروه .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل القوابل على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمنزلة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللعامة من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال إلا بالازار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو نساء .

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب القامات ووصف قه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامية أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذى بلغة من الميث فكيف إن كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الأحاد والزبغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء وللرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادى على التمسك وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلييبا . الثاني شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «حفوا الشوارب وأعفوا اللحى» (١) أي اجعلوها حفاف الشفة أى حولها وخفاف الشىء حوله ومنه - ونرى الملائكة حافين من حول العرش - وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - إن يستلكموها فيحفكم تبخلوا - أى يستقصى عليكم وأما الحلق فلم يردوا الحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربته فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال القيرة بن شعبة «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لى على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليه وطرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستز القم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى أى كثروها وفي الخبر «أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم» (٣) غالفوهم» وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة . الثالث شعر الأبط ويستحب تنفقه فى كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود تنفقه فى الابتداء فأما من تعود الحلق فيسكه الحلق إذ فى التنف تعذيب وإيلام والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء . لأنه لا يمنع وصول الماء . وأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيا فى أظفار الرجل وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليط والزجر عن ذلك ولم أرقى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذوالبصرة فقايتة أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذى لاح لى فيه والعالم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هى المشيرة

(١) حديث قصوا وفى لفظ جزوا وفى لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ أحفوا ولمسلم من حديث أبى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث القيرة ابن شعبة نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه لى على سواك (٣) فى الشمائل (٤) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم غالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يارسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سباليهم فقال قصوا سباليكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والشهور أن هذا فعل الجوس فى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى الجوس أنهم يوفرون سباليهم ويحلقون لحاهم غالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظفاركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البداة فى قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والخنصر بابهامها وفى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالي وشنع عليه به .

في كلتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتبدى بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستقامت الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرية فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويقيم إبهام اليمنى فيختم به التعليم وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تنجبه هنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الأخص على الأخص بأبواب الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تتكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم نخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عايناه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أقواله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يترد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاندماج والتقديم فان الاسترسال مهما كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الانسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين ^(١) » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوتها بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يغلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجناف بالكحل وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق . فان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لسكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذا الوتر مع الوتر زوج ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء ^(٢) وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق ماراها صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر قسى بما سمعته مالم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا لليمنى

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد

ضعيف (٢) حديث لا يكتحل في كل عين ثلاثا قال الفزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند

الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

وكما لا يقال في الصدر الأول قهواء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لعلبة الجهل على أكثرهم فلولا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات واقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذهم عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضى الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهلهم ويرجع البلاد والعامه إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والبعوث لدعوة الحق عليه

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل للمال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشفر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الحنّان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم « يا أم عطية أشمى ولا نهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر لئلا الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقتت الفضة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمين بشفته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها قليل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الحلقة ويطلق ألسنة الفتاين بالبذال فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيته فان التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طال اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتصفها وتصف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتزيحها تصفا لأجل الرياء وتركها شعثا إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجا بالشباب وإلى يابضها تكبرا بعلم الدين وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبه بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشرّ شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الحنّان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث بن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا نهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر : وغيروا هذا شيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى يابض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر العدو والغزوى في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم يؤكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والمعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مرآشدم وصلاحهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال المعموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدر على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بعامه ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم عمال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيف والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يغضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرسه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضرباً وقال غررت القوم بالشباب ولبت عليهم شيبتك ويقال أول من غضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يغضبون بالسواد كعواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة (١) »

الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تليسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب للسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢) » وكانوا يغضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والسكر للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهاراً لكثرة العلم فلنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكبر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فحق يذكرهم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبياً - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب قليل أهوشين فقال كلكم يكرهه (٣) » ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخلجه بضر سنة كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه (٤) »

وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تترنكم اللحية فان التيس له لحية ويقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يغضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب للسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قليل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله قليل الخ ولمسلم من حديثه ومثل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله ببيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة قليل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

القلم يتعلم منه . وقال طي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك . وقيل لأبي عمرو بن العلاء أحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجاهل يبيع به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه عثى خلف بطة الشافعي يا أما عبد الله تزكت حديث سفيان بعلوه وعتشى خلف بطة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت عثى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلوه أدركته بزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلوه ولا نزول . الرابع تنف يياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن ^(١) » وهو في معنى الحصاب بالسواد وعلّة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بعضها يحكم المبت والموس وذلك مكروه ومشوه للخلقة وتنف الفتيكين بدعة وهما جانبنا العنفة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان يننف فنيكه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان يننف لحيته وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرء فمن التسكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن تنفها سببها ملائكة يقسمون والذي زين بن آدم باللحي وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غرب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تسكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يمرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له وتفضيلا . السادس تنفصها كالنعية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحام كذب الحامة ويرقبون نعالهم كالمنجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصديين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الحنك وذلك بيان هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفلة لظهور الزهد . التاسع والمائس النظر في سوادها وفي يياضها بين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال طي ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس ^(٢) والمضمضة والاستنشاق ^(٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وتقليم الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكعب يعني الاستنجاء قال مسعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبي د . من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت طي قواء عبد إبراهيم وقال للأصهار أماترون أن يذهب النار بالشاء والبعر فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توفيق ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود

على سواء فقد كان بيان
شارات الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين فيما
خصوا من المعرفة في
هجيرهم فكان هجير
أبي بكر الصديق رضى
الله عنه : لا إله إلا الله
وكان هجير عمر رضى
الله عنه : الله أكبر وكان
هجير عثمان رضى الله
عنه : سبحان الله وكان
هجير علي رضى الله
عنه : الحمد لله فاستقرى
السابقون من ذلك
أن أبا بكر لم يشهد في
الدارين غير الله سبحانه
وتعالى فلذا كان
الصديق ومسمى به كما
علمت وكان يقول
لا إله إلا الله وكان عمر
يرى مادون الله صغيرا
مع الله في جنب عظمته
فيقول الله أكبر وكان
عثمان لا يرى التنزيه
إلا الله تعالى إذ الكل
قائم به غير معرى من
النقصان والقائم بغيره
معلول فكان يقول
سبحان الله وعلى
لا يرى نعمة في الدفع
والرفع والعتاء وللنع
في المكروه والمحبوب
إلا من الله سبحانه
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب^(١) وأربعة في الجسد وهي شف الابط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء قد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة
الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولتتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف
منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في ربيع المهلكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير
القلب منها إن شاء الله عز وجل . ثم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء
الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غفر العباد بطاقتهم وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السناء
الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في
السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب
ورفع الحجاب فرخص للعباد في الناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم
يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضمفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم
الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه
المصطفى ووليته المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصاييح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة
عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقداسة صينا في فن الفقه في بسيط المذهب
ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريحها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة
للفنق منها يستمد ومعلولا له إليها يفرغ ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه
من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص
والنية ما لم تجر العادة بذكره في فن الفقه، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل
الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة
منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس :
في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها .
(الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى
يخرج مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأتم بقوم وهم به راضون ورجل أذن في
مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة^(٢) »
وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة^(٣) »

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر عنصرا
وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس
ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة غ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه» (١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» (٢) وذلك مستحب إلا في الحيلتين فانه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وإيتنا المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سميد بن السيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة للكتابة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفاف بحضن» كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بياض أحداً كمن يغتسل فيه كل يوم خمس مرات لما ترون ذلك يبق من درنه قالوا لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر» (٥) وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود التهمة والصبح لا يستطيعونها» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يصب الله شيئاً من حسنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين» (٨) وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لو أقيمت» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة» (١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راعى ومنهم ساجد ومنهم قام وقاعد» (١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ح ب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولها نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود التهمة والصبح مالك من رواية سميد بن السيب مرسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيعاً للصلاة لم يصب الله شيئاً من حسنة وفي معناه حديث أول ما يغاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبراني في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعه من حديث عمر قال لك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلياً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر.

وأهل هذه الرتبة على الجلة في حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد للقرنين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة وتمسكون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبداية ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم . فان قلت أليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والالاه ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه للرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والروق من مصدر العقل ما ينفي عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر »^(١) « أى قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه يلقتها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برى » من ذمة محمد عليه السلام^(٢) « وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توشأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يسمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوطه حسنة ونعمى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . ويروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل البعيد يوم القيامة الصلاة »^(٣) « فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ »^(٤) « وقال بعض العلماء مثل للصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك للصلى لا تقبل له نافقة حتى يؤدى القريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها .

(فضيلة إمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى »^(٥) « وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة »^(٦) « وقال عليه السلام « إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض »^(٧) وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »^(٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »^(٩) « وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .
 (٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حمى من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتى (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تختبئ لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البهيقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المبر في القل من حديث أبي أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول وجهه وجه حمار أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى في عوالى مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الله يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه وجه حمار .

التخيل للولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يمد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تقلب إلى القدم ولم تتعد بالفاععل ولا اعترى الولى تخيل تخيل ما لا حقيقة له وإنما هو ولى مجتبه وصديق مرتضى خصه الله تعالى بعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف قلبه مالوراه يصره عيانا ما ازداد لإيقنا وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل أحدا من خلقه لما أظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فقتبت الخلق بمبارك وكلهم بمصائبك وفضلت نفسك على الجميع إذ لاسبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم يخص فإذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف قلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يصبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلفت الثوب الخلق فيضرب بها وجهه^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته^(٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكبال لمن أوفى استوفى ومن طغف قد علم ما قال الله في اللطفين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة^(٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناما في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوثهم^(٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوثهم يحزم الحطب ولوعلم أحدهم أنه يجد عظامينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة^(٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخوا إنه إن تعوجت قومى وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان يأتى حتى أريت أن لى فضلا لى غيرى لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى الماء . وقال النخعي مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكبل الماء في البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فزاني أبو إسحق البخارى وحده ولومات لى ولد لى زاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من مع النادى فلم يحب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن عملا أذن ابن آدم رصا صا مذا با خيره من أن يسمع النداء ثم لا يجب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقبل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءة من النار^(٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذى وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة قد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا ينيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينسأ ولا في حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شغله ونومه كما لا يفقه في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو مجادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدره وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات ليست لغير الوصف الذى هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا حكان يوم القيامة تحشر قوم وجوههم كالسكوك البري فتقول لهم اللاتسكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنصار فيقولون بعد السؤال كنا تنوذاً قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجدة . وروى أن السلف كانوا يمزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ^(١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم سجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة ^(٢) » وروى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال ^(٣) » أعني بكثرة السجود ^(٤) » وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً ^(٥) » وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمن في وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصيت في النار ^(٦) » وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجادة وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبيرة ما أتى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث غفر ساجداً وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأتم الصلاة له كرى - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب للراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عندهوله الحول والقوة وهو الصلي العظيم [فصل] وأما معنى إفساء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيماً لما أتى به للنبي وتعظيماً لما ارتكبه ويعترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذي مى على معناه سائر وهذا للنبي للسر ناشر وأبى النشر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذا حين بأن يقال ليس الكفر الشرعى تابع للاعتقادي وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وأرتكاب التهي فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة منفضل يقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج»^(٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال «ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت الناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو التقصود والبتنى عظيمة ولا هيبة لما يقيمت ذكرك»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع»^(٤) أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه - وقال تعالى - واتقوا الله ويصلحكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا»^(٥) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»^(٦) اشتغالا بعبادة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»^(٧) وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته» وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه»^(٨)

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن يزيد في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بغير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طبري وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن المنكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جامع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتابه الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهريش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك أصما يني عن وصف والثانية من جهة التصرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب عقوبة والتصرع قد ورد بشكر للنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفتطن لخداعها واحسرس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنهه كان كمن كتم ما أمر بشهره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التصرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب التي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمه أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فمأس الإنسان تشابه صماء العالم من حيث

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالخصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بشئ الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالخصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك اللهاب في صلاتك فخطبها قال لأعود نفسي شيئا يفسد عليّ صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلفظي أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربّي فأتحرك لتبابة. ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تعمدوا أنتم فاني لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزول ويثلون وجهه فقبل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحلتها ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا تواضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي بتركك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجله، يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيتني أجل له في الجهل حلا وفي الظلمة ذكرا وفي الظلمة نورا وإنما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تبيس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت للموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالانحلال ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة السجدة وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنما يصمّر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة»^(١) وقال عليه السلام «من ألقى من ألف المسجد ألفه الله تعالى»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «اللائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد»^(٥)

- (١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث - من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة
- (٢) حديث من ألقى المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الحديث في السجدة الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو
سماء وحواسه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فضي بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيض مسلك
للدركات وروح
الانسان مشابهة
للشمس فضاء العالم
ونور نباته وحركة
ضواريه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الإنسان به صل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجلست
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالتهار
وتقرب بالليل وجلست
الروح وسط جنم
الانسان وهي تقيب
بالنوم وتطلع باليقظة
ونفس الانسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى في آخر الزمان ناس من أمقى يأتون للساجد فيقعدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوم فليس لهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتى في أرضي للساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لبدن تطهر في بيته ثم زارنى في بيتى فحق على الزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأى من الرجل يتنادى للسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن السيب من جلس في المسجد فأتى بجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا وبروى في الأثر أو الخبر « الحديث في المسجد يأكل الحنات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن لكى في الليلة للظلمة إلى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل لللائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وقال صلى الله عليه وسلم « وجهه إذا مات العبد يضيء عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ - لما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقال ابن عباس يبكى عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها صلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلهمهم .

(الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغى للصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحبث في البدن وللسكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة وبراوح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قلة الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين مما ومنه قوله تعالى - مفرنين في الأصفاد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما راعيه في رجله عند القيام وراعى في ركبتيه ومعقده نطاقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتى في آخر الزمان ناس من أمقى يأتون للساجد فيقعدون فيها حلقة حلقة ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود و « من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) » حديث قال الله تعالى : إن يوتى في أرضي للساجد ، وإن زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ابن جبرائيل فتقول لللائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول ابن قراء القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسنده ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأى من الرجل يتنادى للسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه . و « وصححه من حديث أبي سعيد (٤) » حديث الحديث في المسجد يأكل الحنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثانى)

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفد في الصلاة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب القريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافا فدميه فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها وعو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه وعو النفس في أن ليس عقلها منها ويمتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتمتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فخلت للشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيها ذكرناه ما يحصل به قدوى القول تشبيه وتثليل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إذ قد كثر الخلاف في ذلك فاعلم أنه إنما على الإنسان أن يني كلامه على ما يعلم لا على ما يجمل وأنت لو علت النفس والروح علت أهما اثنان فان قلت قد سبق في الإحياء أهما شيء واحد وقلت في هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح فالله سبق في الإحياء ورأيت في هذه الإجابة وهو شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن وذلك أن لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لا يبعد أن يكون لها معنى آخر يفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الإضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه نبأ بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد متكلم فاعلم

وأغض للبصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلى عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصل و حدود الخط وليدع على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا امتوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصناً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أودى فريضة الظهر لله ليعزها بقوله أودى عن القضاء وبالقرضة عن النفل وبالظهر عن الصبر وغيره وتلك معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يمزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالهما بحيث يهاذى بكفيه منكبيه وبأهاميته شحمتي أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإهاميته إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يفضها ولا يتكلف فيها تحريكاً ولا ضمها بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ قل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدين في مقرهما ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على مافوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة ويضرب للسبعة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالأبهام والخنصر والنصر على كوع اليسرى وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالارسل أليق فانه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليقل مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكل مقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا يفضهما عن يمين وشمال فضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليدين على الثمال بعد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رءوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول و د من حديث وال بن حجر باسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجداً تصرع ضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وال يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د هما كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يهاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى التي هي للغاية تدل باليمنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ باسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك يساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء كبر ورائه ألفا كأنه يقول كبر ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يبتدىء بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهت وجهي إلى قوله وأؤمن للسلطين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامعا بين مفرقات ماورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدىء فيها بسم الله الرحمن الرحيم بتام تشديداتها وحروفها ، ويبتدىء في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة وبمدهامدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهز بالقراءة في الصبح والغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن لما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماوات البروج وما قابرها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كأوصفنا في أول الصلاة .

(الركوع ولواحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يشبهها وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافي مرفقيه عن جنبيه وتضم الرأفة مرفقها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثا وزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (٤) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنيه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د ه من حديث جابر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجعفي وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يفت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلهه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدره بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفى الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تبين ما بين الصورتين بأبمد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الإسماء للفظ بها لا غير وفرار أن ثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تستقد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبا مطلقا ومعناه تتيقن أنك من للشبهين لامن للزهين

على قسك بالتشبه
معتقدا ولا تشكر كاقيل
كن يهوديا صرفا وإلا
فلا تلعب بالتوراة أى
تلبس بدينهم وتريد
أن لا تنسب إليهم أى
تقرأ التوراة ولا تعمل
بها وإن كنت تعتقد
الصورة الباطنة منزلها
مجلا ومقدسا مخلصا
أى ليس تعتقد من
الاضافة في الضمير إلى
الله تعالى إلا الأسماء
دون للماني تلك الماني
للسما لا يقع عليها اسم
صورة على حال وقد
حفظ عن الشبل راحة
الله عليه في معنى
ما ذكرناه من هذا
الوجه قول بليغ مختصر
حين سئل عن معنى
الحديث فقال خلقه الله
على الأسماء والصفات
لا على الذات . فان قلت
فكذا قال ابن قتيبة
في كتابه اللروف
بتناقض الحديث حين
قال هو صورة لا كالصور
فلم أخذ عليه في ذلك
وأقيمت عليه الشناعة
به وإطرح قوله ولم
يرضه أكثر العلماء
وأهل التحقيق . فاعلم

عند الموى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبهي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركناه وأن يضع
بعض يديه ثم يضع بعضهما وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يحافى مرقبيه عن جنبه
ولا تفعل للراءة ذلك وأن يفرج بين رجله ولا تفعل للراءة ذلك وأن يكون في سجوده مخويا على الأرض
ولا تكون للراءة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على
الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام
فلا بأس ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب (١) فإنه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى
الأعلى ثلاثا فان زاد الحسن إلا أن يكون إماما ثم رفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه
مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على غزبيه والأصابع منشورة
ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى ووافنى واعف عني
ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التيسيع ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا جلسة
خفيفة للاستراحة في كل ركعة . لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في
حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام
بحيث تكون الماء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتناؤه على اليد للقيام وراء
أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط ارتفاعه
ولا يغلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى وبعد التعمود كالأولى .

(التشهد)

ثم يشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده
اليمنى على غزده اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلى السبعة ولا بأس بأرسال الإبهام أيضا ويشير بمسبحة يمينه
وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة
وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء للأئمة (٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول
لكن يجلس في الأخير على وركة الأيسر لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله
اليسرى خارجة من تحت وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول
السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليميني ويلتفت
ثملا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه
الملائكة والسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم (٣) ولا بعده مدا فهو السنة
وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى
الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صلاته القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء
الاستفتاح والتعمود كالمنفرد ويجهر بالقائحة والسورة في جميع الصبح وأولي المساء والقرب وكذلك
المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك للمأموم ويقرن للمأموم تأمينه بتأمين الامام معا
لا تقيا ويسكت الامام سكتة عقيب القائحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ للمأموم القائحة في الجهرية في هذه
السكتة ليتكلم من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ للمأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

(١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث
أنس (٢) حديث الدعاء للأئمة بعد التشهد من حديث على في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون
من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة
إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل
(٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعه ابن القطان .

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمد عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم ولللائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وقمائه واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا وبجر به ويؤمن القوم ورفضون أيديهم خلف الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التبقيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإتمام (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن الواصلة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والفضبان والتئم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإتمام فهو عند أهل اللغة أن يجلس على ركبة وينصب ركبته ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإتمام ت ه من حديث علي بسند ضعيف لا تقع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن غلبة الشيطان ولك من حديث سمرة ومحمه نهى عن الإتمام (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة د ت ك ومحمه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شمرنا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار د ك ومحمه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن الواصلة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسره الفزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن ه فقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن و د من حديث أبي هريرة لا يحل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بمحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المنصف تبعاً للأزهري بمدافعة الفائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب القريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التئم في الصلاة د ه من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطى الرجل فاه في الصلاة زواه الحاكم ومحمه قال الخطابي هو التئم على الأنفواه .

أن القدي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضاً عنه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس من تبويخ قوله وليس هو القدي ألمنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تفصيل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة أنه لم يفرع سمعه هذه الدقائق السقي أشرفنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالمبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث القدي هو موجب عند ذوى التصور تشبيها وبين التأويل القدي ينفية فأثبت للشي المرغوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فبركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم قهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويده في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يمحطهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكعب فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكعب في شعر الرأس فلا يصلح وهو ناقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا » (١) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكعب . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما اللواصة فهي خمسة اثنتان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنتان على للأوم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمة بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة القرض بالتسليمة الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الحنف الضيق فان كل ذلك يمنع من الحشوع وفي معناه الجائع والمهم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب » (٢) وفي الخبر « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلح أحدكم وهو غضبان » (٣) وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتأوب والحكك والالتفات والعبث بالشيء » (٤) وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه » (٥) أو يفرقع أصابعه » (٦) أو يستر وجهه » (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلها بين فخذه في الركوع » (٨) وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك قهينا عنه ويكره أيضا أن ينفع في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلح أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتأوب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتأوب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسل الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي الحديث وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يغتله الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التأوب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (٥) حديث النهى عن تمليك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ث ح نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهى عن تقيع الأصابع في الصلاة من حديث علي باسناد ضعيف لا تضع أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهى عن ستر الوجه دهك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن ينطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهى عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا قمه قهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب .

عنه وأرادني ماخاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لا قطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإنك بالوادي

القدس طوى - أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فإنك على هداية ورشد والوادي القدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما قدس الوادي بما أنزل

فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالمقصود ما حذف لا ما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لما وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أي سر قلبك لما يوحى فطقت بعد على النار هدى ولطكت من

يسوى الحصى يده فانها أفعال مستثنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سئل ذلك الحائط لم يقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تميز الفرائض والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض و سنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير . والقيام والقائمة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتك ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا يجب وماعدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية خسر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والاقتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم ينفذها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم ينفذ بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول . والصلاة في النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمناها في اسم السنة فلهذا درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فبصر عن ذلك بالبعض وقيل الأباض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تنقض سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فقدم تلك الأذكار لا تكفير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقائمة وبمجزأ عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأثور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتيهما ولن يكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سرا دقات المرء تتأدى
بما نودى به موسى إلى
أنار بك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد للزبد وحوادث
الصدق وتجار المعارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الأذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو لقاء
بواسطة ملك أو لقاء
في روع أو مكاشفة
بحقيقة أو ضرب مثل
مع العلم بتأويله
ومعنى لعلك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تدرك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسرا دقات المجد هي
حجب للكسوت وما
نودى به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبادة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إننى أنا الله لا إله
إلا أنا وللنادر باسمه
أزلا وأبدا هو اسم

موسى لما صي السالك
الوجود في كلام الله
تعالى في أزل الأزل قبل
أن يخلق موسى لا إلى
أول وكلام الله تعالى
صفة لا يتغير كالأشياء
هو إذ ليست صفاته
للصنوية لغيره وهو
الذي لا يحول ولا يزول
وقد زل قوم عظم
اقتراحهم وهو أنهم
حملوا صدور هذا
القول على اعتقاد
اكتساب النبوة وعبادة
الله من أين يحتمل
هذا القول ماحلوه
من اللذهب أليسوا
وهم يعرفون أن كثيرا
من يكون بحضرة
ملك من ملوك الدنيا
وهو يخاطب إنسانا
آخر قلد ولاية كبيرة
وفوض إليه عملا عظيما
وجاءه حياء خطيرا
وهو ينادى باسمه أو
بأمره بما يمثل من
أمره ثم إن السامع
للملك الحاضر معه غير
الولي لم يشارك للولي
الخاوع عليه والفوض
إليه في شيء مما ولى
وأعطى ولم نجب له
بسماعه ومشاهدته

كالخاجين واللعبة والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس
الخاجين وسواد شعر اللحية والأهدب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون
فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورها الشروع وتبدينا باكتسابها فروحها وحياتها
الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع
والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والسكبد إذ يفوت وجود الصلاة
بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى
اليدين والمئين والرجلين ولا نفوت الصحة بفواتها كما لا نفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن
يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الحلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل
ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات
وهي ما وراء السنن تجري مجرى أسباب الحسن من الخاجين واللحية والأهداب وحسن اللون .
وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الخاجين واستدارة اللحية
وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة
من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك
الحيرة في تحمين صورتها وتقييحها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فقلبها ولا ينبغي أن يكون
حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بغيرك من أوصاف السنة إلا أنه
يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يسطل وجود الانسان ولكن
يخرجه عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكذبا ينبغي
أن نفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي
الحصم الأول على صاحبها تقول ضيمك الله كما ضيعت فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان
الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولقد كرفي هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر للعالى الباطنة وحدودها وأسبابها
وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون سالحة تزداد الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغلبة تضاد
الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين -
نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تطمأنا ما تقولون - تطمأنا تهى السكران وهو مطرد
في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمكن
وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة « إنما » لتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام
« إنما الشفعة فيما لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن
الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بئدا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى
الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة ربه قائم
ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد ربه قائم حظه من صلاته السهر وإساده حسن .

صل الله عليه وسلم «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(١) والتحقيق فيه أن الصلّى مناجاة ربه عز وجل^(٢) كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ويأتي أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم فاهل القوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أضالته شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أضالته أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محال ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً له واهراً أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما يتحقق للمدة والفرج بالاسم في الصوم وكما يتحقق للبدن بمشقة الحج ويتحقق للقلب بمشقة إخراج الزكاة وانقطاع القلب للعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهليلج ما أخفه على الناظر فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله لهدن الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلاناً وأثنى عليه وأساءه حاجة ثم جرت الألفاظ للهالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم ير في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً به ما لم يكن هو حاضر في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في رياض النهار غافل لكونه مستغرق في المهم فكرياً من الأفكار ولم يكن يقصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر باراً في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطبة هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطبة ولسانه يتحرك بحكم العادة لما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيف القلب وتجديده ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كرو بالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معطاً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معطاً لغيره لموضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معطاً للعائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من الشقة ما يقصد الامتحان به ثم يحمله عماد الدين والفصل بين الكفر والاسلام ويقسم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظيمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود الناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرايين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أى الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أضالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اعتراط حضور القلب . فإن قلت إن حكمت يطلان الصلاة وجلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم لم يشترطوا

أكثر من حظوة القرية
وشرف الحضور ومنزلة
للكاشفة من غير
وصول إلى درجة
المخاطبة بالولاية
وللقوى إليه الأسر
وقد كان هذا السالك
لذكر إذا وصل في
طريقه ذلك بحيث
يصل للكاشفة
وللمجاهدة واليقين التام
الذي يوجب المعرفة
والعلم بتفاصيل العلوم
فلا يتنع أن يسمع
ما يوحى لغيره من غير
أن يقصد هو بذلك
إذ هو محل صماع الوحي
على الدوام وموضع
للاشقة وكفى بها أنها
الحضرة الربوبية
وموسى عليه السلام
ما استنقى الرسالة
والنبوة ولا استوجب
التكليم وسماع الوحي
مقصوداً بذلك بحلوله
في هذا المقام الذي هو
المرتبة الثالثة فقط بل
قد استحق ذلك بفضل
الله تعالى حين خصه
بمعنى آخر نرى إلى
ذلك المقام أضماً
لجواز للرتبة الرابعة
لأن أخسر مقامات

(١) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نسر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الهذلي في مسند القردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما ينهى عنه (٢) حديث الصلّى مناجاة ربه متفق عليه من حديث أنس .

إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل ونزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع قد قل عن جرير بن الحارث فيارواه عنه أبو طالب للسكي عن صفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متمعدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سديسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ^(١) » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسكه به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما قل من هذا الجنس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يصح عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيختص أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحق أشد حالا من الذي يمرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر خطيرا في نفسه فإليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما يشكف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقما للريد الطالب لطريق الآخرة وأما الجادل للشكيب فلنسا قصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك وبقدرة الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كتل حى لأحراك به نسأل الله حسن العون .

(بيان الغاني الباطنة التي تم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه الغاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها استجل وهي حضور القلب والفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونفى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما استغرق الفكر من غير ما هو فيه وكان ^(١) حديث إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سديسها ولا عشرها الحديث دن حب من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لأن هذا المقام الذى هو للربة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مبادئها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والظعن على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه محاسب بظنه وبقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته خلاصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فإن قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - قد نبه أن تكليم الله تعالى لمن

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم الماني للقرآن والتسيجات وكمن معان لطيفة يفهمها الصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من القرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان العظيم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه زادكم من معظم ملوكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استئثار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهتك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللا بل جائلا فها الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بمقاراة الدنيا ومهماتنا حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه الهمة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك المولا الذي يده الملك والملكوت والنفع والضرب فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصي في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسيبه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أغنى التزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ومالم تنقطع تلك اللواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تنصرف له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يستقد عظمته لا تدع عن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخسستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المرفقين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان للسكنى عن غيره الأمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فعالة للنفس تولد من المعرفة بمقدرة الله وسطوته وتقوذه مشيئته فيه مع قلة البلاء به وأنه لو أهلك الأولين وآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرحيل إنما هو على سبيل البالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بغير ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجبنا أنه كلمه قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه ليس من يسمع كلام إنسان مثلاً مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا للمشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

ما يجري على الأنبياء والأولياء من الصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والمهية وسيأتى أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربح النجيات . وأما الرجاء فسيبه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف منحه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبثت من مجموعهما الرجاء لاهالة . وأما الحياة فباستثماره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويحوى ذلك بالمعرفة بعبوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبت دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياة فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فملاجه إحضار سيئه ففي معرفة السبب بمعرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليتمين أعنى به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب الصلوة وبقدر اليقين ينشع القلب ولقد ألت قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونعنده فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنفض أعضاءك وكن عند ذكرى خاضعا مطعنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا ألت بين يدي قمم قيام الصلوة الدليل وناجي قلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصلاة أمتك لا يذكرونني فاني آلت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالجنة » هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم ينب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضافته مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع مجزئهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو مثل عمن حوالبه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدّر على الاخبار عنه لا فتخال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالبه ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه ومغليظه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويعوت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من آتى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان الدواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن اللؤم لا بد أن يكون معظا لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيما من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدرة قوة بيقينه فانفك كما عنها في الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتهميم خاطر وغية القلب عن النجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون النبي للرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الداني القديم بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقي في روعه ومما ينادى به في سمعه أو سره وأغياه ذلك كما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتا كالشبور وهو القرآن فإذا صبح ذلك فتباين القامات اختلف ورود الخطاب لموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذي هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضروري وسمى ذلك الذي سمعوه كلامه إذ كان دلاله عليه كما تسمى التلاوة وهي الحروف المتلو بها

إلا الحواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يفرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يقبضه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا لبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يله ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يقض بصره أو يصل في بيت مظلم أولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويعتزل من الشوارع وفي المواضع المفقوشة للصنوعة وعلى الفرش للصبوغة ولذلك كان للتجددون يتجددون في بيت صغير مظلم سعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم ولئلا يلهيهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا تزعه ولا كتابا إلا يحماه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفيده ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره وبينه على ذلك أن يستمد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف للنجاة وخطر القام بين يدي الله سبحانه وهو الطلوع ويغري قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهجمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تحمر القدر الذي في البيت (١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء الممكن فلا ينجيه إلا للسبل الذي يجمع مادة الداء من أعماق المروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضرم عليه من إخراجها فيخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيضة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها زعما بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبي جهم فانها ألهتني آتفا عن صلاتي واتوني بأبجانية أبي جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شركائه فله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له ثوبين سبطين جرداوين فلبسهما (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

- (١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحمر القدرين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحجري وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيضة وقال اتوني بأبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقيم في العلم .
(٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى فعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى
إذ هي دلالة عليه . فإن
قلت لما يقى على السامع
إذا سمع كلام الله تعالى
الذي يستفيد معرفة
وحدانيته وقته أمره
ونبيه وفهم مراده
وحكمه يلحقه العلم
الضروري فيها أرى
بأنه الشيء المرسل
إلا بأن يشتغل باصلاح
الخلق دونه ولو كان
عوضا منه آخر
عنه ومقامه مقامه ؟
فاعلم أن الذي أوجب
عشورك ودوام ذلك
واعتراضك على العلوم
بالجهل وعلى الحقائق
بالتخيل إنك بعيد
عن غور اللطاب بعيد
في شرك اللطاب بعيد
صوب الصوت عتيد
صحب السحاب إن
الذي استحق به
الناظر السالك الواصل
للمرتبة الثالثة سماح
نداء الله تعالى معنى
ومقام وحال وخاصة
أعلى من تلك الأولى
وأجل وأكبر وبينهما
ما بين من استحق
للمواجهة بالخطاب
والقصد به وبين من

لا يستحق أكثر من
سماعه من يخاطب به
غيره فهذا من الإشارة
باختلاف ورود
الخطاب إليهما بما
يوجب قورا وتباين
ما بينهما فإن فهمت
الآن وإلا فقد عني
لا ندر به حال؟ فإن قيل
ألم يقل الله تعالى - فلا
يظهر على غيره أحدا
إلا من ارتضى من
رسول - ومما كلام
الله تعالى بحجاب أو
بغير حجاب وعلم مافي
للكون ومشاهدة
للائكة وما غاب عن
الشاهدة والحس من
أجل الصوب فكيف
يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام
حذف يدل على صحة
تقديره الشرع الصادق
والشاهدة الصورية
وهو أن يكون معناه
إلا من ارتضى من
رسول ومن اتبع
الرسول بالإخلاص
والاستقامة أو عمل بما
جاءه النبي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم^(١) » وروى « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجر فأعجبه
دبى طائر في الشجر يلتصق بخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدركه صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من القته ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضمه حيث شئت^(٢) » . وعن رجل آخر أنه صلى
في حائط له والنخل مطوقة بشعرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركه صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال
هو صدقة فاجله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة الطل ولا يفتى غيره فأما ما ذكرناه
من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كذا فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمهم التي لا تشغل إلا حواس
القلب فأما الشهوة القوية للرقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتتغنى
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن ينفوله فكره وكانت أصوات الصافير
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويمود إلى فكره فتمود الصافير فيعود إلى التقير بالخشبة
فقيل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب الصافير إلى الأشجار وانجذاب القلب إلى
الأقدار والشغل يطول في دفعها فإن الدباب كلما ذاب وآب ولأجله سمى ذبابا فكذلك الحواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يغلو البعد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
ليستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوله لذة النجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لامحالة إليها معه ولكن مع
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة
استبشمت الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين
لا يجحدوا أنفسهم فيها بأموال الدنيا فجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليتسلم لنا من الصلاة شطرها
أو ثلثها من الوسواس لتكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخلل لا محالة ولا يجتمعان .

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فقول حقا إن كنت من الرايدين للآخرة أن لا تنفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما
والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشم بظاهرك وباطنك
للإجابة وللإسراع فإن السارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فاعرض
قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه
يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال^(٣) » أي أرحنا بها
وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتممتها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث رمية بالحاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاتم كان ذهبيا ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن
أباطلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه
بالحائط . الك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال
قط في الطل من حديث بلال ولأبي داود ومعه من حديث رجل من الصنعة لم يسم باسناد صحيح .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه
أن ينكشف إليه
وقال « إن يكن منكم
محدثون فمصر » أو كما
قال « للؤمن ينظر
بنور الله » وفي القرآن
العزيز - قال الذي
عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك -
فلم ما غاب عن غيره
من إمكان بيان
ما وعد به وأراد أنه
قدر عليه ولم يكن
نيا ولا رسولا وقد أنبا
الله سبحانه وتعالى
عن ذى القرنين من
إخباره عن العلوم
الغيبية وصدق فيه حين
قال - فإذا جاء وعد
ربى جملة دكاء وكان
وعد ربى حقا - وإن
كان وقع الاختلاف
في نبوة ذى القرنين
فالإجماع على أنه ليس
برسول وهو خلاف
السطور في الآية
وإن لم أحد للدافعة
بالاحتيال لما أخبر به
فذا القرنين وما ظهر
على يدي الذي كان
عنده علم من الكتاب
وأراد أن يجوز على

الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك
الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك
في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر مبدوك . وأما ستر المورة فاعلم أن معناه تغطية مقايح
بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق لما بالك في عورات باطنك وفشاح
سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح بياك وطالب نفسك بسترها
وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر وإنما يفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك
وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام البعد المجرم المسيء الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه
من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى
أقرب أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمراقه عز وجل ليس مطلوبا منك هيات فلا مطلوب
سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للباطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالآليات في جهة واحدة
حتى لا تبني على القلب فانها إذا ثبت وظلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استبتمت القلب وانقلب
به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة
البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال
صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم
ولدت أمه (١) » وأما الاعتدال قائما قائما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن
رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطا متكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبها
على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التروؤ والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام
بين يدي الله عز وجل في هول اللطع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله
عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن
معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائنة من رجل
صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك
وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من
نفسك بالهناك عند ملاحظة عبد مسكين فحاسب نفسك وقُل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه
أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق
أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه
كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله
عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك
لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه باذنه إليك في النجاة
مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا

- (١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدت أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من
قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسله حق
بزائدة ابن عمر في السند وفي الطلق عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لو روده من حديث
سعيد بن زيد أحد الشجرة .

تاجي وعند هذا ينبغي أن يشرق جبينك من الجبل وترتعد فرائصك من الهبة وصفر وجهك من الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كاشد على الناقين في قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فإن كان هوأك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فهو شك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان الجهرى وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وغضوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهي للذي فطر السموات والأرض وليس للراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجهه بذكره عليه وإعنا وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاعلتك للنجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صدقا ، وإذا قلت حيفا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن السلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتقدم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت أما أنا من الشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من الشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه وإذا قلت بحياى ومعاى لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهته من الموت لأمر الله لم يكن ملائما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومهزهد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لمن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استمادتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقته فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يبيذه إلا بتبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يبيذه مجرد القول فليقرن قوله بالعزم على التعمد بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحسنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيها أخبر عنه نبينا **صلى الله عليه وسلم** « لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصي أمن من عذابي » ^(١) وللتحصن بمن لا معبود له سوى الله سبحانه فأنا من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل . واعلم أن من مكابده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدير فعل الخيرات لينمك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وبواس قاذرة اللسان غير مقصودة بل للقصد عما فيها . فأما القراءة فالتناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى اللسان أولا ثم يخدم اللسان القلب

(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصني كفي التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث على بن إسماعيل ضعيف جدا وقول أبي منصور الديلمي إحداهت تبت مردود عليه .

عمر التشبه بالحقائق لما يصنع فيها جرى للخضر وما أنبا الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول - إلا من ارتضى من رسول - فدل على أن في الآية حذف مضاف معناه ما تقدم وانظر إلى ما ظهر من كلام صدر رضى الله عنه أنه يرى لللائكة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما في البطن وهي من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز التأويل ويلهو للمعانند هذا والقول بتخصيص المصوم أظهر من الجبرأة وأشهر مما قل الكافة ويعتمد أن يكون المراد في الآية بالرسول للذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنجلي العلوم وتنكشف الصيوب فحق لم يرسل الله ملكا بإعلام غيب أو مخاطب متافهة أو إلقاء معنى في روح أو ضرب مثل

في يقظة أو مقام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو مقام فإنه يطالع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها نفسه ولا مخلوق سواه إلا بالله تعالى حين أرسل إليه للملك بذلك وبمشة الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون مقامه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من

فترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب وللمترجمون لسانهم ترجمان يبيع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة اللغوي أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن للراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو بقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده قصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتضع لك رحمة فينبعث بها رجاؤك ثم استر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بأعانه وأنه له لئله إذ وثقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من الطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فمضى سؤالك ولا تطلب إلا أم حاجاتك وقل أهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويغضى بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصائبين ثم التمس الاجابة وقل آمين فإذا تلاوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيها أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » (١) يقول الصمد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعدته وعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاتعاظ حق الوعظة والشكر حق ذكر النعمة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرار بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعده سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه اللغوي بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين قناته في آية الرحمة والعذاب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمتسجعي عن أن يذكره بكل شيء لا يطبق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » (٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق دت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

رسول أي عن يد
رسول من الملائكة .
[فصل] ومعنى ولا
يتخطى رقاب الصديقين
إن قلت ما الذي أوصله
إلى مقامهم أو جاوز به
ذلك وهو في الرتبة
الثالثة حال للقرنين
ما وصل حيث ظننت
فكيف يجاوزه وإنما
خاصية من هو في رتبة
الصديقين عدم السؤال
لكثرة التحقق
بالأحوال وخاصة من
هو في رتبة القرب
كثرة السؤال طمعا
في بلوغ الآمال ومثالها
فيما أشير إليه مثا
إنسانين دخلا في بستان
أحدهما يعرف جميع
أنواع نبات البستان
ويتحقق أنواع تلك
الثمار ويعلم أسماءها
ومنافعها فهو لا يسأل
عن شيء مما يراه ولا
يحتاج إلى أن يخبر به
والثاني لا يعرف مما
رأى شيئا أو يعرف
بعضا ويجهل أكثر
مما يعرف فهو يسأل
ليصل إلى علم الباقي
وذلك من تكلمنا
عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على الصلي ما لم يلتفت ^(١) » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبيع التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا صلياً يبث بلحيته « أما هذا لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعي والرعية ^(٢) » وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع المصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سوره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجد عند هذا ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيبرا بفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجهدا في ترفيق قلبك وتجهيدا خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد كده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فاقبل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدل وإذا وضعت نفسك موضع القدر فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فتجد هذا جدد على قلبك عظمت الله وقل سبحان ربّي الأعلى وأكده بالتكرار فان الكثرة الواحدة ضيفة الأثر فاذا رقت قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمة تتسارع إلى الضعف والدل إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فقد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك للملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يلغى ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما واقفا بمدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدنبيه صلى الله عليه وسلم وبالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة تكملي الشهادة ومستأنفا لتحسينها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء للأئمة مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على الصلي ما لم يلتفت د ن ك وصح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لما قبله على أصل وفسره للصف بالقلب والجوارح .

أسطوانة في السجدة وهو في الصلاة وتأكل كل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه قليل إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشئ من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شئ أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من قبه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتوني قصت من حدودها شيئا قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ^(١) » ويقال إن طلحة والزيرو طائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال طي النبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدرى طي كم ينصرف إلى شفع أم طي وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاه في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثمًا . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كإدلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دل عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل ^(٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجما مني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه ^(٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صغوفهم ونيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتفسون على قلوبكم باطل ما تذهبون إليه ^(٤) » وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم للرفع عنه وهو عند (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انتفى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مراسلا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بإسناد صحيح.

أكل صنعا ولو كان وأدّخره مع القدرة كان ذلك مجزا يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادرا عليه كان ذلك مجزا يناقض القدرة الإلهية فكيف يقضى عليه بالعجز فما لم يخلقه اختيارا وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال إذا خار إخراج العالم من العدم إلى الوجود مجزئ مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيرها بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجها من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا أنها ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم بجاري أفعاله ومصادر أموره وأن تتحقق أن كل ما اقتضاه ويقضيه عن خلقه بملء وإرادته وقدرته إن ذلك طي غاية الحكمة ونهاية

فهذه صفة الخاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد واقهأعلم نسال الله حسن التوفيق .
(الباب الرابع في الإمامة والقعدة)

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رءوسهم : العبد الأبق وامرأته وزوجها ما خط عليها وإمام أم قومها ومهله كارهون » (١) وكأني عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدم إن كان وراءه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك للدافعة قد قيل إن قومًا دافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخصف بهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيب إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاحهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المعتدين لأسباب في جهره بالقراءة فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خير للرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان ولقوله ﷺ « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » (٢) فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » (٣) وفي الحديث « فإن أتم فله ولهم وإن قص فعليه لأعلمهم » (٤) « لأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » (٥) « والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد له مغفرة وفي الخبر « من أتم في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » (٦) ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمامة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » (٧)

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رءوسهم : العبد الأبق الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكى عن ابن للدين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتم فله ولهم وإن اتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بنية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بمحدثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أم الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن في العراق والشارح لفظا وإن في الوضعين فليحرر الحديث اه .

الاتقان وبلغ جودة الصنع ليجعل كالماخلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله الوجبة لإجلاله فلو كان ماخلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولولم يخلق لكان يظهر النقصان الدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهموما وعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق البين وأيضا فلا يعترض هنا ويتز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أتمتكم شفاعتكم أوقات وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا أخباركم » (١) وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من الماء ولا بعد الماء أفضل من الأئمة للصليين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بصناد الدين وهو الصلاة وهذه الحاجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لديننا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) « وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان » (٣) « وما روى أنه قال له رجل يا رسول الله « دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل يا إمام » (٤) « فله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصل في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ، ولما فاتته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها » (٦) « ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإماما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى قامت رسول

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أتمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا أخباركم قط هو وضعف إسناده من حديث ابن عمر والنفوى وابن قانع والطبراني في معاجهم ولك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلى وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لديننا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بجانب ولأني مرض فرضينا لديننا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وللرفع منه متفق عليه من حديث عائشة وآبي موسى في حديث قالوا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما للرفع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه تم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى قد كبرت سننى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فاني عليه فقال عمر فممن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يا رسول الله دنى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخارى في التاريخ والحقيل في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلي الصلاة في أول وقتها ولم تحته الحديث الدارقطني من

(١) قول الراوى تقديم الصحابة بلالا لعل للناسب عدم تقديمه فليأتمل

أصلا في العلم أو كان نسخا له ومعنى تيسر عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان السلم في حق الخبر إذ أفشاء لتسير أهله وأهده لمن لا يستحقه كإروى عن عيسى بن نينا وعليه السلام لا تملقوا الدرر أعناق الخنازير . وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها تظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها تظلموها وأما سر العلم الذى يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب صغيفة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كن

الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفتنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢)، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره. الرابعة أن يؤتم غخلا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في الترايع وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. وأما الأمانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغار فالترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك مجرده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواء كان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان «صلى خلف كل بر وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لولديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق. الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليفت يمينا وشمالا فإن رأى خلا أسرا بالتسوية، قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة في الخبر «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلبا لفرغ القلب. السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيره الإمام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم. وأما وظائف القراءة فثلاثة: أولها

حديث أبي هريرة نحوه بأسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة. (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكره بأسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوما إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصامه، تذكر من حديث جابر: يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد النعم الدياجي منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النبي عن مدافعة الأخبثين م لمن حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهي لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدهوا بالعشاء متفق عليه.

أيهما ك فلا يحتاج إلى تبزائد ولا نصية مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وإن كان كشفها من غير استروح الضعيف إلى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل إلا على ما يقدر لاهل ما يوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشيء لامتناع غيره كما يقال لو كان للإنسان جناحان لطار ولو كان للنساء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد السموات فعلى هذا يخرج كلام سهل في ظاهر العلم. [فصل] وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر قديما نذب الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد جاء في أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفي حديث

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالتفرد ويجهر بالقراءة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولاي
العشاء والمغرب وكذلك للتفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم
تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقياً (١) ويجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار
الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكيات (٣) هكذا رواه سمرة بن
جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً هن إذا كبر وهي الطولى منهن
مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم
الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرأوا فاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه
لأعليهم . السكينة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكينة الأولى فاتحته وهي
كنصف السكينة الأولى . السكينة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك
بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة
فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه وللقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية بعده
أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من الثاني
مادون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتفليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا
بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر
على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض
أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر
موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي
قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ
من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث
ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً
منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب
وعمران بن حصين في سكيات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سكيات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى
أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند والمعروف أن
عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من السند وده ح ب وت فأنكر ذلك عمران وقال
حفظاً سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سكتتان ولكن اختلف عنه في محل
الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى
صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ فاتحة الكتاب في سكتاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما
انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين
وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية -
ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا
آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون -
و من حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا
بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك
فقال أخطأ الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه .

إني صلى الله عليه وسلم « اسكن أحد
فإنما عليك نبى وصديق
وشهيدان » وقال بعضهم
اسأل الأرض تخبرك
عن شئ أنهارها
وجر بحارها وتقي
أهواءها وترقى
أحواءها وأرسي جبالها
إن لم تحبك أجابتك
اعتباراً وإنما الذى
يتوقف على الأذهان
وينحصر في قوله
السامعون وتتعجب
منه العقول هو كيفية
كلام الجملات
والحيوانات الصامتات
ففي هذا وقع الإنكار
واضطرب النظر
وكذب في تصحيح
وجوده ذوالسمع من
الاعتبار ولكن لتعلم
أن تلقى الكلام للعقل
ممن لم يعقل عنه في
الشهود يكون على
جهات من ذلك سمع
الكلام الدانى كما تلقى
من أهل النطق إذا
قصدا إلى نظم اللفظ
وذلك أكثر ما يكون
للأنبياء والرسل
صلوات الله عليهم في
بعض الأوقات كحين

الجذع النبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبته ومنها تلقى الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويصير هذا سائر الحواس كشكل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والثال للرقى للنائم ليس له وجود في سمعه وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى ينادى المسلم يا مسلم خلني يهودى فآتله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في العادة من اللائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في المرض الأكبر يوم

يطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٢) » وقد كان معاذ ابن جبل يصلى بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافع الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال أفتان أنت يا معاذ أقرأ سورة تسبح والسماء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيجات على ثلاث قد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، ثم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكننا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كننا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالمثل هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في المأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا ينحس نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن ينحس نفسه ولا بأس بأن يستعبد في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنه الحيا والمات ومن فتنه السبع الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاحها متفق عليه من حديث أم الفضل .
- (٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهي عند البهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد ووضفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرًا لم أجده أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فحرننا في ركوعه عشر تسيجات وفي سجوده عشر تسيجات .
- (٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التوعد في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه التزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه مسح العين أي مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يغم حتى ينصرفن^(١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢) . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل اقتال الإمام فقد روى عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وآتتها لإشيتا واحدا أنك لما سلمت لم تغفل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن يغفل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من بينه وبينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فريد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن للمأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضي عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فقرأه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت^(٣) فإذا صح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التمويل على التوقيف وبينهما يضاف ذلك أن لا يدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة غصوة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لا يفتى بالدعاء وأما أعلم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله الوفي .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاختغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه^(٥) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره^(٦) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرقوا عنه وهدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعله عبدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع^(٧)

بآخر الصلاة ولترمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك قننة فأقبضني إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابش وصحبهما وسيأتي في الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر باسناد ضعيف . (٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن وك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم للنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحجاب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في الشرح وفيها سمع غيبة ومقتنع . ومنها تلقى الكلام في العقل وهو الاستفاد بالمعرفة السموع بالقلب للقيوم بالتقدير على اللفظ للسمى بلسان الحال كما قال قيس : وأجهشت للتوداد حين رأيته

وكبر للرحمن حين رأيته قلت له أين الدين عهدتهم حوالبك في عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن الذي يبقى على الحدائق

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يرضى عليك ربك لتكون لك عبداً ولأمتك من بعدك . قلت لساناً فيها قال لكم خير ساعة من دها فيها خير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره له ما هو أعظم منه أو نحو من شر هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوه في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أبيض من اللسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين طي كرسبه فيجعل لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يمير عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك نسميه لللائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجمعيم تسمر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسمر فيه (٥) » وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواوم يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفي ثنة القبر (٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فإن وقت تسليمه الإمام في وقت العصر ثلاث الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أربعا والسبوق إذا وقت ركعته الأخيرة خارجاً من الوقت ففيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبراري وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل ، يجمع أربعين ممن تازمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تنقصد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحراراً مقيمين لا يظنون عنها شتاء ولا صيفاً فإن انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلا يصح أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن السبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الأفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة يضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعي في السند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في اللطال والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلت الجمعة سلت الأيام حب في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجمعيم تسمر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبي قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفي ثنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وث نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمرو قال غريب ليس إسناده متصل . قلت وصلته الحكيمة في النوادر .

وفي أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقى فقال الوتد للحائط سل من يدق فلو كانت العبارة تتأني منها ما عبرت إلا بما قد استمر لها وعلى هذا المعنى حل كثير من العلماء قوله تعالى إخباراً عن السماء والأرض حين - قالتا أتيننا طائمين - وفي قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأعففن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأي أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان تطوانيتان يلبي وتحييه الجبال والله يقول ليك يا يونس » قوله كأي بدلة على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه صفت

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممها ظهرا .
 الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقه بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
 في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
 أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوا فالمسجد الأقدم
 فإن تساوا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام
 فيهما فريضة والجلوس بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأقوله الحمد لله والثانية
 الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
 فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
 وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
 والكلام لا ينقطع إلا باقتراح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
 السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
 أو العزة والمنبر لا يثبت بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
 ولا يستعمل غرب اللثة ولا يعطط ولا يتنفس وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
 آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
 حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
 ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
 البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
 نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
 لسبب الطر والوحل والفرغ والمرض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى
 أصحاب الأعداء تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
 أو عجز أو امرأة صحت جميعهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
 بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله
 عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
 ويصل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأعمال التي
 تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
 يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
 كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهل في هذه الليلة أو في يوم الجمعة قد استحب ذلك
 قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل ^(١) » وهو حمل
 الأهل على غسل قبل مناء غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال
 ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيامان الجمعة
 من انتظارها ورطاهما من الأسوأخفهم نصيامان إذا أصبح يقول إيش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة
 (١) رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحسنه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وأبكر الحديث وحسنه ت .

وفي هذا الحديث إخبار
 عن الوجود الحياي
 في البصر والوجود
 الحياي في السمع
 ومنها تلقى الكلام
 بالشبه وهو أن يسمع
 السامع كلاما أو صوتا
 من شخص حاضر
 فيلقى عليه شبه غيره
 مما طاب عنه كقوله
 عليه السلام في صوت
 أبي موسى الأشعري
 إذ سمع يترنم بالقرآن
 « لقد أعطى زممارا
 من زمائر آل داود »
 وزمائر آل داود قد
 عذبت وذهبت
 وإنما شبه صوته بها
 وكذا إذا سمع للريد صوت
 زممار أو عود فجاء على
 غير قصد يتخيل صرير
 أبواب الجنة وشبهها
 بما جأ صوته من ذلك
 فهذه مراتب الوجود
 فأنت إذا أحسنت
 التصرف بين أساليبها
 ولم يترك غلط في
 بعضها يرض ولا
 اشتبهت عليك وصمت
 فمن نظر بمشكاة نور
 الله تعالى إلى كاعده
 وقد رآه أمود وجهه
 بالحبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أيضاً
أشقر موحاً والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سودت وجهك
فقال سل الخبر فانه
كان مجهولاً في الهجرة
التي هي مستقرة ووطنه
فافر عن الوطن
ونزل بساحة وجهي
ظلماً وعدواناً فقال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
للمراجعات أحمل الفكر
وجدد النظر وحل
الكلام إلى أجزائه التي
ينظم منها جملة ما بقلبك
فسأل عن معنى الناظر
ومعنى المشكاة ومعنى
نور الله سبحانه
وما سبب أنه لم يعرف
الناظر المكتوبة
والكتوب وبأى لسان
خاطب الكاغد وكيف
غاطبة الكاغد وهو
ليس من أهل النطق
وفيما صدق الناظر
الكاغد ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيبدو لك
ههنا من الناظر هو
ناظر القلب فيما أورده
عليه الحس وللشكاة
استمارة من مشكاة

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداءً بالتسل بسطلوع الفجر وإن كان لا يكره فأقربه إلى الرواح
أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة فالتسل مستحب استحباباً مؤكداً وفهب بعض العلماء إلى
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » (١) وللشهور من حديث نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما « من آتى الجمعة فليغتسل » (٢) وقال عليه السلام « من عهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسل » (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا للتسابان يقول أحدهما للآخر لآنت أشمر ممن
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لمسان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك
البكور قال لما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن تؤنث وأخرجت فقال والوضوء أيضاً وقد علمت أن
رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالتسل » (٤) وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتسل أفضل » (٥) ومن اغتسل
للجناية فليغسل لئلا على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإنا كتنى بغسل واحد أجزأه وحصل له
التسل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجناية وقد دخل بعض الصحابة على ولهم وقد اغتسل فقال
له ألعجمة فقال بل عن الجناية فقال أعد غسلاً ثانياً وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره
به لأنهم يكنون نواه وكان لا يبعد أن يقال للتصود والنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء
أيضاً وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يطل غسله والأحب
أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وطيب
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاه فإن كان قد دخل
الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل للتصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطيب بها
الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضر في جوارحه « وأحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب
إذا أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا
اليوم روى وثاقبة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب الصائم يوم الجمعة » (٧) فإن أكره الحر فلا بأس بزعها قبل الصلاة وبمدها ولكن لا يزع
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام للتبليغ وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث
نافع عن ابن عمر من آتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث
من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا . حب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر
لمسان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان
(٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث دت وحسنه ون من حديث سمرة (٦) حديث
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه دت وحسنه ون من
حديث أبي هريرة (٧) حديث وثاقبة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب الصائم يوم الجمعة
ط وعد وقال منكر من حديث أبي هريرة ولم أره من حديث وثاقبة

التي أضررت
بسراج النار إلى خبر
للمرفسة للقلب بسر
القلب فيها بها لأنها
مسرحة الرب سبحانه
وقد على شطها بنوره
ونوره للذكور ههنا
عبارة عن صفاء
الباطن واشتغال السر
بطلوع نيران كواكب
للمعارف الداهية بإذن
الله تعالى ظلم جهالات
القلوب ووجه إضافته
إلى الله تعالى على سبيل
الإشارة بالذكر لأجل
التخصيص بالشرف
والكاغدوا الخبر كناية
عن أنفسهم لا عن
غيرها وجعلها مبدأ
طريقه وأول سلوكه
إذ هما في عالم الملك
والشهادة الذي عمل
جولة الناظر في حال
نظره وأما سبب أنه
لم يصرف الكتابة
وللكتوب فلاجل
أنه كان أميا لا يقرأ
الكتاب الصانع وإنما
يؤمن معرفة قراءة
الحط الإلهي الذي
هو أمين وأدلى على
انهم منه وأما مخاطبة
الناظر الكاغد وهو

التي أضررت
بسراج النار إلى خبر
للمرفسة للقلب بسر
القلب فيها بها لأنها
مسرحة الرب سبحانه
وقد على شطها بنوره
ونوره للذكور ههنا
عبارة عن صفاء
الباطن واشتغال السر
بطلوع نيران كواكب
للمعارف الداهية بإذن
الله تعالى ظلم جهالات
القلوب ووجه إضافته
إلى الله تعالى على سبيل
الإشارة بالذكر لأجل
التخصيص بالشرف
والكاغدوا الخبر كناية
عن أنفسهم لا عن
غيرها وجعلها مبدأ
طريقه وأول سلوكه
إذ هما في عالم الملك
والشهادة الذي عمل
جولة الناظر في حال
نظره وأما سبب أنه
لم يصرف الكتابة
وللكتوب فلاجل
أنه كان أميا لا يقرأ
الكتاب الصانع وإنما
يؤمن معرفة قراءة
الحط الإلهي الذي
هو أمين وأدلى على
انهم منه وأما مخاطبة
الناظر الكاغد وهو

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقدام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصا على ما فيهن من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة في الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قدمت لللائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أسد ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر لللائكة إلى الساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألوانهم وراياتهم يباب للساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث إن لللائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وقص بأسناد حسن . واعلم أن للصف ذكر هذا أثران لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطا .

قد سبقوه بالبكور فاعتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتباً لها رابع أربعة ومارابع أربعة من البكور بعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلًا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى يخدم مجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منكم أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال « ما منكم أن تصلي معنا » قال أولم ترني يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وأذيت (٣) » أي تأخرت عن البكور وأذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع القضية قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين يديه أعني بين يدي الصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي الصلي (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل ما دارمديدًا نذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي (٥) » وقد روى في حديث آخر في النار والصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو يعلم النار بين يدي الصلي والحلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والصلي للفروخ حد للصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبي فليقاتله فانه شيطان (٧) » وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرة فرجاً تطلق به الرجل فاستمدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فلي نصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدته . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كإروائه وفي الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة أخذ جسراً إلى جهنم ت وضعفه وه من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منكم أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣) حديث ما منكم أن تصلي معنا فقال أولم ترني قال رأيتك تأنيت وأذيت دن حب لك من حديث عبد الله بن بسر مختصراً (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي الصلي البزار من حديث زيد بن خاله وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لأدري أربعين يوماً أو شهراً أو سنة وه وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل رماداً تنفثه الرياح خير له من أن يمر بين يدي الصلي أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفاً على عبد الله بن عمر وزاد متعمداً (٦) حديث لو يعلم النار بين الصلي والحلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يعقوب السراج في مسنده من حديث زيد بن خاله باسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدفعه فان أبي فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر « غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس ^(١) » ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرًا يعجز عن تغييره من ليس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند اللبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر النصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قريبك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم : كرمنا أحدنوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع ^(٢) » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين الهديين فأما هؤلاء فكلما بدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبي البرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم ^(٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأنما تأخرت رجاء أن ينفرد بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لمن تأخر على هذه النية إثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقطوعة عن السجدة للسلطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول للقصور كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثا أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في قناء المنبر وماطى طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا ينسب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قال : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولنا فله أجران ومن لم يسمع ولنا فله أجر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أومه فقد لنا ومن لنا والامام يخطب فلا الجمعة ^(٤) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخطرقاب الناس دح بك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع دمن حديث حمزة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بانظ من هجرودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي البرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لنا ومن لنا لا الجمعة تأن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لنا فلا الجمعة قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتنبع العطف وتفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم اللكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتسكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شيء حقائق هذه الذكورات وما كره كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يتفنع بسماعه مع عدم الشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجمعة لملك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يخلقك الله بأولى للشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد .

[فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

الملك وبين العلم الإلهي
في عالم لللكوت أن
العلم كما اعتقده مجسما
بطيء الحركة بالفعل
سريع الانتقال بالهلاك
مخلفا عن مثله في
الظاهر محسولا تحت
قهر سلطان الآدمي
الضعيف الجاهل في
أكثر أوقاته متصرف
بين أحوال متنافية
كالعلم والجهل والعدل
والظلم والشك والصدق
والإفك فالعلم الإلهي
عبارة عن خلق الله في
عالم لللكوت مختص
بخصائص خاص
الجواهر الحسية الكائنة
في عالم الملك يرى من
أوصاف مسمى به القلم
المحسوس كليا مصرفا
يتميز الخالق بحكم إرادته
على ما سبق به عليه
في أزل الأزل وإنعاشي
بهذا الاسم لأجل شبهه
بمعمل مسمى به غير أنه
لا يكتب إلا حقائق
الحق والفرق بين عين
الآدمي وبين الله عز
وجل أن عين الآدمي
كما علت مركبة من
عصب استنصى بقاؤها
وعضل تفضل أدواؤها
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ
إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أيا اذهب فلاحمة لك فشكاه أبو ذر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « صدق أبي » (١) وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هينة حتى يتهيأ إلى السمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم
لأن عجز عن الاستماع بالبعد فليصت فهو للسمع وإذا كانت تكرر الصلاة في وقت خطبة الإمام
فالكلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تكرر الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر
ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يرأى في قدوة الجمعة كرهه في غيرها فإذا سمع قراءة
الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد
والمودتين سبعين وروى بعض السلف أن من فطه عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من
الشیطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم صلى بعد الجمعة ست ركعات ، قد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أربعا (٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ستا (٤) ، والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم للسجدة حتى
يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى
للمغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف
الحوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كراه الله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى
على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تنوته الساعة الشريفة
ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من الساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على
الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا نجالسهم » (٥) .
(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يجمع جميع التهار وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصص فلاخير في كلامهم ولا ينبغي
أن يغلو للرید في جميع يوم الجمعة عن الحيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي
أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلاحمة له (١) حديث أبي ذر
لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث حق وقال في العرفة
إسناده صحيح د . من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من
حديث أبي الدرداء أنه سأل أيا ولابن جبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى
من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجمة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع فقال
لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه
(٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا
(٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعا عن علي وله موقوفا على
ابن مسعود أربعا و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتى على
أمتي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسلا
وأسنده لك من حديث أنس وصححه إسناده وحج نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

نهي عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) « إلا أن يكون عالما بالله بذكر أيام الله وبقائه في دين الله يتكلم في الجامع بالعداء فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر^(٢) » إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلا - يعني العلم تعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قاص بقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا^(٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليهم روى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصه وشغلني عن سبحي فصر به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن الرقابة للساعة الشريفة في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه^(٥) » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي^(٦) » واختلف فيها قليل إنها عند طلوع الشمس وقليل عند الزوال وقليل مع الأذان وقليل إذا صعد الإمام للنبر وأخذ في الخطبة وقليل إذا قام الناس إلى الصلاة وقليل آخر وقت العصر أغنى وقت الاختيار وقليل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تقرب الشمس وتخير بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أيها عليه السلام وعليها^(٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدوامي على مراقبتها وقليل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن ربكم في أيام دهركم تفحات لا تعرضوا^(٨) لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متضرعا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك التفحات وقد قال كعب الأحبار إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا تحين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه ت . من حديث عمرو بن عوف للزني (٥) حديث لا يصادفها عبد مصلي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشعب وعلة الاختلاف (٧) حديث إن ربكم في أيام دهركم تفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه بن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

ولحم ممتد وولد غير جلد موصولة كمثلها في الضعف والافتعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال وبمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بمحارة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل للملوم المحدث وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها البين السكتية بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بمرئي ولا عجمي يقرؤه الأميون إذا شريحت صدورهم وتستجمع على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك بين الآدمي إلا في بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريبا إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بلي قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقاتلين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام للتبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتفقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة أداء وأعطه الوسيلة وابته القام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبياً عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين بأرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد آتى بالصلاة المأمورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونواصي بركاتك وشرائف زكواتك وراثك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائداً الخير وفاتح البرّ ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابته مقاماً محموداً تزلف به قربه وتقرّ به عينه يضبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والنزلة الشاهقة اللينة اللهم أعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وتقل ميزانه وأبلغ حجتة وارفع في أعلى للقرين درجته اللهم احشرونا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأحبنا إلى الله وتوفنا على ملكه وأورثنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ما آتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصلياً وينبئ أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضاً مستحب في هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الهمم والهيلة وذات الجلب والبرس والجذام وقتة الدجال (٤) » ويستحب أن يحتم القرآن في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة كجمعة لله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قصد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعباً هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ذن حبة من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما .

[فصل] وحدثنا الملك ماظهر للحواس ويكون بقدره الله تعالى بمضه من بعض وصحة التعبير وحدثنا الملك ما أوجده سبحانه بالأمر الأزل بلاتدرج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحدثنا عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فخير بالقدرة الأزلية بما هو من عالم اللسكوت .

[فصل] ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يرى للحديث سبياً وهو أن رجلاً ضرب غلامه فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قنأه وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الوضع لم يرد مورداً آخر في غير هذا الموضع

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسبعات للست في يوم الجمعة أوليتها بحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢). الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعل لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها^(٥). فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلة أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسيع كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسيع والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة ليناؤه إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط ولا كعب الاجار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث صمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسل قلت لا يصح مسنداً ولا مرسل (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جداً (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وخ الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوتة صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسد سيب بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسل (٦) حديث صلاة التيسيع وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة دة وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال علق وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يميز ويصير فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا لوطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه فيها وجهان: أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والنافقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

به تعالى فمن حملها
على إضافة الملك له
رأى أن المراد بصورته
هو العالم الأكبر بحملته
وآدم مخلوق على
مضاهاة صورة العالم
الأكبر لكنه مختصر
صغير فإن العالم إذا
فصلت أجزاؤه بالعلم
وفصلت أجزاء آدم
عليه السلام بمثله
وجدت أجزاء آدم عليه
السلام مشابهة للعالم
الأكبر وإذا شابهت
أجزاء جملة أجزاء
جملة فالجملتان بلا شك
متشابهتان فالذي نظر
في تحليل صورة العالم
الأكبر قسمه على
أقسام من القصة
وقسم آدم عليه
السلام كذلك فوجد
كل نحوين منهما
شبهين فمن ذلك أن
العالم ينقسم إلى
قسمين أحد القسمين
ظاهر محسوس كعالم
الملك والثاني باطن
معقول كعالم الملكوت
والإنسان كذلك
ينقسم إلى ظاهر
محسوس كالعظم واللحم
والدم وسائر أنواع

السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداً وابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم إلى القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمي وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتندى فيه السفر قد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه ^(١) » وهو بطلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تقوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسببه حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة فهو اضل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بئس الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لفته لحرماته بركة الوقت واتها كه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياق ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى وبحاج للريد إلى معرفتها)

فأما للمسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

[مسألة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل القرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهمات أذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الحشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا تنى عليه إن قتلها وقال ابن السيب يأخذها ويغدرها ثم يطررها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعى إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقها وهذه رخصة والأفالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولقد كان بعضهم لا يطرده الباب وقال لأعود قسى ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي للولك يصرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهمات بلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأول وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجمأ فينبى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبى أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا للضرورة [مسألة] الصلاة في النملين جائزة وإن كان نزع النملين سهلاً وليست الرخصة في الخف لصعوبة النزع بل هذه النجاسة مفعو عنها وفي معناها الداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع قرع الناس نعالهم فقال لم خلعت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل فيهما ^(٢) » وقال بعضهم الصلاة في النملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعت نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على مواقفه وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه ^(٣) » فاذن قد فصل كليهما فمن خلع فلا ينبى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق للوضع ويقطع الصف بل يضمهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والحطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع قرع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راحي هذا للمضى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ^(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما ^(٢) فلا إمام أن يضع ذلك إذا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشتغلانه ولكن قدام قدميه وله للرد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا برز في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يمد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يهتز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة غمامة فغضب غضبا شديدا ثم حكما بروجون كان في يده وقال اتوني بغير فلتقطع أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال أياكم يحب أن يبرز في وجهه قلنا لا أحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة ^(٣) » وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى فلا يبرز أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بضم يعض [مسئلة] لوقوف القتيدي سنة وفرض . أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقتت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يمر إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين القتيدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفي ذلك جامعا لأنه تعالى فلا يعتاز إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد صلاة الامام وإذا كان المأموم على فناء للمسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة قسمهم وكفى بهما رابطة إذ يصل فصل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطى في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد فيدهلها من غير اختطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعروة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام ولين عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاضة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاقة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو في السورة فليطعمها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمواضع بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطعن راكعا في الركوع والامام بد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينة إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعه للنذري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة غمامة فغضب الحديث م من حديث جابر وانفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشياء ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد اتسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للعوالم وإلى عالم السموات وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والإنسان كذلك اتسم إلى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها وللشبهة لعالم السموات فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشياء ذلك وللشبهة لعالم الجبروت فكالإدراكات الموجودة بالحواس والقوى للوجوده بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كغفرا للسامع لا للمعبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا الناس بما لم ينص عليه فلو لم أنريدون

أن يكذب الله ورسوله
 فمن حدث أحدا بما لم
 يصله عقله ربما سارع
 إلى التكذيب وهو
 الأكثر ومن كذب
 بقدرة الله تعالى وبما
 أوجدها فقد كفر
 ولم يقصد الكفر فإن
 أكثر اليهود والنصارى
 وسائر الكفار ما قصدت
 الكفر ولا تنظيره
 بأخسها وهي كفار
 بلا ريب وهذا وجه
 واضح قريب ولا
 تلتفت إلى ما مال إليه
 بعض من لا يعرف
 وجوه التأويل ولا
 ينقل كلام أئمة الحكماء
 والراشخين في السلم
 حين ظن أن قائل ذلك
 أراد الكفر الذي
 هو هيب الإيمان
 والاسلام بتعلق خبره
 وتلحق قائله وهذا
 لا يخرج إلا على مذاهب
 أهل الأهواء الذين
 يكفرون بالمعاصي
 وأهل السنن لا يرضون
 بذلك وكيف يقال لمن
 آمن بالله واليوم الآخر
 وعبد الله بالقول الذي
 ينزه به والعمل الذي
 يقصد به التمدد لوجهه

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فإن ابتداء العصر
 أحزاه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فإن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده
 فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة
 الوقت والله يحسب أيها شاء فإن نوى فاتة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة
 أخرى فليغو الفاتة أو النافلة فعادة للؤدة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك
 فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على نوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة
 في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلق النملين حين أخبر جبرائيل
 عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة
 [مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول أو قبل
 فلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصل ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتي
 السهو قبل السلام فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث
 بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحال به وعاد
 إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر سجد السهو بعد خروجه من السجد أو بعد
 طول الفصل قد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سببا خيل في العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال
 أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتمظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم
 قدام له فلو قال نويت أن أتصعب فأعما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا
 عليه بوجهي كان سفها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبث داعية التعظيم فتقبحه ويكون تعظيما
 إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهرا أداء فرضاني كونه امتثالا كاشتراط كون
 القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون
 تعظيما فانه لو قام مدبراعته أو صبر قدام بعد ذلك بمدة لم يكن تعظيما ثم هذه الصفات لابد وأن تكون
 معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ
 الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب لمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم
 النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه
 التصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الدهن بحيث تطالها
 النفس وتأمليها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للزوب والنفقة
 وإن لم يكن مفصلا فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما
 هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الوجود والمدموم والتقدم والتأخر والزمان
 وأن التقدم للمدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث
 إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو المدم أو تقدم المدم أو تأخر الوجود أو الزمان
 المنقسم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إني أعلم الحادث ومن
 الجهل بهذه الحقيقة يشور الوسواس فإن الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية
 والقرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل
 العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يدفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كما امتثال
 أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحضار هذه
 الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فقدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التسهيل فكيف ما تيسرت النية للوسوس ينبغي أن يمنع به حتى يعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية نفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضلوا بها وبهج عليها الوسواس فذلك تركها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم للأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كالوقوف بحجه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهلا للتابعة في الفعل وتحصلا لصورة التبعية إذ الاتق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكفير فيه قال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يطل الصلاة وذلك بأن يستدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الامام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع للفرد بالوقوف خارج الصف والانسكار على من يرفع رأسه قبل الامام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» (٢) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من رأى من يسى صلاته فلم ينهاه فهو شريكه في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضرب إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغبر أضرت بالعامه وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدره» (٣) وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فمردوهم وإن كانوا أصحاء فماتوهم والعتاب إنسكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنابة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الليث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت المبصرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر مبصرة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند القردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدره لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت المبصرة فقال من عمر مبصرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد للزبد وينيله ما شرف من النعم ويريد أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والايمن لا يخرج عنه إلا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معمول يحصل بمقارنته وليس في إنشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشاءه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متعمد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لاحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثبت من غير تكفير وأنه أيما فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من النوافل من الصلوات)

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونهى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق السلوك ونهى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل للمواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونهى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وصيبت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجلتها زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المرفقة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم واليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(١) ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن تعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو القالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتقصم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويقترب من ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة إذاؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »^(٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تاجتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصلحهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فان قيل

فامعنى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للإلهي سر لوانكشف

لبطلت النبوات

ولنبوات سر لو

انكشف لبطل العلم

وللم سر لوانكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الضملاء

فما قالوا ليس بحق فإن

الصحيح لا يتناقض

والكامل من لا يطق

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأسئلة الرسومة فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آثقا

وناظر إليه إذا أدى

إفشاؤه إلى إبطال النبوة

والأحكام والعلم كفر

فالجواب : أن الذي

قاله رحمه الله وإن كان

مستحكما في الظاهر

فهو قريب المسلك باد

للمتأمل الذي يعرف

مصادر أغراضهم

ومسالك أقوالهم الإلهية

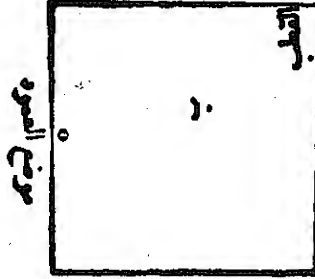
فيه الذكر والفكر والاعتصار على ركعتي الفجر والفرصة . الثانية : رابعة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى مائة مائة ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال بطلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكره أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العصر فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص للتنصبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب الغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة الغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويصل قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القرية من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة الغرب في صوب خط ه ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لالتهمى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث ن ك وصححه إسناداً على شرط م ورواه م مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين
الذي لولا لم يكن نيا
لا يغلو أن يكون
انكشافه من الله بما
يطلع على القلوب من
أنوار الشمس التي هي
قابلة عنها بأن كانت
القلوب ضعيفة طراً
عليها من الجهل
والاصطلام والحيرة
والتيه ما يهر العقول
ويقتد الحس ويقطع
عن الدنيا وما فيها
وذلك لضغفه ومن
انتهى إلى هذه الحالة
فتبطل التوبة في حقه
أن يعرفها أو يستقل
ما جاء من قبلها إذ قد
خلفه عنها ما هو أعظم
لديه منها وربما كان
سبب موته لعجزه عن
حمل ما يطأ عليه
كما حكى أن شاباً من
سالكى طريق الآخرة
عرض عليه أبو يزيد
ولم يره من قبل فلأراه
انكشافه لذلك وكان
في مقام الضغاء من
الريدين فلم يطلق حمله
فأت به وإما أن يكون
انكشافه من عالم به
على وجه الخبر عنه
فتبطل التوبة في حق

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه صورته :

جانب الشرق



جانب الغرب

الثالثة : رتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) فضل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجابا مؤكداً فإن دعوته تستجاب لأحالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كموابته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : رتبة للغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كآبي بن كعب وعبيدة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فباه الناس قتركما قيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما قتركما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي للمستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة للمغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحبة المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعق رقية وأخراها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعق رقتين . الخامسة : رتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر »^(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »^(٢) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »^(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »^(٤) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »^(٥) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »^(٦) حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ركعتين قبل المغرب كان له أجر يومئذ »

الحبر حين نهى أن لا يفتي فأفتى أو أمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه الحصة عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلماذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه . فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه باخباره . قلنا ما بطلت في حقه جميعا وإنما بطل في حقه ما خالف الأمر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تقييد حتى الانشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى إفتاء سر الرواية كسر وأما سر النبوة التي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يسرفها بالحقيقة إلا نبي فإن انكشف ذلك قلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الهبة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكير فيه فيكون كالنبي إذا سئل عن شيء ولو وقت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامعنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٢) فإذا اختار كل مرء من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكرناه أن بعضها أكد من بعض وترك الآخر أكد أبدا لاسيما والفرائض تسكل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر . السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليهما صلى فوقه ركعتين قبل أن يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعني ما سمينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتبجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قيل إن الأيتار بركعة فردة أفضل إذ صبح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الأيتار بركعة فردة وقيل للوصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موطرا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدى في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر ألقاهاكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر سبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس من صلاة كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل فيهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روع فيمود محتراته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجايبها ولا لاحظ للسلوك يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولله ولاهم أن الجنة أعلى النعم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منهي الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منفع المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله للليقات فمن حي وميت ومتحرك وساكن وعالم

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإنها لم تصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر ثلاث مفصلة ففى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث للوصلة الوتر ولكن للوتره منيان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا والآخر أن ينشأ ليكمل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثلاثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأخسهما ولكنها موترتان بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسبأى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالموظبة عليها من عزائم الأعمال وفواضلها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما قل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت على بن أبى طالب رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً (٥) فالأول إما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربه بازاء صلاة العصر فان وقته أن يبقى من النهار ربه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة وما قل عدده من صلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمدكم بصلاته هى خير لكم من حمر النعم وضمه خ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعاً ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف ت وضمه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يشككم فيها بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

وجاهل وشقى وسعيد
وقريب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقير
وغنى وفقير ومأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحد وشاكرو ذكرو
وأنى وأرض وساء
ودنيا وأخرى وغير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به موجود
بقدرته وباق بطله
ومنته إلى أجله
ومصرف بعيشته
وذلك على بالغ حكته لما
أكل جهل من لا يجد
به إلا قدماء ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قديماً
والربوب رباً والملوك
مالكا فيعود الخلق من
خلق الله كره تعالى الله
عن جهل الجاهلين
وتخيل المتوهين
وزيغ الزائغين .

[فصل] وأما حكم هذه
العلوم للكتابة فى
الطلب وسلوك هذه
المقامات ورفق هذه
الدرجات واستفهام
هذه المحاطبات أهى من
قيل الواجبات
والندوبات والمباحات

- تتجاف جنوبهم عن المضاجع - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما لو طافه أهل الأرض لوسعهم (٢) » وسبأ بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يتكرر بشكر الأسابيع)

(وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعد كل نصراني ونصرانية حسنة وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمره وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر (٣) » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فحلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوَّج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يبدوا على ألف قصر من نور يتلأأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقائى عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار (٧) » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنذر مرسل (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بإسناد من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى الدينى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث على وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى الدينى فيه بصير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى الدينى من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى الدينى فيه سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقائى عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار الحديث أبو موسى الدينى بسند ضعيف ولم يقل عند اتصاف النهار

فاعلم أن الشئول عنه على ضربين أحدهما ما هو في حكم البادى والثانى في حكم الغايات فأما الذى هو في حكم البادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم للعامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهى واجبة قال الله تعالى - فأتقوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه . وأما الذى هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم اللواقحة والرضا بالانبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التقرير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنع

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوماً فان مات إلى سبعين يوماً مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات وللמודتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش بإعبد الله استأنف العمل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقة وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه هملني » (١) يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة وصلى على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجياً وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بسدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عديم مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك قهوضاً ثم أصبح الوضوء فصلى سبعة المصحى ركعتين لإيمانا واحتساباً إلا كتب الله مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة » (٣) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حبة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما الليالي ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة وللمودتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كلم الله وعيسى روح الله

ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى الدين وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف جداً (٣) حديث علي بن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جداً ولا يعرف له وجه غير هذا (٤) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جداً .

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تطمئن ولو كان ذلك لما قيل للناس السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال أرجع لا تخط رقاب الصديقين لكنهما مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في السلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المقرض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقاً غير أن حاله معلول إمامفتون بدينه أو محجوب بهواه وبرك على كل شيء قد ير .

[فصل] وأما أي شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون المبارات وبالرموز دون التصريحات وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وعهدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الأمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودنين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة فائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل مائة سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدنا عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمودنين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

الشارع فيما له أن يتمتع به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون لما بال من لم يجعل شارع ولم يمت لغير أن يسلك ذلك والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويعمل فيه كعمله والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم اللوروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل اللوروث عنه امتثلته وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتاده فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم للعالمات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكورة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة . لم يكن بالأحياء ولعله بنسخته وكذا لم يخرجها تأمل .

وإن كان عاقا لهما وأعطاها الله تعالى ما سطى الصديقين والشهداء^(١) . ليلة الجمعة : قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلا^(٢) » وقال أنس قال النبي ﷺ « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين مرة مرة ثم أوتر ثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثرُوا من الصلاة على في الليلة الفراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة^(٤) . ليلة السبت : قال أنس قال رسول الله ﷺ « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن ينضر له^(٥) » .

(القسم الثالث ما يكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي سنة مؤكدة وشمار من شعائر الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور ، الأول : التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأقاويل ويكبر عقب الصلوات للفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد يتنفل ويترين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعباءة التزين عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ « يأمر بإخراج المواق وذوات الحذور^(٧) » . الرابع المستحب الخروج إلى الصحراء إلى مكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحوا أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالضفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر يوم . الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيها بفاتحة الكتاب وإذا زلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياله شيء والله أعلم (٤) حديث أكثرُوا على من الصلاة في الليلة الفراء واليوم الأزهري طب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعف ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر بإخراج المواق وذوات الحذور متفق عليه من حديث أم عطية .

فلم يكن للورث تعبد عن حكم الموروث كما حكى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاء بن أحدهما هو الذي بثته فيكم ، وأما الثاني فلو بثته لحزمت السكين على هذا الباعوم وأشار إلى حلقه وبعد كل شيء في القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفي اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذي علم عليم وقد أفدناكم من طرائف ما عندنا وأهدينا إليك من غرائب ما لدينا وإلى الله يرد العلم مما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وإنما ينطق الإنسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه إذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالفك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر براءة السبع الثاني والقرآن

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الإمام المصلي لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة ويصلي الإمام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض غيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة في الأولى بعد الفاتحة واقرب في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها : السابغ أن يضحي بكبش « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً (٣) » قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطمعون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة . الثانية التراويح : وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم (٦) » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي قبيل إن الجماعة أفضل لفضل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشمار كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى ونحية للسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت (٧) »

(١) حديث تمجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يحل الأضحي وآخر الفطر (٢) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطمعون ت . قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شيبة في المصنف لعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما ضمنحت من القوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجلال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أراحه وهادى من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو القى التكرم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى الباعدة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب المنين فيده مجاري القدورات وهو إله من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يطعمهما إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إلى الله في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والخيار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فإن بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشماز التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكان قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض للمثلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيها بين العشاء والعصاة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآية الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأُمى وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى » (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تكرر بتكرار السنن وإن كانت رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة قلها الآحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمعون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآية الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون صلاة الحيرة ويجمعون فيها

وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يطعمهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلهما الصبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصنفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزين في كتابه وهو

حديث موضوع

من آمن وكفرو مجازي
الخالق بنعم أوسقر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وطى
آله السادات القرر
وسلم تسلما والحمد لله
رب العالمين .

ثم كتاب الإملاء
في مشكلات الإحياء
[مكتاب عوارف
للعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطانه الظاهر
إحسانه الباهر حجه
وبرهانه المحتجب
بالجلال والنفرد
بالكمال والمرتدى
بالظلمة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذى العز الدائم
السرمدى والملك القائم

الديعوى والقسرة
المتنع إدراك كنهها
والسطوة للستوعر
طريق استيفاء وصفها
نظقت الكائنات بأنه
الصانع المبيع ولا ح من
صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق المبتدع
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للغفرة (١)

(القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة :)
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » (٢) قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية وقوعها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تقرب الشمس كاسفة ، وتنفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يسطل سلطان الليل ولا تنفوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة أعما مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالمعجاز والصبيان منتظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا » (٣) ولو خرج أهل التمة أيضاً متميزين لم ينعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل و . من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا ليلاً وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازني

بالهجز والنقصان وأثرهم فصيحاً الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تمرزا وجلالا مسالك الوم وأطرق طامح البصرة تعظيماً وإجلالا ولم يجد من فرط الهية في فضاء الجبروت مجالا فساد البصر كليلاً والعقل غليلاً ولم يتجهج إلى كنه الكبرياء سيلاً فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكليفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة قهيات لقبول الإمداد القدسية واستمدت لورود الأنوار العلوية وانخذلت من الأنفاس العطرية بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرواحهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد للظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور مروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » (١) حتى قال عوف تمت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل السبوق فإنه لو يبادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشيعها مشهورة فلانظيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما يصير نقلا في حق من لم تمتين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يمتين لأنهم يحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كفضل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة اللهم والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعم الله عز وجل فيه » (٢) وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه واقفح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعفه في إحسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يغلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لمبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تسكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلي (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

جلالنا وأقامت على
الظاهر والباطن من
التقوى حراسا وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراسا
واستحقرت فوائد
الدنيا ولذاتها وأنتكرت
مسايد الهوى وتبعاتها
وامتنعت غوارب
الرجوب والرهوب
واستفرشت بملوحتها
بساط الملوكوت
وامتدت إلى للعالي
أغناقها وطمعت إلى
اللامع العلوي أحداقها
واتخذت من اللأ
الأعلى مسامرا ومحاورا
ومن النور الأعز
الأقصى مزاورا ومحاورا
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح فرشية
بأرواح عرشية
نفوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في العبودية
مشهورة وأعلامهم
في أفطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم قعدوا وما قعدوا
ولكن صمت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر قيل له أمانيتنا عن هذا ؟ فقال : هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد (١) » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضغف الأسباب قضاء التوابع إذ اختلف العلماء في أن التوابع هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا انتفت الكراهية بأضغف الأسباب فبأخرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنائز إذا حضرت ولا صلاة الحسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً . الفائدة الثانية : قضاء التوابع إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة (٢) » وقد قال العلماء من كان في الصلاة قضاؤه جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للمؤذن سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية ، نعم من كان له ورد فهاهنا عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرضى لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا يميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (٣) » فيقصد به أن لا يفترق دوام عمله وروى عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها لملاة مقتته الله عز وجل (٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقتته الله تعالى بتركها لملاة فلولاً للقت والابجاد لما سلطت الملاة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطأ الحديث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلا بيم سبقتني إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئاً إلا أتى لأحدث وضوءاً إلا أصلى عقيد ركعتين (٥) » . السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنانك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمنانك مدخل السوء (٦) » وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به بحاله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام (٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل الظهر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقدّم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجاه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله بعبادة ثم تركها لملاة مقتته الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلا بيم سبقتني إلى الجنة الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث هق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكرو وقال غ لا أصل له (٧) حديث ركعتي الإحرام م حديث ابن عمر .

كاتبين بالجنان
بائنين بقلوبهم عن
أوطان الحداث
لأرواحهم حول العرش
نطواف ولقوبهم من
خزائن البر إسعاف
يتعمون بالخدمة في
الدياجر ويتذذون من
وهيج الطلب بظماً
المواجر نسوا
بالصلوات عن الشهوات
وتموضوا بحلاوة
التلاوة عن اللذات
يلوح من صفحات
وجوههم جبر
الوجدان وينم على
مصفون سرائرهم
نضارة العرفان لا يزال
في كل عصر منهم علماء
بالخلق داعون للخلق
محووا بحسن للتابعة
رتبة الدعوة وجعلوا
للمتقين قدوة فلا يزال
تظهر في الخلق آثارهم
وتزهر في الآفاق أنوارهم
من اتقى بهم
اهتدى ومن أنكرهم
ضل واعتدى فله الحمد
على ما هباً للعباد من
بركة خواص حضرته
من أهل الوداد والصلاة
على نبيه ورسوله
محمد وآله وأصحابه

الأكرمين الأجداد .
ثم إن إشاري لهدى
هؤلاء القوم وعجب
لهم علما بشرف
حلمهم ومحة طريقهم
للبنية على الكتاب
والسنة للتحقق بهما
من الله الكريم الفضل
وللتعدي أن أذهب
عن هذه الصابية بهذه
الصياغة وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجهه
الصواب فيها اعتدوه
مشعة بشهادة صريح
العلم لهم فيها اعتدوه
حيث كثر التشبهون
واختلفت أحوالهم
وتسبزوهم للقصور
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يعلم
من قيمة فيهم وطعن
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
مجرد رسم وتخصيم
عائد إلى مطلق اسم
ومما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتناء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور
من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شرربة
صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يترك فيها بذكر الله عز وجل وهى على
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم
« كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أوتر (٣) » الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كقصد
النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة
على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت
النكاح وكانت عادة الصحابة رضى الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التمجيد .
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والأحرام وما يجرى مجراه
فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة
صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الأقدام عليه قد
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستغفرك بملك وأستقدرك بقدرتك
وأسألك بجن فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن
هذا الأمر خير لى في دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه
عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شئ قدير (٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم
بأمر فليصل ركعتين ثم ليستم الأمر ويدعوا بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا
من أعطى الشكر لم يمنع للزبد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر
ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد
أنه قال إن من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ آخر ساجدا ثم قال سبحان الذى ليس العز وقال به
سبحان الذى تمطف بالجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه سبحان الذى لا ينبغي
التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف
في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن
مالك (٣) حديث كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أوتر دنه حب في صحيحه من حديث
أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث
ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتى عشرة ركعة أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة
ركعتين رواته من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلما نك التامات العامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لامعية فيها فيجواب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلخنا أنه كان يقال لا تملوها لسفهاكم فيمتاونون بها على مصيبة الله عز وجل . التاسعة صلاة التسييح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أجوك بشئ إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديعه وحديثه خطاه وعمده سره وعلايته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ستأسماءك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كسابق عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والجمهور عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى ^(٢) » وإن زاد بعد التسييح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية السجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهى مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلى لا أنه يصلى لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلى في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلى فلا يبق للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاة وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فليؤ قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطوع إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في النهى في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقتها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقتها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ^(٣) » ونهى عن الصلوات

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل النج عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله المبين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر المتصوف والمقشبه . الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والواظبة على نعط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعدت النشاط وانبتت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تخريض وبسبب على انتظار انقضاء الوقت تخلصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداء لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استئصال الملل ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل ترتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباعدة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واطب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل فاذا كانت هذه أمور مهمة في التهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه الهمم لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف ونحوه السجدة فأما ما مضى عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود التهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسمد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأقهر وأغنى وأضر وأفنى القدي خلق الحيوان من نطفة نقي ثم تفرد عن الخلق بوصف النقي ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما يسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضل تركي من عباده من تركي ومن غناه زكي ماله من زكي والصلاة على محمد المصطفى سيد الوري وشمس المهدي وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالمع والتمنى .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة »^(١) وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بذاب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في قريش فمر أبوذر فقال بشر الكاذبين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أعقابهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حمة ندى أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حتى يخرج من حمة نديه بترزل وقال أبوذر انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال « هم الأخسرون ورب الكعبة قهلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، مامن صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأمنه تنطحه بفرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت آخرها عادت وهو مرسل ومالك هو القدي يقول عبد الله الصانع ويوم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

(٢٧ - إحياء - أول)

العاشر في شرح رتبة
للشيخة . الباب
الحادي عشر في شرح
حال الخادم ومن يتشبه
به . الباب الثاني عشر
في شرح خرقة المشايخ
الصوفية . الباب الثالث
عشر في فضيلة سكان
الربط . الباب الرابع
عشر في مشابة أهل
الربط بأهل الصفة .
الباب الخامس عشر
في خصائص أهل
الربط فيما يتماهدونه
بينهم . الباب السادس
عشر في اختلاف
أحوال المشايخ بالسفر
والقيام . الباب السابع
عشر فيما يحتاج للمسافر
إليه من القرائن
والتوافل والفضائل .
الباب الثامن عشر في
القدوم من السفر
ودخول الرباط والأدب
فيه . الباب التاسع
عشر في حال الصوفي
التسبيح . الباب
العشرون في حال من
يأكل من الفتوح .
الباب الحادي
والعشرون في شرح
حال التجسرد من
الصوفية والتأهل .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس (١) وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصاد على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : في صدقة التطوع وفضلها .

(الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والتقدين والتجارة وزكاة الركاظ وللمادن وزكاة للمعشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا يجب هذه الزكاة غيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نهائيا بقية حولان نصابا كاملا مملوكا على الكمال . الشرط الأول كونه نهيا فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الحيل والبغال والحمير والتولمن بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيحت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول قال رسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال ويجب الزكاة فيه لحول الأصول ومما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية للرhone لأنه الذي حبر على نفسه فيه ولا يجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذا القى ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فلاثى فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من للز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشرين بنتا وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت محاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت محاض فإن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا سارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا سارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا سارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا سارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا سارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من للز ثم لاثى فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخياطين كصدقة السالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة فمائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار تخلطه الشيوع ولكن يشترط أن يرعاهما ويسقيا

(١) حديث أبي در انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأخرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م ومع (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بإسناد جيد . من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

الباب الثاني والعشرون
في القول في السماع
قبولا وإثارا . الباب
الثالث والعشرون في
القول في السماع
ردا وإنكارا . الباب
الرابع والعشرون في
القول في السماع رضا
واستخاء . الباب
الخامس والعشرون
في القول في السماع
تأديا واعتناء . الباب
السادس والعشرون
في خاصة الأربعينية
التي يتعاضدها
الصوفية . الباب
السابع والعشرون في
ذكر . فروع
الأربعينية . الباب
الثامن والعشرون في
حقيقة الدخول
في الأربعينية . الباب
التاسع والعشرون في
ذكر أخلاق الصوفية
وشرح الخلق . الباب
الثلاثون في ذكر
خصائص الأخلاق .
الباب الحادي
والثلاثون في الأدب
ومكانه من التصوف .
الباب الثاني والثلاثون
في آداب الحضرة لأهل
القرب . الباب الثالث

مما ويحلبها وما يدرجها مما ويكون للرعي مما ويكون إنزاء الفحل مما وأن يكونا جميعا من أهل
الزكاة ولا حكم للخلطة مع الدمي والكتاب ومهما نزل في واجب الإبل عن من من من فموجائز مالم
يجاوز بنت مخاض في التزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما
ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ
الجبران من الساعين من بيت لئلا ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة
ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللثام ثيمة ولا يؤخذ من المال الكولة ولا للماخض ولا الربى
ولا الفحل ولا غراء للمال .

(النوع الثاني زكاة للمشرقات)

فيجب المشر في كل مستتب مقتات بلغ ثمانمائة من ولائى فبادونها ولا في القواكه والقطن ولكن
في الجبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويصير أن تكون ثمانمائة من تمر أو زبينا لا رطبا وعنا
ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبيتان المشترك
بين وروثة لجمعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم
ولا يصير خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالتمر ويكمل نصاب التمر بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف المشر فإن
اجتمعا فالأغلب يصير وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحلب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ
عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب
فيقال لكمة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص في مثل
هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحلب ووقت الأداء بعد الجفاف .

(النوع الثالث زكاة للنقددين)

فإذا تم الحول على وزن مائة درهم بوزن مكة نفرة خالصة فيها خمسة دراهم وهو ربع المشر وما زاد
فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة فيها ربع المشر وما زاد فبحسابه
وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مفشوشة إذا كان فيها هذا المقدار
من النفرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلى المظهور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب
للرجال ولا تجب في الحلى للباح وتجب في الدين الذي هو على ملى ولكن تجب عند الاستيفاء وإن
كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة للتجارة)

وهي كزكاة النقددين وإنما ينقذ الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد
نصابا فإن كان ناقصا أو اشترى بمرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من
تقد البلد وبه يقوم فإن كان ماله الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من تقد البلد
ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينقذ الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية
التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربع في
السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف به حولا كما في التاج وأموال
السيارة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربع مال القراض على العامل
وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأنيس .

والثلاثون في آداب
الطهارة ومقدماتها .
الباب الرابع والثلاثون
في آداب الوضوء
وأسراره . الباب
الحامس والثلاثون في
آداب أهل الحصوص
والصوفية فيه . الباب
السادس والثلاثون في
فضيلة الصلاة وكبر
شأنها . الباب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب .
الباب الثامن والثلاثون
في ذكر آداب الصلاة
وأسرارها . الباب
التاسع والثلاثون في
فضل الصوم وحسن
أثره . الباب الأربعون
في أحوال الصوفية في
الصوم والافطار . الباب
الحادى والأربعون في
آداب الصوم ومهامه .
الباب الثانى والأربعون
في ذكر الطعام وما فيه
من المصلحة والمفسدة .
الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكل . الباب الرابع
والأربعون في ذكر
آدابهم في اللباس
ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمدن)

والركاز مال مدفون في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكده شبهة بالقيمة واعتباره أيضا ليس بعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخص على الصحيح بالتقدين ، وأما المعادن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليس ربع الفشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلي هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين التقدين أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فإنها ظنون قرينة من التمازض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليته صاع بمائقتان (١) بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثين يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أبها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته وماله وولده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون » (٢) « وتجب صدقة العبد للشرع على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عمن نفسها أجزأها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم (٣) فهذه أحكام فقهاء لا بد لائق من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكفل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عد إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للمتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق لإسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحج لك وصحة ورواه ن حب بتعميد الزوجة على الولد وسبأني

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل .

الباب السادس والأربعون في الأسباب للنية على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل .

الباب التاسع والأربعون في استقبال التهار والأدب فيه .

الباب العاشر في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات .

الباب الحادي والعشرون في آداب للريدمع الشيخ .

الباب الثاني والعشرون في آداب يتعمده الشيخ مع الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والعشرون في حقيقة الصعبة وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والعشرون في أداء حقوق الصعبة والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس والعشرون في آداب الصعبة والأخوة .

الباب السادس والعشرون في معرفة الإنسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تسجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه تلف ماله وتمكنه بمصادفة للتحقق وإن أخر لعدم التحقق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتسجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تسجيل زكاة حولين ومهما سجل لثلاث للسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما سجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالدفع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن للسجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج للنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ القصور من سد الحلة وما أبهده عن التحصيل فان سد الحلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحفظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجرات مثلا إذ لاحظ الحجرة في وصول الحصى إليها فقصود الشرع فيه الأبتلاء بالعمل ليظهر العبد رقة وعبوديته بفعل ما لا يقبل له معنى لأن ما يقبل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك بحجة حقا تبدا ورقا »^(١) تنبها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لمرذ الأمر وامثاله كله أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حفظ معقول وليس بقصد منه التصدق كقضاء دين الأدمين ورد للنصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فلهو ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للتحقق أو يدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حفظ العباد وامتحان للكلف بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحفظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين العنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التجدد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدنى هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه لحظ الفقير مقصود في سد الحلة وهو على سابق إلى الأفهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعباتي تميز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهاء ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى التقددين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التبعات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تنصر عن درك المركبات فهذا شأن الناظر فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فان أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي الثقل تخيب للظنون فان صد ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك بحجة حقا تبدا ورقا . البراز والدارقطني في الملل من حديث أنس .

نفسه ومكاشفات
الصوفية من ذلك .
الباب السابع والخمسون
في معرفة الخواطر
وتفصيلها وتميزها .
الباب الثامن والخمسون
في شرح الحال وللقام
والفرق بينهما . الباب
التاسع والستون في
الإشارة إلى اللقائات
على الاختصار والابحاز .
الباب الستون في ذكر
إشارات الشايع في
اللقائات على الترتيب .
الباب الحادي والستون
في ذكر الأحوال
وشرحها . الباب الثاني
والستون في شرح
كلمات من اصطلاح
الصوفية مشيرة إلى
الأحوال . الباب الثالث
والستون في ذكر شئ
من البدايات والتهابات
ومعناها ، فهذه الأبواب
تحررت بمون الله تعالى
مستتملة على بعض
علوم الصوفية
وأحوالهم ومقاماتهم
وأدابهم وأخلاقهم
وغرائب مواجيدهم
وحقائق معرقهم
وتوحيدهم ودقيق
إشاراتهم ولطيف

الحروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى التبرء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التخليك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أغنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم التزاة والمساكين فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر قسماً ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع للمستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهلوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مرید طریق الآخرة بركاته وظوائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فان الهبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن اللوت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنحوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن اللال الذي هو مرقومهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللأسخنة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بهدم وزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم قال أما على العوام بحكم الشرع نفقة درهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك قال مثله وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك ما بين كتيكاً (١) فالصديق وفي تمام الصديق فلم يمك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثاني درجتهم دون درجة هذا وهم للمسكون أموالهم الرقيقون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتقاي على قدر الحاجة دون التتم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهاً وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث دلتك وصحبه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينك ما بين كتيكاً .

اصطلاحاتهم فعلومهم كلها إنباء عن وجدان واعتناء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح للقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية مستزلة صفاء السرائر وخلص الضمائر فاستمتت بكنهها على الإشارة وطفعت على العبارة ونهادتها الأرواح بدلالة التشام والاتصاف وكرعت حقائقها من بحر الأنطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نكلم في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بسلام السلف وصالحى التابعين فكيف بنامع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بدقائق علوم الدين والله للأموال أن يقابل جهد القلب بحسن القبول

صوى الزكاة كالنخعي والشعي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتي المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وبما رزقناهم ينفقون - وبقوله تعالى - وأتقوا بما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق السلم على السلم ومضاء أنه يجب على الموصى مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أزهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إلا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموصى إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه ليجلهم بالمال ويميلهم إليه وضمف جهم للآخره قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحلفكم بخلوا - يحلفكم أى يستتم عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستتم عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بيزل الأموال . للمنى الثاني التطهير من صفة البخل فانمن للمهلكات قال **الشيخ** « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسياى في ربيع للمهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه وإنما نزول صفة البخل بأن تعود بذل للمال فجب الشيء لا ينقطع إلا بغير النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا للمنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . للمنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربيع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التصجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لمواثيق الزمان أن تنوقه عن الحيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من المصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يضمف فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن لما أسرع قلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليختم الفرصة فيه وليعين تركاتها إن كان يؤديها جريما شهرا معلوما وليجهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لتفاءل قربه وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ورمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأولى والأيام للصدقات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس .

والحمد لله رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
منشأ علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردي
إسلامه من لفظه في
شوال سنة عشرين
وخمسة قال أنبأنا
الشرىف نور المهدى
أبو طالب الحسين بن
محمد الزينى قال أخبرتنا
كرمة بنت أحمد بن
محمد الرزوية المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن مكي الكشميهني
قال أنبأنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
القربرى قال أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن
إسماعيل البخارى قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد عن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إنا مثل
ومثل ما بينى الله به
كنثل رجل آتى قوما
فقال يا قومى إني رأيت

الشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضاً سنداً وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) وفي الحديث للجمهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه » (٤) وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب » (٥) وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والتحدث بصدقة يطلب السمعة والمطى في ملأ من الناس يخفى الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه (٦) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض للمطى فكان بعضهم يلقبه في يد أمي وبعضهم يلقبه في طريق القبر وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للمطى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للمطى وكان يستكم للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يغشيه كل ذلك توصلوا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتصلحه إلى وكيل ليسلم إلى للسكين والسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة للسكين الرياء ولثة جميعا وليس في معرفة للتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة لحبط عملها لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف الحب للال وجب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب للال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم للثال عقرباً لادها وصفة الرياء تنقلب في القبر أقصى من الأفاى وهو مأمور بتضعيفها أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض أطراف المقرب مقبوا للحية فيقدر ما ضعف من المقرب زاد في قوة الحية ولوترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضمف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواى البخل ويحجب دواى الرياء فيضف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه اللعان في ربيع للهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فتنهاى - وذلك حيث يقتضى الحال الابداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنعاساً على ملأ من الناس فلا يبينى أن يترك التصديق خيفاً من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فقد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضيف والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة لتطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضيف أيضاً (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أظفر به هكذا.

الجيش بينى وإنى أنا
النذير المريان فالنجاء
النجاء فأطاعه طائفة
من قومه فأدجلوا
فانطلقوا على مهلم
فنجوا وكذبت طائفة
منهم فأصبحوا مكانهم
ففسحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعنى
فأبغى ما جئت به ومثل
من عصانى وكذب بما
جئت به من الحق .
معنى اجتاحتهم :
استأصلهم ومن ذلك
الجماعة التي تفسد
الدار ، وقال صلى الله
عليه وسلم « مثل
ما يبنى الله به من
الهدى والعلم كمثل
النيت الكثير أصاب
أرضاً فكانت طائفة
منها طيبة قبلت الماء
فأنبتت الكلاً والنبث
الكثير وكانت منها
طائفة أخذت أمسكت
لله فنفخ الله تعالى بها
الناس ففروا وسقوا
وزرعوا وكانت منها
طائفة أخرى قيمان
لا تمسك ماء ولا تنبت
كلاً فذلك مثل من فقه
في دين الله وقصمه ما يبنى

الله به فلم وعلم ومثل
من لم يرفع بذلك رأسا
ولم يقبل هدى الله
الذى أرسلت به قال
الشيخ أعد الله تعالى
لقبول ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أصفي القلوب وأزكى
النفوس فظهر تفاوت
الصفاء واختلاف
التركية في تفاوت
الغالبية والنفع فمن
القلوب ماهو بمثابة
الأرض الطيبة التي
أنتبت السكلا والعشب
الكثير وهذا مثل من
اتفع بالعلم في نفسه
واهتدى ونفعه علمه
وهده إلى الطريق
القوم من متابعة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن القلوب ماهو
بمثابة الأخاذات أي
الغدران جمع أخاذة
وهو المصنع والقدير
الذي يجتمع فيه الماء
فنفوس العلماء الزاهدين
من الصوفية والشيوخ
تزكت وقلوبهم صفت
فاختصت بمزيد الفائدة
فصاروا أخاذات قال
مروق محبت أصحاب
رسول الله صلى الله

الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار
مخدورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هنك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن
أظهر السؤال فهو الذي هنك ستر نفسه فلا يحذر هذا للمنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به
فانه محذور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهي عنه فاما من أظهره فأقامة الحد عليه إشاعة ولكن
هو السبب فيها ومثل هذا للمنى قال عليه السلام « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ^(١) » وقد قال الله تعالى
- وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد
دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمخدور الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فتدريكون
الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف القوائد والقوائل ولم ينظر بين الشهوة
اتضح له الأولى والأليق بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقة بالمن والأذى قال الله تعالى
- لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - واختلفوا في حقيقة اللن والأذى قيل اللن أن يذكرها والأذى
أن يظهرها وقال سفيان من فسدت صدقة قيل له كيف للن قال أن يذكره ويتحدث به وقيل للن
أن يستخدمه بالطعام والأذى أن يعيره بالفقر وقيل اللن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره
أويوبه بالمسئلة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان ^(٢) » وعندي أن اللن له أصل ومغرس وهو
من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا
إليه ومنما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من
النار وأنه لو لم يقبله لبق مرتهنا به فحقه أن يتقصد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله عليه السلام « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ^(٣) »
فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ولو كان
عليه دين لانسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون
القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن إليه هو للتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذي لزمه بشراء
ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب
الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما يذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن
رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للزبد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه
محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن
وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه
وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالاظهار وفنون
الاستخفاف وباطنه وهو منبه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لاحتالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته
أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم في مقابلة
ما يساوي ألفا فهو شديد الحق ومدوم أنه يذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة
(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عدد حب في الضمفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالتى قبله بمحدث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع
بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة
عنه ورواه هق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما بذله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض
فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقير على النبي وعرف خطر الأغنياء
لما استحق الفقير بل تبرك به. وتعين درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بحسبالة عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبوذر من هم قال «هم الأكثرون
أموالا» الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جعله الله تعالى متجربة له إذ يكتسب المال بمجده ويستكثر
منه ويجهل في حفظه بمقدار الحاجة وقد أرم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالتقى مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد النظام والتزام الشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وبذلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتضيضه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأدنى
والتوسيع وتغليب الوجه وتبذل بالاستبشار والتناء وقبول اللذة فهذا منشأ للنّ والأذى. فان قلت
فرويته نفسه في درجة الحسن أمر فاضل فهل من علامة يتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا. فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استكراهه واستعباده له على استكراهه قبل التصديق فان زاد لم يخل صدقه
عن شائبة اللذة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك. فان قلت : فهذا أمر فاضل ولا ينفك قلب
أحد عنه لما دواؤه. فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالعفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن الفقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقصد
لللذة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم ييسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قائما للرسول احفظ ما يدعوه به ثم كاتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى نخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال التي تذلل والتواضع وقبول اللذة ومن حيث الباطن للمنافع التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يبالغ القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه
الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «ليس للره
من صلاته إلا ما عقل منها» (١) وهذا كقوله ﷺ لا يقبل الله صدقة من إن كان فيه عثر حتى يغسله ولا يقبلوا
صدقاتكم باليمن والأذى. وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقفا وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة. الوظيفة السادسة : أن يستنصر العطية فانه إن
استعظمها أحببها والعجب من اللهيكت وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم نحين إذ أهبطكم
كثرتكم فلم تقن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصعرت عظمت عند الله عز وجل وللصية كلما
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم للمروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيئه وسره
وليس الاستعظام هو للنّ والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه للنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع البادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأخاذات لأن قلوبهم
كانت واعية فصارت
أوعية للمعلوم بما رزقت
من صفاء الفهم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن اسماعيل
القزويني بإجازة قال
أبنا أبو سعيد محمد
الجلي قال أبنا
القاضي أبو سعيد محمد
القرخزاذي قال أبنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد التماري قال أبنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسين قال حين نزلت
هذه الآية - وتعبها أذن
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لعل سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي لما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي أذان وعت

عن الله تعالى أسراره
وقال أيضا واعية في
معادنها ليس فيها غير
ما شهدت شيء فهي
الحالية عما سواه
لما اضطراب الطباع
إلا ضرب من الجبل
قلوب الصوفية واعية
لأنهم زهدوا في الدنيا
بعد أن أحكموا أساس
التقوى فبالتقوى
زكت نفوسهم وبالزهد
صفت قلوبهم فقام
عدموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد انفتحت
مسام بواطنهم وصحت
آذان قلوبهم وأعاتهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فطما التفسير
وأئمة الحديث وقهاء
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام ووردوا الحوادث
للتجسدة إلى أصول
من النصوص وحمى الله
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللغة وغرائب النحو
والصرف وأصول
القصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأحسن درجات البذل كذا كرنا
في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله اللذة عليه إذ أعطاه ووقته
لبنده فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة
وأنه يذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضغافه وأما العمل فهو أن يطيعه عطاء الجبل من بخله
بإسناك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كثرة من يطالب برد ودية
فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما
لما أمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحفكم تبخلوا - . الوظيفة السابعة :
أن يتق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج
من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الواقع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوي لبيد
أنفق من مال اكتسبه من غير مصيبة (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد للمال فهو من سوء الأدب إذ
قد يمسك الجيد لنفسه أولعبه أولأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فضل هذا بضيفه وقدم
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس بماتل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما صدق به فأبقى أو أكل فأفنى
والذي يأكله فضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه
تفقون ولستم بأخذه إلا أن تمضوا فيه - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الانحاض
فلا تؤثر واه ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا الله ما يكرهون
قال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون وتصف المستهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء
على التثنية تكذيبهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف
الثانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب
الأتقياء للراضين عن الدنيا التجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام
تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في
طاعته باعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء
الصوفية دون غيرهم قليله لو عجمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لاهؤلاء قوم همهم
لله سبحانه فإذا طرقتهم فاة تشقت هم أحدهم فلأن أردمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوي لبيد أنفق من غير مصيبة عدو البزار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب ومصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر
غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأنا جوير عن الضحاك مرسل .

من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيذ مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إغانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بعرفه أهل العلم قليله لو عممت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريضهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منكما واعد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف للنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودينه في فعله لهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق البواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإغانة مثل هذا العبد الموحّد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسرّ وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك^(١) » فانظر كيف قصر التفاتته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله^(٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر^(٣) وفي

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التي أوردها المصنف وسمى الرجل حديثا قد روي من طريق البيهقي أنه وصل لحديث من أبي الدرداء شيء فقال اللهم إنك لم تنس حديثا فاجعل حديثا لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحابه يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لأحمد الله لا إيا كما وللبخاري تعليقا قال أبو بكر قومي قبلي لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمد كما ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لي أمي موسى إليه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ولطبراني قال

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فانسع بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفرّدوا بعرفة الرواة وأسماي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليقين الصحيح من السقيم ويتميز النوع من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة واتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالملل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ووزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

وتأيدت واستقام الدين
الحنفي ونفزع وتاصل
المهدي النبوي
الصفطوي فأثبتت
أراضي قلوب العلماء
الكلال والمشب بما
قبلت من مياه الحياة
من المهدي والعلم قال
الله تعالى - أنزل من
السما ماء فسالت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضي الله عنهما
الماء السلم والأودية
القلوب قال أبو بكر
الواسطي رضي الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلا حظها بين
الجلال فذابت حياه
منه فسالت فقال أنزل
من السماء ماء فسالت
أودية بقدرها ففصاء
القلوب من وصول ذلك
الماء إليها . وقال ابن
عطاء أنزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى للمبد وذلك
إذا سال السيل في
الأودية لا يبقى في
الأودية نهضة
إلا كنسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
القي قسمه الله تعالى
للمبد في نفسه لا يبقى

لفظ آخر أنها رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه محمد الله لا بعمدك ولا بعمد صاحبك فلم ينكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورؤية الأعيان من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية
الوسائل إلا من حيث إنهم وسائل فكانه لم ينفك عن الشرك الحفي سره فليتنق الله سبحانه في تصفية
توجيه عن كدولت الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا عفيفا حاجته لا يكثر البت
والشكوى أو يكون من أهل للرومة عن ذهبت نعمته وقيت عادته فهو يتحفي في جلباب التجل
قال الله تعالى - يحجبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا - أي لا يلحون
في السؤال لأنهم أغنياء يقيهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة
ويستكشف عن مواطن أحوال أهل الخير والتجمل فواب صرف للوقوف إليهم أضاف ما يصرف
إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد
فيه معنى قوله عز وجل - لفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أي حبسوا في طريق الآخرة بملأ أو
ضيق مبيضا أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح مقيدوا الأطراف
فهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يسطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة لما فوقها وكان صلى
الله عليه وسلم يسطي المطاء على مقدار العيلة (١) ومثل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة
البيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم
وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال صلى الله عليه وسلم لأن أصل أخا من إخوان بدرم أحب
إلي من أن تصدق بشرين درهما ولأن أصله بشرين درهما أحب إلي من أن تصدق بمائة درهم ولأن
أصله بمائة درهم أحب إلي من أن اعتق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما
يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبني
أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الأخيرة الكبرى والفتحة العظمى
ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجره في الحال تطهيره
نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي
تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وممنه
فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وان أخطأ حصل الأول دون
الثاني فهذا يضاعف أجر للصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر للواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهافى ولا مطلبي تصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية
المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هافى ولا إلى مطلبي

محمد الله لا بعمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس فقالت لا بعمدك ولا بعمد صاحبك ، وله من
حديث ابن عمر فقال أبو بكر هوما فاجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنونه
الحديث وفيه أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم محمد الله لا بعمدك (١) حديث كان يسطي المطاء
على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا أتاه النبي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقر هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قبض وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تنفي بجميع ذلك كإيلق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والقاب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يحل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرج عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يلقى عروته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقا ومنه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بتمتع الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكتب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكفيا بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني الساكنين : والسكن هو الذي لا يلقى دخله بخارجة قد علك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا قاسا وجلا وهو غنى والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم الساكنين وكذا أثاث البيت أعنى ما يحتاج إليه وذلك ما يلقى به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن السكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يخطأ في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفريج بالمطالعة أما حاجة التفريج فلا تعتبر كافتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا يجرى التفريج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم السكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والعلم وللدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياط وسائر الحرفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم الساكنين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كدخاؤه كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلي طيب وواعظ فهذا مستثنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستثنى عنه فان من فضل من قوت يومه متى تزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم لحاجة أثاث البيت وثياب البدن فينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فان قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفريج والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم تعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لمومم البوى والتنبيه بحس هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يمتدئ مثل هذا النظر في أثاث البيت في مدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف

فيه غفلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل - فأما الزيد فيذهب جفاء - قصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة سواء ما ينفع الناس فيصكت في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من السماء الزاهدين في الدنيا للتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوثة حبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بمباراه ويتعمق فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات للتوسعة للمشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم .

الصف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه المريف والكاظم والمستوفي والمخاف والمقال ولا يزال واحد منهم على أجرة الثلث فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من ماله المصالح .

الصف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم .

الصف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يمد عبدا له .

الصف السادس الغارمون : والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في مصبة فلا يسطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فته .

الصف السابع الفزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المزرقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الفزوة .

الصف الثامن ابن السبيل : وهو الذي شخص من يلبه لیسافر في غير مصبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان قهرا وإن كان له مالا يلد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فهم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الأخذ ولا يطالب بيعة ولا يحلف بل يجوز اعتداده قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الفزوة والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فان لم يغ به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البيعة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرّف إلى كل واحد فيأتى .

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكني همه ويحمل همومه بها واحدا قد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على السيد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إضافة نعمة تكتفي الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم ففهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه لعناء عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة خلق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة وليكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على مصبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستحقا للعباد والمقت من الله سبحانه .

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه والطريق حق من حيث جسه الله طريقا وواسطة

فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسها قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما عملوا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء للناس بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للتقوى الذي يبلغ رتبة الانذار ببله لمورد العلم

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أنشأ الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكي عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطعوا فادعوا له حتى تملوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب المطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يهينه ولا يصيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستغفار ووظيفة القابض تغلذ اللذة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لاتناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تمارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضربه خلافه والأخذ بالمعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما للسكر أن يرى الواسطة أسلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام قنوحًا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن توى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى يئانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الرية والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار الباق ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والقرابة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره للثل وإن أعطى زيادة أبي وامتنع إذ ليس للمال للمعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافرًا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيًا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح وثقفة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما لا يريه وإن أخذ بالسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن قياسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حار حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في الضيق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى الضيق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع وهو محمقوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ من مالا كثيراً بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّخر لبياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وجسته من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادخرا لبياله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يزل ثقة أهله سنة والطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخرا لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاتقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الإنسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بسترين الجوارح بالاتقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى والمهدى مجرا موابجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

ولو انتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدر المال أخذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الفتي فسل عن غناه فقال ^(١) غداؤه وعشاؤه ^(٢) » وقال آخرون يأخذ إلى حد الفتي وحد الفتي نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الفتي خمسون درهما أوقيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال ينيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسل وماغناه قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب ^(٣) » وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ^(٤) » وبالع آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ بمقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أوبيى بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الفتي وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بمقدار ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله في قرابتك فهو خير لك ^(٥) » فأعطاه حسان وأباتادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى عمر رضي الله عنه أعرايا ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضا مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما رقع له ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أتوك وأفتوك ^(٥) » كقوله صلى الله عليه وسلم إذ الائم حراز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليترك الله فيه ولا يترخص تطلا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لغتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة إما الجهل وإما لتسهيل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يخلط على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الفتي فيسأل ما ينيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما ينيه فانما يستكثر من جر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما ينيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن أتوك تقدم في العلم .

فظهر على نفسه الشريعة
نضارة العلم وريه
فتبدلت نفوس النفس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
فصارت رياه ناضرة
فلما استتم نضارة
وامتلاء رياه الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بمياه العلوم واستقبل
جدول الفهوم وجرى
من بحر في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
الفهوم هو الفقه في
الدين . روى عبدالله
ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ما عبد
الله عز وجل بشيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
إملاء قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزيني قال
أخبرتني كريمة بنت
أحمد بن محمد الروزية

(للفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بشمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى الماء النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٢) وقال ﷺ « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله أخذها يمينه فربها كإبري أحدكم فضله حتى تبلغ التمرة مثل أحد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه معروف » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال ﷺ « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل » وقال ﷺ « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت فلان كذا وفلان كذا وقد كان لفلان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال ﷺ « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بشمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الحطينة كايطفى الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسل وأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرعى من النار ولو بشق تمره فانها تسد من الجائع مسندا من الشبان ولأبي بلى والبرار من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمره فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وثقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضعيف والترمذي ون في الكبرى و في حديث معاذ والصدقة تطفى الحطينة كايطفى الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره للصف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسل باسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرا بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند صحيح (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وح ك من حديث أبي هريرة وقد تهمد قبل بيسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربري قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يريد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين النقي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قه الرجل وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما قهوا علموا

وقال « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما أفلح من رده ^(٢) » وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع ظهوره بالليل ويخمره وكان يناول السكين يده ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس السكين الذي تردم التمرة والتمر تان واللقمة واللقمتان إنما للسكين اللعنف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا ^(٤) » وقال ^(٥) « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه من رقعة ^(٥) » . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيها وأسيرا » فقال وهم يشبهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يمدون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجهم إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانياتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف ففقر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزني جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان للرض وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مسند وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل كن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول « لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرن أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأمرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا يقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير ضعه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقر إلى صدقة فقد أبطل صدقة وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأما يشرب للوسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة للسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فقال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من اللماي والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام المقييل في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده المقييل في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال المقييل لا يصح في هذا الباب شيء وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للسكين الذي تردم التمرة والتمر تان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالفه بن طهمان ضعيف

ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتموا فكل من كان أفعه كانت قسه أسرع إجابة وأكثر اعتيادا لمعلم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالتبى صلى الله عليه وسلم لما قال « مثل ما بشى الله به من الهدى والعلم » أخبر أنه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منها ورائة معجونة فيه من آدم أبى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء ممة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى « علم الإنسان ما لم يعلم » فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا فهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللفظ والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب

الحاجة وخروج عن هيئة التقشف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التقشف .
 الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويطنون أنه أخذ
 مع الاستثناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والقيسة من الذنوب الكبائر وصياتهم عن
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني
 حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم
 التيمي أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيشمة ولو علمت
 أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إغاثة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء
 أكثر والإغاثة على إتمام المعروف معروف والسكمان لا يتم إلا بالثمن فهما أظهر هذا انكشف أمر
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر قبله قيل له في ذلك
 فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه قبلته وذلك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض
 الصوفية شيئا في الملا فرددته فقال له لم ترد علي الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فما كان
 لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية
 قيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أذكعنا لك على العصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال
 التوري لو علمت أن أحدا لا يذكرك صدقه ولا يتحدث بها قبلت صدقه . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا
 وامتنانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره
 إذلالا للعلم وامتنانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز
 عن شبهة الشبهة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها (١) » وبأن
 يكون ورقا أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه
 ورقا أو يطعمه خبزا (٢) » فجعل الورق هدية بانفراده فيعطى في الملا مكروه لإبراء جميعهم ولا يغلو
 عن شبهة فإذا انفراد سلم من هذه الشبهة . أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الإخلاص
 والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والراءاة . والثاني إسقاط الجاه والتزلة وإظهار البصوذية والسكينة
 والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستعلاء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت أخذا فانك لا تغلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا قبلت
 ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لأفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق
 فذلك الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد
 باختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانصبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية
 والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد
 الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة الريدين فشق على الآخرين فأراد

والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل قلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له فالتبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأمة بالنور للوروث والوهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله - اثبتا طوعا أو كرها قلنا آمينا طائعين - نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سررة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكانات تبع له وإلى هذا إشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبياً وآدم

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها القليل وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا بعد وضعه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقص عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولا يحد وت وصحة من حديث البراء من مع منحة ورق أو منحة لبن أو هدي زقاقا فهو كمن شاق نسمة .

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح
والجسد» وقيل لذلك
سمى أميا لأن مكة أم
القرى وذرت أم الحليقة
وتربة الشخص مدفنه
فكان يقتضى أن
يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها
ولكن قبل الماء لما
توج رعى الزبد إلى
النواحي فوقت
جوهرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ما عاذى
تربته بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكيا مدنيا
حينئذ إلى مكة وتربته
بالمدينة والاشارة فيها
ذكرناه من ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو ما قال
الله تعالى - وإذ أخا
ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم
ألسنت بربكم قالوا بلى -
وردد في الحديث «إن
الله تعالى مسح ظهر
آدم وأخرج ذريته منه
كهيئة القدر» استخراج
الذر من مدام شعر
آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك الريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليدبحها
حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح الإذك الريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فلنا ما أمرنا به
الشيخ فقال الشيخ للريد مالك لم تذبح كاذب أصحابك فقال ذلك الريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يفتت لغير الله عز وجل . الرابع
أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتان كفران النعمة
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن
تري نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرجع به يده وقال هذا من الدنيا
والعلاية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في اللابغذ ثم ارددني
السر والشكر فيه عثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»
والشكر قائم مقام للكفاة حتى قال صلى الله عليه وسلم «من أسدى إليكم معروفا فكاثروه فان لم تستطيعوا فأثروا
عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله
ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمون الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأنعمت عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن
ما قل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في الشئ بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا
لأنهم حكما بتأني أن الاختفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى
بجمل الثرور ولا يندفع بتليبس الطبع ومكر الشيطان والكر والحداع أغلب في معاني الاختفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الحداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض
الجاه والمزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بين الازدراء وإلى المعطى بين النعم الحسن
فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتطل بالمعاني الحمسة
التي ذكرناها ومياري كل ذلك ومحكم أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كتناه بانكشاف
صدقة أخذه بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان ينبغي صيانة الناس عن التنية والحسد وسوء الظن أو
يتقى انتهاك السر أو إغانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتدال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر
من هذه المعاني أغليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لأمن حيث إنه علم زيدا وعلم عمرو والنية محذورة من حيث إنها تعرض لمرض مصون لأمن حيث إنها
تعرض لمرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما سجر الشيطان منه وإلا فلا يزال
كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فبيل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعطى واستحاث
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من الباقين في الشكر حتى يزعموا في إكرامه وتفقدته وهذا داء دفين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدبير إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويهوله الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن يري عليه أحمد من حديث عمران بن حصين
بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تعالى (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكمه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الجهر إلى المعطى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يسطون إلا من يغني ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالمنة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يفتل عن قضاء حق للمعطى فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يغني ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يجب الشكر ولا يقصده فصد ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لومعها ما أفلح ^(١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم في وجوههم لثقتهم يقيهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الدير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا ^(٣) » وصنع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ^(٦) » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا يوسف بن أسباط إذا أولئك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يرعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وهامة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة . إذ بهذا العلم نجا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتعطل على الجلالة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل للفرقة بحيث يستوى السر والملاية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لومعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكر بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لومعها ما أفلح أبدا وفي سننه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الدير العنبري وطب وابن قانع في معاجمهم وحج في الثقات من حديث قيس بن عاصم للتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموا . . من حديث ابن عمر ورواه في التراسل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا مخ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في الملل من رواية ابن السيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسل (٦) حديث إذا مسح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

تخرج المرق وقيل كان المسح من بعض اللانكة فأضاف الفعل إلى للسبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما نحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك يظن نعمان واد يجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب القدر وأجابوا بيلي كتب العهد في رقى أبيض وأشهد عليه لللائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحيية من الأرض والعلم والهدى فيه محبوبون فبث بالعلم والهدى موروثة له وموهو بأوقيل لما ثبت الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبث حتى بمت الله تعالى عزرائيل قبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما من قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو تركه
للساكنين كلهم أخذ الزكاة لأنهم لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والآنسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإن
الغالب أن للتصدق يطمئ من يستند فيه خيرا ولأن مراعاة للساكنين أدخل في العدل والمساواة وأبعد
من التكبر إذ قد يأخذ الآنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ
وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يوجب عليه وما يحضره من النية
فإن كان في عبء من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعا
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين
الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك لئلا يولم يأخذ هو فليأخذ الصدقة
فإن الزكاة الواجبة بصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على الساكنين
وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على الساكنين فهو خير والأمر فيها
يتفاوت وأخذ الزكاة أعيد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والرسلين وعلى اللائكة
والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده لئنة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمه وخيب ظنه ،
إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى
قلوبهم الشهوات للسكنة وإن جمعها تصبح النفس للطمشة ظاهرة الشوك في قسم خصمها
قوية لئنة ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة
والقول للرجة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه
وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو متميز
بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين مائر الأركان إذ قال الله تعالى فيها حكاه عنه نبيه ﷺ « كل
حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجرى به » (٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر قد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ونأهيك
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لحلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
السك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجل الصوم لي وأنا أجرى به » (٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سليم وهو من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو بصير في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسي بيده لحلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح السك وهو بعض الذي قبله

إبليس فصارت مأوى
الشر وبضها لم يصل
إليه قدم إبليس فمن
تلك التربة أصل الأنبياء
والأولياء وكانت ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من
قبضة عزرائيل لم يسها
قدم إبليس فلم يصبه حظ
الجهل بل صار مزروع
الجهل موفرا حظه من
العلم فبثه الله تعالى
بالمهدي والعلم وانتقل
من قلبه إلى القلوب
ومن نفسه إلى النفوس
فوقعت للناسبة في
أصل طهارة الطينة
ووقع التأليف بالعارف
الأول فكل من كان
أقرب مناسبة بنسبة
طهارة الطينة كان
أوفر حظا من قبول
ما جاء به فكانت قلوب
الصوفية أقرب مناسبة
فأخذت من العلم حظا
وأفرا وصارت بواطنهم
أخاذاً فطمعوا وعلموا
كالأخاذاً الذي يستقي منه
ويزرع منه وجمعا
بين فائدة علم العارفة
وعلم الوراثة بأحكام
أساس التقوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود ببقاء الله تعالى في جزاء صومه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة ^(٤) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ^(٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة البهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل اللبذل شابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل ^(٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ الصائم جزاءه إفراغاً ويجازف جزاءه فلا يدخل تحت وم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لحين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لئله الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ^(٨) « إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ^(٩) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع ^(٩) » وسبأى فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص فلما للشيطان وسداً لمساكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قبح عدو الله نصرة

- (١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجه من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن القيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن القيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال هريب وه وه وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرايه من أجل (٨) حديث إن الشيطان مجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صبية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلاً .

نزكت النفوس انجلت مرابيا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانبجلى فيها صور الأغنياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بجمعها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلى مواطنهم أقسام العلوم انصباوا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نمزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال للقرب والصوفي هو للقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للقرب على ما سنشرح ذلك في باب ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمترجمين وكم من الرجال المقربين في بلاد القرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نضى

له سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من الصبر والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما يعوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فإدامت محبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للصبر جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والواجبات بفساده)

(أما الواجبات الظاهرة فسته)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن صام عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبّع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا رأى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكنه وهو الذي علينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يحجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي علينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يحجزه حتى ينوي فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يسطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالكشف في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالمحبوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صامها . الثالث الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثالثة وما يصل بهير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في الضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفطر أمان من أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنباً لم يفطر وإن طلع الفجر وهو محالط أهله فترع في الحال صام صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية القريبين
فشايخ الصوفية الذين
أساؤهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق القريبين
وعلمهم علوم أحوال
القريبين ومن تطلع
إلى مقام القريبين من
جملة الأبرار فهو
متصوف مالم يتحقق
بالحلم فإذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن يميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشبه - وفوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي إملاء
قال أنا أبو منصور
المقري قال أنا الامام
الحافظ أبو بصير
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو علي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى عن شعبة
قال حدثني عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستمنا وهو إخراج المني قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالا سكا لا ربه فلا بأس بالتقييل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقييل أن ينزل قبل وسبق المني أفطر لتقصيره السادس : الامساك عن إخراج المني فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والقدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالخائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الخائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على السافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وحكايا مقيا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما القدية : فتجب على الحامل والرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مائة حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الحرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتسهيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش وشد المزور ودأب وأدأب أهله ^(١) » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعاً أو نواه انقطع تنافسه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يخرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض إلا ماراً ^(٢) » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتقييل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدين رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ^(٣) » ومهما خرج للتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولاً عشرة أيام مثلاً والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المزور (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا ماراً متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يدين رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

سليمان بن ولد عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نصر الله امرأ سمع منا حديثاً حفظه حتى يلقه غيره قرب حامل قته إلى من هو أقره منه ورب حامل قته وليس بفيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم - يقول بعضهم علامة الحخير في السماع أن يسمع الصبد بنشاء أو صافه ونعسوته يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلاً للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن ملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علوا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته أيام رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطرى هذا الصوم بالسكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالسكر في الدنيا لإدنيا تراءد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه للوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانه إقبال بكنهه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتعمامه بسة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس لئنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يمجده حلاوته في قلبه (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والحسومة والراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إلى صائم إني صائم (٣) » وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتقا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قداما وقال ﷺ : قل لهما قيا فيه ما أكلتا فقامتا إحداهما نصفه دما عبيطا ولحا غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فغضب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فمقدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا ينتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين السمع وآكل السحت فقال تعالى - مراعون للكذب أكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا نهيهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصحح إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما حديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تضمن من ظاهري العلم وباطنه وجليته وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب للسكوت واستئزال بركة الرغبات والرهبات ورأوا أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقنام يتراكم من نقت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناظ الهوى ومثار الردى بمثابة الخطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحمرا ففرضوا الدنيا وزهدها فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الفتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثل هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهيم مصرا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم لتقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمك من الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فإمن وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المنة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى حاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبث من الشهوات ماعساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أقل من الذي كان يأكلها كل ليلة لولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصغوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجدته وأوراده ففسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره حيلة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يحل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسياق له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من اللقرين أو يرد عليه فهو من المقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقهم يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام غابوا فالكشف الغطاء العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه البطولون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والسوء بإسائه أي كان سرور القبول يشغله عن اللعب وحسرة للردود تمد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث المغتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن . من حديث أبي هريرة

النفس أحطابها وقترت نيرانها وقيل دخانها شهدت بواطنهم وقبورهم مصادر العلوم فهبأوا مواردها بصفاء القهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبل رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا ينفل عنه طرفه عين قال يعقوب بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتسنى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتسنى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم يربح تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشتغال الثانية التي أصدتكم عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

الأغراض والأمراض
قال الحسين بن منصور
لمن كان له قلب لا يخطر
فيه إلا شهود الرب
وأشد :

أننى إليك قلوبا طالما
هطلت

سحاب الوحي فيها
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب
لاحظ الحق بين
التعظيم فذاب له
واقطع إليه عماسواه

قال الواسطي : أى
لذكرى قوم مخصوصين

لا لساير الناس لمن
كان له قلب أى فى

الأزل وهم الذين قال الله
تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحييناه - وقال
أيضا المشاهدة تذهل

والحجة تفهم لأن الله
تعالى إذا تجلى لشيء

خضع له وخضع وهذا
الذى قاله الواسطي

صحيح فى حق أقوام
وهذه الآية تحكم

بخلاف هذا لأقوام
آخرون وهم أرباب

التمكين يجمع لهم
بين الشهادة والقهم

فموضع القهم محل
المحادثة والمكاملة وهو

صومه صحيح فامعناه . فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة
أى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسباب الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من
التكليفات إلا ما يتيسر على عموم القائلين للتبليغ على الدنيا الدخول تحتها فأما علماء الآخرة فيضنون
بالصحة القبول والقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلص بخلق من
أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاعتداء باللائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون
رتبة اللائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما انهىك فى الشهوات انعط إلى
أسفل السافلين والتحق بضمير البهائم وكما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق اللائكة
واللائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل
كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر
الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع
الانهماك فى الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم
« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الفرداء يا حبذا نوم الأكياس
وفطرم كيف لا يسيون صوم الحنقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال
الجبال عبادة من الفترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم
هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجمع ويضطش ويطلق
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد إلا أنه ترك لله
وهو الفصل فصلاته مردودة عليه مجمله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن للكاره كن
غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع
بينهما كن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه
وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه
من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إني صائم » أى إني أودعت لسانى لأخفظه
فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر أن الشكل عبادة ظاهرا وباطنا وتشرابا ولما وقشرها درجات
ولكل درجة طبقات فإليك الحيرة الآن فى أن تقنع بالقشر عن الباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

(الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواصل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها
يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء
والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مطلق الصوم وهى
أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود
فى حديث فى الأمانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبى هريرة دون
قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (١) «لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب» وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام» (٢) وفي الحديث «من صام ثلاثاً أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» (٣) وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يخطر قبل رمضان أياماً فإن وصل شعبان برمضان فبجاء (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاها شهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمهرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمهرم ورجب واحد فرد وثلاثة تسردوا أفضلها ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام الملوّمة والعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمهرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ إلا من عقر جواده وأهريق دمه» (٧) وأما ما تكرّر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثلاثين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها بركة هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من حكره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لثبثين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التثريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي العجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الازدى في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يحجى رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان ودن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غمّ عليه عدّ ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهنّ أفضل وأحبّ إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت ه من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند غ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر ومهران بن حسين وعبد الله بن الشخير .

مع القلب وموضع للشاهدة بصر القلب وللمسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال ينيب صممه في بصره ومن هو في حال الصحو والتكبين لا ينيب صممه في بصره لتلكه ناصية الحال ويضم بالوعاء الوجودي للمتعدّ لفهم التقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ لإنشاء ثانيا للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلأشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على بحر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن صمسون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن اقتصر إلى مالم يحسد

من الأدب بعـ
الاشتغال بما وجد
فقد وجد ثلثي الأدب
والثالث امتلاء القلب
بالذي بدأ بالفضل عند
الوفاء تفضلاً فقد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر موت
القلب من شهوات
النفس فكما رفض
شهوات نال من
الحياة بقسطها فالساع
للأحياء لالأموات
قال الله تعالى - إنك
لا تسمع الموتى - قال
سهل بن عبد الله القلب
ريقق تؤثر فيه الحطرات
الذمومة وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن يشق عن
ذكر الرحمن تقيض
له شيطاناً فهو له قرين -
فالقلب عمال لا يفر
والنفس يقظانة لا ترقد
فإن كان العبد مستمعاً
إلى الله تعالى وإلا فهو
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شيء
سد باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها يطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم حجراً على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن
شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت
عليه جهنم وعقد تسعين ^(١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة
لأن البعد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علي مفاتيح خزائن
الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبع وأتضرع إليك
إذا جعت ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر
يوماً ^(٣) » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوماً وأفطر يوماً فقال إني أريد
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك ^(٤) » وقد روي « أنه صلى الله عليه وسلم
ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان ^(٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بثلثه وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من
الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكامل في أن يهتم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتفرغ القلب لله عز وجل والفتية بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله
دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتباً مستمراً
ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام ^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الأوقات وقد كره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديراً
ليوم العيد وأيام التثريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويوله ردى العادات ويفتح
أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم التطوع به والله أعلم بالصواب .

(١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد
ن في الكبرى وحسنه أبو طي الطوسي (٢) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض علي ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً . وقال حسن
(٣) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو
(٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوماً وأفطر يوماً الحديث أخرجه من حديثه
(٥) حديث ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئاً ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه
شيئاً وكان لا تشاء تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا نائمياً إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم تعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وحلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشرفاً وتعصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجاباً بين العبد وبين المذاب وجنا والصلاة على محمد بنى الرحمة وسيد الأمة وحلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصراانيا (١) » فأعظم بعبادة يدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب .

الباب الأول : فى فضائلها وفوائدها مكة والبيت العتيق وجعل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فليبدأ بالبَاب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشهد الرحال إلى المساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وحلى نبينا وحلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عز وجل - لأتقن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زوال الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصراانيا عد من حديث أبى هريرة وث نحوه من حديث حلى وقال غريب وفى إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان فى يوم أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبى عتبة عن طلحة بن عبد الله بن كريب مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

بحومون حلى قلوب
بنى آدم لنظروا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بشار
البصيرين ومعارف
المعارفين ونور العلماء
الريانيين وطرق
السابقين الناجين
والأزلى والأبدى ما بينهما
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع .
وقال ابن عطاء هو
القلب الذى يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
ينيب عنه خطرة
ولا قرة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهد فاذا لاحظ
القلب الحق بعين
الجلال فزع وارتمد
وإذا طالع بعين
الجمال هدأ واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يقوى
على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له
حتى يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بغيره ولا يركن
إلى سواه قلب الصوفى
مجرد عن الأكوان
ألقى صحبه وشهد
بصره فسمع للسموات

وأبصر للبصرات
وشاهد الشهودات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جملها ولم يسمع وبشاهد
تفاصيلها لأن الجمل
تدرك لسة عين
الشهود والتفاصيل
لا تدرك لضيق وعاء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجمل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكماء تفاوت الناس
في الاستماع وقال إن
الباذر خرج يئذه
فلأ منه كفه فوق
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
انحط عليه الطير
فاختطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فثبت حتى إذا وصلت
عروقه إلى الصفاء لم
يجد مساعدا تنفذ
فيه فيس ووقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها شوك نابت فثبت
فلما ارتفع خنقه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من القريين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا ينجيهم فيحزني ذلك قال فما الذي آمل جسمك قال صهيل الحيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المصيبة كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأت أجرى له أجر الحاج المتمتع إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وقد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفّعوا شفّعوا (٣) » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة تستون للطائفين وأربعون للنصليين وعشرون للناظرين (٥) » وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدون في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه (٧) » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الوقف غفر له لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأت أجرى له أجر الحاج المتمتع إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشرط الأول من حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضيف (٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج للبرور وقال إن الحجة للبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث الحجاج والعمار وقد الله وزواره الحديث من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره دون قوله إن سألوه أعطاهم وإن شفّعوا شفّعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وحق في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب وك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت و من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٢) « وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عنى ؟ قلت نعم قال وليت عنى ؟ قلت نعم قال فاني أكاثك بها يوم القيامة أخذ يدك في الموقف فأدخلك الجنة والحلائق في كرب الحساب وقال محامد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقهم الملائكة فسلموا على ركب الأبل وصالحوا ركب الحمر واعتنقوا الشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولئن استغفره في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشبهوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألونهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فقابا عنى فانتبهت فزعا واعتصمت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج سنة أنفس فأين أكون أنا في سنة أنفس فلما أفضت من عرفة قلت عند الشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلعة من قبل منهم فخلنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بيته ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجلى عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قد وهبت حجي وجعلت ثوابها لمن لم يقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تقسحني على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة للشرقة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان قصوا أكلمهم الله عز وجل من الملائكة » (٣) « وأن الكعبة تحشر كالروس المزقوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسمعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عيانا ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحقوقه وصديقه » (٤) «

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكملت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج لك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنتين ستائة ألف الحديث لم أجده أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عيانا الحديث صحيحه ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه و . وحب وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاجم من حديث أنس إن الركن وللحاجم ياقوتان من يواقيت الجنة وصححه إسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأفده واختلط به
ووقع منه شيء
على أرض طيبة
ليست على ظهر الطريق
ولا على الصفوان ولا
فيها شوك فنبت ونما
وصلح فتل البادر مثل
الحكيم ومثل البذر
كثل صواب الكلام
ومثل ما وقع على ظهر
الطريق مثل الرجل
يسمع الكلام وهو
لا يريد أن يسمعه فما
يلبث الشيطان أن
يختطفه من قلبه
فينساه ومثل الذي وقع
على الصفوان مثل
الرجل يستمع الكلام
فيستحسنه ثم تفضى
الكلمة إلى قلب ليس
فيه عزم على العمل
فينسخ من قلبه ومثل
الذي وقع في أرض
طيبة فيها شوك مثل
الرجل يسمع الكلام
وهو ينوى أن يعمل
به فاذا اعترضته له
الشهوات قيدته عن
التهوض بالعمل فترك
ما نوى عمله للعبة
الشهوة كالزراع يختنق
بالشوك ومثل الذي
وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر به عليه وكان يطوف على
الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك
حجر لا تضرم ولا تنفع (٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا
نحيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب
العبرات وتستجاب الدعوات فقال صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين بل هو يضرم وينفع قال وكيف ؟
قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على القرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن
بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك
وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهديك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها مائة ألف
يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل
عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح « عمرة في رمضان كحجة » (٤) وقال صلى الله عليه
وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي ثم أتى أهل مكة
فأحشر بين الحرمين » (٥) وفي الخبر « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيه اللائكة فقالوا برّ
حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام » (٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل
ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل السجد
الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكوشف
بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة
لجدة ويقال لا تقرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من
ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد
رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من
المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكروا
منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام
فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل القرب التي توقع ولادتها وفي الخبر « استكثروا من الطواف بهذا
البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة » (٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخرته ثم أخرب الدنيا على أثره » (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجه من حديث عمر دون قوله كثيرا ، وإن أنه كان
يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث أنه كان يسجد عليه البزار ولكن حديث عمر وصححه إسناده
(٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة
وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة معي أخرجه من حديث ابن عباس دون
قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معي ورواه كزيادتها من غير شك (٥) حديث
أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي الحديث توحشته وحب من حديث
ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيه اللائكة فقالوا برّ حجك يا آدم الحديث رواه
الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في اللعل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرق
في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار
وحب و ك وصححه من حديث ابن عمر استتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة
(٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيت فخرته ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل السمع الذي
ينوى عمله فيه همه
ويعمل به ويحارب
هواه وهذا الذي
جانب الهوى واتبع
سبيل الهدى هو
الصوفي لأن للهوى
حلاوة والنفس إذا
تشربت حلاوة
الهوى فهي تترك إلى
وتستلذه واستلذذ
الهوى هو الذي يخفق
النبت كالشوك وقلب
الصوفي نازله حلاوة
الحب الصافي والحب
الصافي تعلق الروح
بالحضرة الإلهية ومن
قوة انجذاب الروح إلى
الحضرة الإلهية بداعية
الحب تستبج القلب
والنفس وحلاوة الحب
للحضرة الإلهية تطلب
حلاوة الهوى لأن
حلاوة الهوى كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق
الأرض ما لها من قرار
ليكونها لا ترتقي عن
حد النفس وحلاوة
الحب كشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في
السماء لأنها متأصلة في
الروح فرعها عند الله
تعالى وهروقا صاربه

(فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن ينكم يا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنأ أي يتوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد قلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خيرا من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل يخرسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن الله تعالى عبادة تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محذور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الوضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطافين حولي من تفرهم في الحديث ولقوهم ولهوهم لئن لم يمتنوا عن ذلك لأتفضن انتفاضة يرجع كل حجير مني إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض القيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة عليها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الوضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أي بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيأت وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت (١) » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (٢) » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان للصلاة فيها بمئة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة (٣) »

(١) حديث إنك خير أرض أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت ت وصححه ون في الكبرى و . وحب من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء (٢) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بمجملته هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشتم منك نسيما لست أعرفه

أظن ليا جرت فيك أردانا

فعمه الكلمة وتشمله وتسير كل شعرة منه ممما وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولوا الألباب - قال بعضهم القلب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذي في سائر

الؤمنين أحد
وعشرون سبعا فسم
يتساوى للؤمنين كلهم
فيه وهو شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وعشرون
جزءا يتفاضلون فيها
على مقادير حقائق
إيمانهم قيل في هذه
الآية إظهار فضيلة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي الإحسان
ما يأتي به لأنه لما
وقعت له محبة
التحسين ومقارنة
الاستقرار قبل خلق
الكون ظهرت عليه
الأتوار في الأحوال
كلها وكان معه أحسن
الخطاب وله السبق في
جميع اللقائات ألتزمه
صلى الله عليه وسلم
يقول نحن الآخرون
السابقون يعني
الآخرون وجودا
السابقون في الخطاب
الأول في الفضل في محل
القدس وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحكيكم-
قال الجنيد تنسموا
روح مادعاهم إليه

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة» (٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن القام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في النع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين إلى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأثور بها قال رسول الله ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا» (٤) والحديث إنما ورد في للساجد وليس في معناها المشاهد لأن للساجد بعد للمساجد الثلاثة متائلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلامنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل ركز زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل فم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليتشمري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام فالتع من ذلك في غاية الإحالة فاذا جاوز هذا قبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كأن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة أما القام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهاسم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى الخول وأسلم للدين وأفرغ القلب وأيسر للمادة فهو أفضل للواضع له قال رسول الله ﷺ «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيت فيه رقعا فأقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من بورك له في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لحملك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدرى أي البلاد أسكن قيل له خراسان فقال مذهب غثلقة وآراء فاسدة قيل فالتسام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمتم على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك بثلاث لاتصلين في الصف الأول ولا تصحب قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الزين والتصنع.

من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت المقدس اتوه فضلوا فيه فإن صلاة فيه كالف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى خمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ب ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والبلاد عباد الله فأنت موضع رأيت فيه رقعا فأقم أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجمل الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتكره.

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج ومحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشروط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان مجزأ ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ويعمل به ما يعمل في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان مكروفا على النفس أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال بغيره لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشرط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج فلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف (*) ثم التذرع ثم الثياب ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطبا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فتعني : أحدها البشارة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خصة آمنة بلا عر خطر ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضيه ديونه وأن يقدر على راحلة أو كراها يحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب زاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزم من صاربه مستطاعا ولو عرض ماله لم يصربه مستطاعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار يضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس ولعلت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج فمأصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فإني نرتك - قال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المهيورة بالهم ست الأحرام من الليقات فمن تركه وجاوز الليقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الهم قول واحد وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والبيت بمزدلفة والبيت بنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجزئ تركها بالهم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة

(*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرقيق وهو أظهر فان الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج أنصرف حجه للقضاء ولا يجزئه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو الملائق الشفلة وهجموا بالنفوس على معاقبة الحذر وتجرعوا امرارة للكابدة وصدقوا الله في الباعلة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم اللصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا همهم عن التلفت إلى مذكور سوى ولهم غياحية الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطى رحمه الله تعالى حياتها تصفينا عن كل معلول لفظا وفلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسراركم وللرسول بطواهركم حياة النفوس بتأدية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة النيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير وقال ابن عطاء في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد . والثاني إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر وأفضل الحل لأحرام العمرة الجمرات ثم التمتع ثم الحديبية وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتدرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الفسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسميه محسوب من التمكنين وأما طوافه فقبر محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الليقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فإن لم يجد فسيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام الشهر تاتيا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسر اويل والحف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء ونملين فان لم يجد نملين فكممين فان لم يجد إزارا فسر اويل ولا بأس بالمنطقة والاستغلال في الحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل عحيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يصد العلقاء طيبا فان تطيب أو لبس فليده دم شاة . الثالث الحلق والقلم وفيها الفدية أغنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة وللإمساك التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناة ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينقذ . السادس قتل صيد البر أغنى ما يؤكل أو هو متوله من الحلال والحرام فان قتل صيدا فليده مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ورد ما عنده من الودائع ويستحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لدهابه وإيابه من غير تقير بل على وجه يمكنه منه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكثرها فان اكرت فليظهر للسكري كل ما يريد أن عمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفقاه القيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أديعتهم فان الله تعالى جاعل في أديعتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أسودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

والرابع إجابة التقريب والاستجابة على قدر الجماع والجماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لأن وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى - قل لو كان البحر مدا ل لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي - فله تعالى في كل كلمة من القرآن كلمات التي ينفد البحر دون نقادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسمة العلم الأزلي . حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال : أنبأنا الرئيس أبو علي بن نهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البخوي قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن

وأما تذكرك وخواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت » (٢) . الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر وكآبة للقلب وسوء للنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقاءك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكفني ما أمنى وما لأهتم به وما أنت أعلم به مني عزجارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحصى النهار ويكون أكثر سيرة بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار » (٣) وليقل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أصرف عن شر شرارهم فإذا نزل النزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالله وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : ينبغي أن يعتاط بالنهار فلا

سلمة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال قلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو سعيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو سعيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أولها قوم يعملون بها فالمطلع للمعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون للطلع القهم بفتح الله تعالى من كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

(١) حديث أستودع الله دينك وأمانتكم وخواتيم عملك دت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكفنه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .

عما أخبر الله تعالى
عن غضبه على قوم
وعقابه ليوم فظاھر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبية
لمن يقرأ ويسمع من
الأمّة وقيل ظاهره
تنزيه الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن تریلا وبطنه
التدبر والتفكر
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آیاته
وليتذكروا الأول والأبید
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
ال تلاوة لا يجاوز
الصحف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يجاوز للسمع
القول وفرق بين
التفسير والتأویل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا محظور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسامع والأثر وأما
التأویل فصرف الآية

بشيء منفردا خارج القافة لأنه ربما يتناول أو يتقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استنقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأجب في الليل أن يتناول الرقيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصده عدو أو سبغ في بيل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمودتين وليقل بسم الله ملءاء الله لاقوة إلا الله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستنصت بالحى الذي لا يموت اللهم ارحنا بينك التي لا تنام واكنفنا بركك الذي لا يرام اللهم ارحنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت تهتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمامك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبج ومهما خاف الوحشة في سفره قال : سبحان الله لللك القدوس رب لللائكة والروح جللت السموات بالهزة والجبروت .

(الجلفة الثانية في آداب الاحرام من اللقيات إلى دخول مكة وهي خمسة)

الأول : أن يغسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى اللقيات للشهور الذي يهرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويحلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة . الثاني : أن يبارق الثياب النظيفة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام ، قد ردوى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام بما كان استعماله قبل الاحرام (٣) الثالث : أن يصبر ببدليس الثياب حتى تنبعث به راحته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فمذلل ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد ويكون مجرد النية لانقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك ولللك لا شريك لك وإن زاد قال ليك وسعديك والخير كله يديك والرخاء إليك ليك بحجة حقاً تمبدا ورضا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . الرابع : إذا انتقد إحرامه بالتلبية للذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعنى على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجلني من الدين استجابوا لك وآمنوا بوعدهك واتبوا أمرك واجلني من وفدك الدين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه في كفه أحد مؤثر في الثمائل من حديث أبي قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود التمشقي والحيدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناول الرقيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصارى للمهاجرى أي الليل أحب إليك أن أكنيكه أوله أو آخره فقال بل أكنفى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث . حديث عند أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى ويص المسك الحديث .

فيسرلى أداء مانويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصى وعظمى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب وزول رافعا بها صوته بحيث لا يسمع حلقه ولا ينفجر فانه لا ينادى أصم ولا غابيا^(١) كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في للساجد الثلاثة فانها مظنة الناسك : أعنى السجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد المقات وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « ليك إن العيش عيش الآخرة »^(٢) .

(الجلة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاختلالات المستحبة السنوية في الحج تسعة . الأول : للاحرام من اللقيات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم لثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعى رضى الله عنه في الجديد غسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجلنى من أوليائك . وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها^(٣) فالناسى به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الودع فمعه بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا الجلال والاكرام اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمه وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعزنى من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه وليقل : بسم الله والله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليفزع يديه وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأملأك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضاتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه يديك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيتته

(١) حديث إنكم لاتنادون أصم ولا غابيا متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : ليك إن العيش عيش الآخرة الشافعى في للسند من حديث مجاهد مرصلا نحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف برفات فلما قال ليك اللهم ليك قال إنما الخبر خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالسأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام معرض لكل طالب صاحب همة أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فلا يوصف بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد فقههم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقييل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في للكتوبة فيصل معهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لتعيده فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحج في الثوب والبدن والسكان وستر البورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجلس وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفا رداء ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستقل بالأدعية التي سذكرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطجاع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتبع عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فإنه من البيت وعند الحجر الأسود قد يصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الوقف يتبدى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المائدة بك من النار وعند ذكر المقام يشير بيته إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودمى على النار وآمئناً من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويمجده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظر في الأهل والمال والولد فإذا بلغ البرزاق قال اللهم أظننا نحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استغنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شرية لا ظمأ بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الثاني قال اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً ونجاة لمن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن الثاني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن الثاني والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ رب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والقصد منه ومن الاضطجاع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطجاع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا لئن لم يمشوا لكانوا قد قدموا عليكم قوم قدوهنهم حتى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطجاع

الفهم علم ومن العلم عمل
والعلم والعمل يتناوبان
فيه وهذا العمل آتفا
إنما هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير عمل
القلب وأعمال القلوب
للقها وسداقها
مشاكله للعلوم لأنها
نيات وطويات
وتقطعات روحية
وتأديبات قلبية
ومسامرات سرية وكلا
أتوا بعمل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وطلوعاً على
مطلع من فهم الآية
جديد وبخارج سرى
أن يكون للطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى في الآية ولكن
المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
التكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونعت من
نعمته فتجسد له
التجليات بتلاوة الآيات
وسماعها وبصير له
مراء منبئة عن عظيم
الجلال ولقد نقل عن
جعفر الصادق رضي
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية اللطاف وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم وليجش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الرحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن الباقى يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن الباقى (١) وقبله (٢) ويضع خده عليه (٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقيل واقتصر في الركن الباقى على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سيما فليات للترنم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزم بالبيت وليلتصق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعنتى رقبتي من النار وأعنتى من الشيطان الرجيم وأعنتى من كل سوء وقعننى بما رزقتنى . وبارك لى فما آتيتنى اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا للوضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا للوضع يقول لمواليه تحوا عنى حق أقر لربى بذنوبى . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلى خلف للقيام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسايح وصلى ركعتين جاز (٥) . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى اليسرى واغفرلى فى الآخرة والأولى واعصنى بأطافك حق لأعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى مضاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حبينى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتى إلى الاسلام فبنتى عليه بأطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فم الزمان الآن والكشف عن لناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا نضع شيئا كننا نفعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن الباقى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولهذا من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا الباقين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركعتين الباقين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه وقبله وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن الباقى قبله (٣) حديث وضع الحدة عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن الباقى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين ذكره ح تعليقا السنة أفضل لم يظف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سيما وصلى خلف للقيام ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس فيها صلاة ورواه علق في الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث ابن هزيمة

نجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود للتكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناضية التوحيد وألقى صمعه عند صماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضر اشهدا يرى لسانه أو لسان غيره فى السلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمع الله منها خطابه إياه بأنى أنا الله فإذا كان صمعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار صمعه بصره وبصره سمعه وعلوه عمله وعمله عليه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من حجته بمشروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتدعى بالحجر الأسود ويحمل البيت على يساره وأن يطوف داخل للمسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها بغير ما خرجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيات .

(الجملة الخامسة في السعي)

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن الثاني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) . وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحذنة فينبغي أن لا يغلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من هنا سعى بينه وبين اللروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا يبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا للهدى بحمامه كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من اللبث ويخرج اللبث من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اللهم إني أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلمنا نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية للعامة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم يزل ويتدعى السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى يتيمى إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية للسجدة الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذة الليل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى يتيمى إلى الليلين الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فإذا انتهى إلى اللروة صعدا كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا واللروة فإذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يبعد السعي بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن فم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفي إسنادها عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ونه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة آتى الصفا فصلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذر بقوله - ألت بربكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين - يعنى قلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آياتك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالم الشهادة عن عالم القيب وتراكم ظلماتها بالقلب فى الأطوار فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقه فى رتب التزكية والتجلي حتى يخلص من مضيق ظلم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سحج الحكمة فيصير معاه - ألت بربكم - كشفا وعيانا وتوحيدا وعرفانه تبياناً وبرهانا وتدرج له ظلم الأطوار فى فوابع الأنوار . قال

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى مليا ويستحب له الشئ من مكة في التماسك إلى انقضاء حجه إن قدر عليه والشئ من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الوقوف أفضل وآكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامننى على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك ولجئت هذه الليلة بمنى وهو بيت منزل لا يتعلق به نكسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبيرسار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غداة غدونها قط وأقرها من رضوانك وأجدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجلى بمن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الوقوف ودون عرفة وليختل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقصد وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف برفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف برفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والتناء على الله عز وجل والدعاء والتبوء ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على اللواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان التلطف في الحلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شمر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء للأئمة في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن فريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالتدى قول وخيرا مما أقول لك صلاتي ونسكي ومحباي وبنائي وإليك مآبى ولك رب ترأى اللهم إني أعوذ بك من شر ما يجي به الريح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستنظري في الدعوات من حديثه ياطي إن أكثر دعاء من قبل يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في صري نورا وفي قلبي نورا اللهم انشرح لي صدري ويسر لي أمري

بعضهم أنا أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا عقق الصوف بهذا الوصف صار وقته سرمدًا وشهوده مؤبدا وصمعه متواليًا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع إهمال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام - ولا تمجّل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به - هذا تعلم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تعجل على الصحابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من يخلص
بفرائبه ومحابه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يقر من
قراءة القرآن بحافة
الافتلات والنسيان
قهاه الله تعالى عن
ذلك أي لا تجعل
بقراءته قبل أن يفرغ
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعض السماع
وبحسب الطالع للعلوم
والأخبار وسير أهل
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بأداب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكأن القلب
استمد بحسن الاستماع
بالتزادة والتقوى حتى
أخذ من كل ما جمعه
أحسنه فيكون أخذاً
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق
الله رب الحمد لك الحمد كما يقول وخيرا مما يقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم
إني أعوذ بك من تهوّل حافيتك وجفأة قمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى ياخير مقصود وأسئ منزول به وأكرم مسئول مالهية أعطني العتبة أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم بارئ في الدرجات ومنزل البركات وإفاطر الأرضين
والسموات خبّ إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرّي وعلائي ولا يغني عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجه للشفق العترف بذنبي أسألك مسئلة للسكين
وأبتهل إليك ابتهاك للذنوب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضعيف دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذلك لك جسده ورغم لك آفة اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن برب رحما ياخير
السؤولين وأكرم للعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لائم قسّي إلهي أخرست للعاصي لساني فإني
وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فأن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك
وسمت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولو لكنها صفار في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإني من يفرغ الذنوبون إلهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى مصيبتك
قصدا فبجنانك ما أعظم حجتك عليّ وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك عليّ وانقطاع حجتك
عني وقهرى إليك وغناك عني إلا غفرت لي ياخير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج بحزمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقعي هذا مقضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فها تميت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمي الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العتبة بعد مقر لك بذنبي خاشع لك بذلك مستكين بجرمه متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في الصفو عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يهوز ومن أخطأ فيخطئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبمائناك أنفنا وإياك أملنا وما عندك
طلبنا وإحسانك ترضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأنقال الذنوب هربنا
وليبتك الحرام حجبنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يامن ليس معه رب يدعي ويامن
ليس فوقه خالق يخشى يامن ليس له وزير يؤتي ولا حاجب يرشئ يامن لا يزداد على كثرة السؤال

اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سرّي وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله ياخير للسؤولين وياخير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل صيف قرى ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك
زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه الشاعر العظام وشهدنا هذه
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأضراس بتابع نعمك
وأظهرت العبر حتى نطق الصوامت بصحتك وظاهرت للنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك
وأظهرت الآيات حتى أفصح السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا تفضت وقبلت وإن عصوا
سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا
وليناعنك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك المبين الحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا شهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد
بالرسالة مخلصين فاعف لنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أهق من حظ من دخل
في الإسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بتق ماملكت أماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على قرائنا ونحن قراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالعفو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الحضرة عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الأصوات يا من
لا تفلطه السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرمة إلحاح اللحين ولا تنفجره مسئلة السائلين أذنا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلج
في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يتعاضده شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفة الله لا ترد الجميع من
أجبي وقال بكر الزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .
(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والخلق والطواف)

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الحيل
وإيضاع الأبل كما يتأده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الحيل وإيضاع
الأبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراجيل لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما » (١) فاذا بلغ الزدلفة اغتسل لها
لأن للزدلفة من الحرام فليدخله بفسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ للزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة
نسألك حوائج مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكففته ثم يجمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للمغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران
ظاهر وتكليف لإفعاها في الأوقات لإضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدي
النوافل مع الفرائض بتمام واحد بحكم التبعية فبأن يحوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الحيل وإيضاع الأبل نك وصحه من حديث أسامة بن زيد
عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الأبل وقال لك ليس البر بإجفاف الحيل والإبل
ولبخارى من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاع .

في المطالبة أن العبد إذا
أراد أن يطالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعية النفس
وقلة صبرها على الذكر
والتلاوة والعمل
فتستروح بالمطالبة
كما تستروح بمجالسة
الناس ومكالمهم
فليتنفد للتنفطن نفسه
في ذلك ولا يستحل
مطالبة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
ويراعى الإفراط فيه
فاذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانتابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأيد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرزق بالمطالبة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستغارة
لذلك كان حسنا فإن
الله تعالى يفتح عليه باب
الفهم والتفهيم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من صورة
العلم فليعلم صورة ظاهرة
وسرى باطن وهو الفهم
والله تعالى به على

هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحة لما أوامنا إليه من التبعة والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نيك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبيت عليه دم وإحياء هذه الليلة الشريف من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا اتصف الليل أخذ في التأهب للرجل ويتردد الحصى منها قتيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها وتكون الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغسل صلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى للشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والقام بلوغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى يقضى إلى موضع يقال له وادى عصر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع في المشى ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهى إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى إلى جملة العقبة وهي على عين مستبيل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابتك واتباعا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له محاصنين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما قبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة والبقرة والضأن أفضل من المزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الأضحية الكبشى الأقرن والبيضاء أفضل من البراء والسوداء»^(١) وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل كل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالرجاء والجذعاء والضباء والجرعاء والشرعاء والحرعاء والمقابلة والمدايرة والعجفاء والجذع في الأنف والأذن للقطع منهما والعضب في القرن وفي قصان القوائم والشرعاء المشقوقة الأذن من فوق والحرعاء من أسفل والمقابلة المشقوقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنق أى لامخه فإن الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بتقديم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بهاسيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومه ما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المظهورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كإصغاف وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ولكن يبق مقيدا بعلقة الاحرام فلا نحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارضع الاحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

شرف القهم بقوله
- قهمناها سليمان
وكلا آتيناهما حكا وعلا -
أشار إلى القهم بمزيد
اختصاص وتبذير عن
الحكم والعلم قال الله
تعالى - إن الله يسمع
من يشاء - فإذا كان
للسمع هو الله تعالى
يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرقى
بمطالمة الكتب من
التيان فصار ما يفتح
الله تعالى بمطالمة
الكتب على معنى
ما يرقى من السموع
يركة حسن الاستماع
ليتفقد العبد حاله
في ذلك وتعلم علمه
وأدبه فانه باب كبير
من أبواب الخير وعمل
صالح من أعمال الشايع
والصوفية والطهارة
الزاهدين للتبتلين
لاستفتاح أبواب
الرحمة وللزيد من كل
شئ ينفع سلوك الآخرة
[الباب الثالث في بيان
فضيلة علوم الصوفية
والإشارة إلى آموذج
منها]

حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركنين فليستح كما وصفنا إن لم يكن سمي بعد طواف القدوم وإن كان قد سمي قد وقع ذلك ركنًا فلا ينبغي أن يبدل السعي . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما آتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحداً التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع التبع ولكن الأحسن أن رمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ في الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فاتها خطبتان بينهما جملة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا يفرون فاذا أصبح اليوم الثاني من العيذ زالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي على عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فاذا تمداها انحرف قليلاً عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودما مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلاً على السماء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كرامي الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي بها ولا يبرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو غير بين للقيام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه للبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدًا وعشرين حجراً كما سبق وفي ترك البيت والرمي إراقة دم وليتصدق بالبحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام في مسجد الحيف فإن فضله عظيم فاذا أقام من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة^(٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فأن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجلة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يستمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ومحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجمرات ثم التنعيم ثم الحديبية ونوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل للمسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وغير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخ من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه وخ ووصله من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراسل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأن داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقوده رقدة مخ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث .

السهور ردى رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السوفى قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا يعقوب بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سألت رجلاً النبي عليه السلام عن الشر فقال « لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير » يقولها ثلاثاً ثم قال « إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » فالعلماء أدلاء الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفة وحمة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق عفاً عن تقوى وأحوج

تنت عمرته والقيم بكم ينبغي أن يكثر الاعتبار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل
ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قبل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم
قال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أأطأ بهما بيت
ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يد من غير استئابة
إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع ويلق الله أجمله شفاه من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين
والعاقبة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) أي يشفي ما قصده .
(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليجز أو لا أشغاله وليشدر حاله وليجعل
آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كسابق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه
صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويضرع ويقول اللهم إن البيت
بيتك والمبدع عبدك وابن عبدك وابن أمك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك
وبلقتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن
قبل تباعدى عن بيتك هذا أو أن انصرافى إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك
ولا عن بيتك اللهم أمهني العافية في بدني والصحة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني
وأجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام
وإن جعلته آخر عهدي فهو ضئيل عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .
(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي » (٢) وقال عليه السلام « من وجد صفة
ولم يفد إلى قد جفاني » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله
سبحانه أن يكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه
كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار
وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليقلل قبل الدخول من بر الحررة ولينظف ثيابه فاذا
دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بمجنب التبر ركعتين ويجعل
عمود التبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبة
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجهد أن يصلي في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک
من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن
القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد
ابن هشام الروزى (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني
من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد إلى قد جفاني ابن عدى والدارقطني في
غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم
يزرنى قد جفاني وذكر ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث
أنس مامن أحدهم أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لايهمه إلا
زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک
من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن
القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد
ابن هشام الروزى (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني
من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد إلى قد جفاني ابن عدى والدارقطني في
غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم
يزرنى قد جفاني وذكر ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث
أنس مامن أحدهم أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لايهمه إلا
زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فساكنما زارني في حياتي » (٢) وقال عليه السلام « من وجد صفة
ولم يفد إلى قد جفاني » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله
سبحانه أن يكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه
كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار
وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليقلل قبل الدخول من بر الحررة ولينظف ثيابه فاذا
دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بمجنب التبر ركعتين ويجعل
عمود التبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبة
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجهد أن يصلي في المسجد

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولأن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا بني الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا قاب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد خير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا بني الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الفتح المسجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كما ذكرك الله اكرون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ماصلى على أحسن خلقه كما استغفرك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجاهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزا كما الله خير ما جزى وزير نبى عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل ولیمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إني قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توأما راحبا - اللهم إنا قد صمنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما نقل ظهورنا من أوزارنا تابين من زلنا متعثرين بخطايانا وتقصيرنا كتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفضا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر للهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعل آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصل إلى فياركتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كاتنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزاد الانسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشمس قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر السكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو حاتم عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخذع النفس وغرورها ومساكنها وشهواتها الخفية تحرب مباني الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل البعد إلى الفرض إلا به صار فرضاً ومن بعضهم معرفة الحواطر وتقصيدها فريضة لأن الحواطر هي أصل القتل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضاً حقاً يصح الفعل من البعد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصلى فيه كان عدل حمرة النساء وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر أريس لم أتف له على أصل وإنما ورد أنه نزل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويفضل ويحرب منها وهي بصة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حرا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقا أو العهن أو بئر جل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر حرا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة فخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حرا وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويحرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بهاء يستمذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا باتن فابتعتها فجلستها لثني والفقير وابن السيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البقوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي قال لما قدم المهاجرون للمدينة استنكروا للاء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بهاء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا إذا أنا مت فاعسلوني بسبع قرب من بئر بئر غرس وروينا في تاريخ للمدينة لابن النجار باسناد ضيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن والطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فليستحب أن يأتي القبر الشريف ويبعد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يسلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصور في السجدة فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل آخر العهد بنبينا وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة وسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً بأرحم الراحمين وليصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع للساجد التى بين المدينة ومكة فيصل فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل فى سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفى بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الله ويقول اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئس فتنه ذلك هو السنة (١) ولا ينبى أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة (٢) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توباً توباً لربنا أو بآ لا ينادر علينا حوباً فإذا استقر فى منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أنس بن مالك عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم جاءه فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا فخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بثر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستنجد له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بثر السقيا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بوضوء فلما توضعاً قام الحديث . وأما بثر جمل فى الصحيحين من حديث أبى الجهم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بثر جمل الحديث وصله خ وعلقه م وللشهور أن الأبار بالمدينة شعبة وقدروى الدارمى من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على صبيح قرب من آبار شقى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شقى (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٤) حديث إرسال للسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئس فتنه لما جديقه ذكر الإرسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهوا حتى ندخل ليلاً أى عشاء كي نغتسل الشحة ونستحب للنية (٥) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة .

علم الحال بمنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقيناً وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد القريبين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشد هم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يجعل ما لله عليه فى ذلك فلا يجوز له أن يحصل برأيه

ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى النغلة والهوى والحوض في المعاصي لما ذلك علامة الحج للبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتَعْظِيم شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للسنة وقراؤهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسباب إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده القيام بمكة ولم يكن له ما يلته فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصى بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأهل الأجرة أو يحرّم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يغفل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجرا فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرّو في سبيل الله عز وجل وبأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الأرضاء بتليس حالها عليهم . الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم الكسوف والصادقون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأمراء بالترصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالأغانة بالنفس فليتلطّف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الأقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يبذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساقى نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والافتاق من غير تقير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للفرقة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للسؤال وقراؤهم للخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمي للفرقة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للسنة وقراؤهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصى بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يفرّو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الإسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له وعليه في ذلك فيراجع علما يسأله عنه ليحييه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض لمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والالتحاق بالإسلام ولا يحبك في صدره شيء فهو سالم فان حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء بقدح في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجرّه إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب . وقال

الشيخ أبو طالب للكي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الإسلام لأنها اقترنت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التتم بأطياب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة الترفيع فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم «الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة تقبل له يا رسول الله ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) الرابع: ترك الرفق والفسوق والجidal كأنطق به القرآن والرفق اسم جامع لكل لغو وخنى وخفى من الكلام ويدخل فيه معارضة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المظهور والداعى إلى المظهور مهطور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجidal هو اللبالة في الخصومة والمارة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال المهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رقت فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كفى الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس: أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا ماشاء فان للحجاج للشئ بكل خطوة يخطوها سبعائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستجاب في الشئ في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى الشئ الاحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتقاء والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتتمام حجه وهذا عند التحديق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه الشئ فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أتمشى فيها أو يركب حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أثقل عليه فالركب أفضل من الشئ وإن كان الشئ أشد عليه كالأغنياء فالشئ له أفضل فكا أنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى السكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصان للسالك ذكرا غير بعيد فيه . السادس: أن لا يركب إلا زاملة أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعنر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثاني اجتناب زى الترفيع والتكبرين « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم » (٢)

(١) حديث الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الثمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أحكمها ما يسع المسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر للسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لمعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميل في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قوله من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

وطاف على الراحة لينظر الناس إلى هديه وثمانته (١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم» (٢)
وقيل إن هذه الحامل أحدثها الحاج وكان الطاء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال
برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجواقات
ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا عجلين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزى والحامل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة فحتمه جوالق فقال هذا نعم من الحاج.
السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر
فيكتب في ديوان التكبرين للترفيهين ويخرج عن حزب الضفاء والساكين وخصوص الصالحين قد
أمر صلى الله عليه وسلم بالشمث والاختفاء (٣) ونهى عن التتم والرفاهية (٤) في حديث فضالة بن عبيد
وفي الحديث «إنما الحاج الشمث التفت» (٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني غشا
غبرا من كل فج عميق (٦) وقال تعالى - ثم ليقضوا نفسهم - والتفت الشمثوا لا غيرا وقضاؤه بالخلق
وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلو قلوبكم واخشو شئنا
أبى البسوا الخلق واستعملوا الحشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت
على العموم فقد روي أنه عليه السلام كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكسية حمر
على الأتارب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم (٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها
عن ظهورها حتى شرد بعض الأبل. الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والحمل خارج عن
حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود
وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي» (٨)
ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة (٩) وفيه آثار عن السلف.
وكان بعض السلف يكرى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا
إلى الدابة فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لافي ميزان للكارى وكل من آذى يهمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ
له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشمث والاختفاء البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن
أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشو شئنا واتصلوا وامشوا خفا وفيه
اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي
عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاء ولأحمد من
حديث معاذ بإك والتتم الحديث (٥) إنما الحاج الشمث التفت ت من حديث ابن عمر وقال غريب
(٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا غشا غبرا من كل فج عميق الحاكم
ومححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله
ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الأبل فنظر
إلى أكسية حمر على الأتارب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع
ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل
ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم ومححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول
عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا وناقته تقاد.

لشايخ من الصوفية
وعلماء الآخرة
الزاهدين في الدنيا
شمروا عن ساق الجدّة
في طلب العلم للقرض
حتى عرفوه وأقاموا
الأمر والتهنّى وخرجوا
من عهد ذلك بحسن
توفيق الله تعالى فلما
استقاموا في ذلك
متابعين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث أمره الله تعالى
بالاستقامة فقال تعالى
- فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك - فتح
الله عليهم أبواب العلوم
التي سبق ذكرها . قال
بعضهم من يطبق مثل
هذه المخاطبة
بالاستقامة إلا من أيد
من الشهادات القوية
والأنوار الينة والآثار
الصادقة بالتثبيت يرهان
عظيم كما قال تعالى
- ولولأن نبيناك - ثم
حفظ في وقت الشهادة
ومشافهة الخطاب وهو
للزّين بمقام القرب
والمخاطب على بساط
الأنس محمد صلى الله
عليه وسلم وبعد ذلك
خوّل بقروله - فاستقم

[١] (قوله استجدوا الخ) هذا الحديث لم يخرجہ العراقی وهو ليس فی نسخة الشرح فلعله لم یکن فی نسخته .

ولا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه الباطلين إخوانا صالحين وبمعاليهم والهم والقفلة بمجالس الله كروا القطة .
(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في التبة وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الانتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق للنافعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كسابق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكيرة للتدكروعة للمعتبرون تنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفظن فلنرمز إلى مفاتها حتى إذا افتتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالنزعة عن الشهوات والكشف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلة الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لمعبادة الله عز وجل وقرءوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١) » يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فحرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونفسه مقصدا لمعبادة وجعل ما حواليه حرما لبيتته ففخما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزنيه عن أن يشربه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأنهم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والترديد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للمعبادة بالكشف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات النسي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدينا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبوداود ومن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بافظ إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نهر العدو واليهيقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي حمزة أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي اقتصر إلى الله بصحة العزم ورأي بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيتي سورة هود وأخواتها فقال نعم قال قلت له ما الذي شيتك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خوطب بهذا الخطاب وطولب بمحافظ الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية للقرى من منحهم الله تعالى من

ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتناء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محله أنه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الليل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقى والاعتقاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لييك بحجة حقا تبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الاتقياء وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التبعيدات في تزكية النفس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تخطت لهذا فهمت أن تعجب النفس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الجهول عن أسرار التبعيدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فاعلم ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده للضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة القانية في دار الدنيا لا تنبأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستمد للاكتحال به تصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فالحري أن يشاق إلى المجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لبيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمة ولتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أخفى الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمة والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه واجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمنها رد اللطام والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايه ينادى عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد المعاصي فبرذك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك ففقد أوامره ورد للظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهره فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفره أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان للسافر وماله على خطر إلا من وفى الله سبحانه ولتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو للسفر

(١) حديث لييك بحجة حقا تبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم
ألمهم طلب التهوؤ
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .

قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فان
تفكك متحرك في طلب
الكرامة توربك يطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر غفل
عن حقيقته كثير من
أهل السلوك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والتجدين سموا بسير
الصالحين للتقدمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا نفوسهم
لا تزال تتطلع إلى شيء
من ذلك ويحبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولعل أحدهم يتي
منكسر القلب متها
لنفسه في حمة عمله حيث
لم يكشف بشيء من
ذلك ولو علوا سر
ذلك لمان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

يخرج على بعض
الجهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزداد بما يرى
من خوارق العادات
وأثار القدرة فينا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواعي
الموى وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الحجاب
ومن كوشف بصرف
اليقين اعتنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن الراد منها
كان حصول اليقين
وقد حصل اليقين فلو
كوشف هذا للرزق
صرف اليقين جهه
من ذلك ما لزماد فينا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا للوضع لاستخفاف
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

والله المصير فلا ينبغي أن يفضل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من
موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتكدر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعناه
كما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند اللوث ويخوته فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد في أول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متعبرا محتاجا لاحيله فليحذر أن تكون أعماله التى هي زاده إلى
الآخرة لا تصحبه بعد اللوث بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير . وأما الراحلة : إذا
أحضرها فليشكر الله قلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
الشقة وليتكدر عنده للركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنائز التى يحمل عليها فان أمر الحج
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة فليستظر يصلح سفره على هذا للركب لأن يكون زاده ذلك
السفر على ذلك للركب فما أقرب ذلك منه وما يهده لعل للوث قريب ويكون ركوبه للجنائز قبل
ركوبه للجمل وركوب الجنائز مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاج في
أسباب السفر للشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر للستيقن . وأما شراء
ثوب الإحرام : فليتكدر عنده الكفن وله فيه فانه سير يندى ويتزر بثوب الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن
لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الثوب والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد
الوث إلا في زى مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه محيط كافي الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا يضاها أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ما ذابريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك
لللوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستهضوا قهضوا وقطعوا الملائق
وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسمدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدلالا بأعماله في الارحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته النية في الطريق لقي الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك المقبات : فليتكدر فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتكدر من هول قطاع
الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات
ومن انفراد عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله
متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن منتهى إجابة نداء الله عز وجل
فارج أن تكون مقبولا وأخشى أن قال لك لاليك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متبرعا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكللا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى
عمل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته
أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي
لاليك ولا سعديك فلما لم يثب على الرعدة ووقع عن راحلته فلم يزل يترقبه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد
ابن أبي الخوارى كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

فأخذته العشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بنى إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلقي أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا ليك ولا سمديك حتى ترد ما في يديك فإنا نؤمن أن يقال لنا ذلك ولينذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقرين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون آتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خالياً ومستحقاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً بالكرم عظيم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وقمام المستجير اللانذ غير مضيق . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليينه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأفونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحائزين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تغتم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتغتم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة لقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت للعمود في السموات بازاء الكعبة فان طواف اللاتكعبة كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء بيمينتك فمن غدر في المبايعه استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض يصفح بها خلقه كما يصفح الرجل أخاه^(٢) » . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاف بالملتزم : فتسكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركا بالمعاسة ورجاءاً للتحسن عن النار في كل جزء من بدنك لا في البيت ولتسكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب للفرقة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بشيأ من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله في الأرض يصفح بها خلقه الحديث تخدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

سرف اليقين بضير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شيء من ذلك سبيل الصادق مطالبته النفس بالاستقامة في الكرامة ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جازو حسن وإن لم يقع فلا يزال ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي أشار إليها للتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب إن شاء الله تعالى وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفة أخلاقها وعلم النفس

إليه ولا مفرغ له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالغو وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي
 بين الصفا والروة في فناء البيت : فانه يضاهي تردد المبد فناء دار الملك جاثيا وذاهبا مرة بعد أخرى
 إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
 ما الذي يقضى به للملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
 يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند تروده بين الصفا والروة تروده بين كفتي لليزان
 في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والروة بكفة السيئات ولينذكر تروده بين الكتبتين
 ناظرا إلى الرجحان والتقصان مترددا بين العذاب والفران . وأما الوقوف برفة : فاذكر بما ترى
 من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أمتهم في الترددات على للشاعر
 اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيا وطعمهم
 في شفاعتهم وتهميم في ذلك الصيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة
 والابتهاال إلى الله عز وجل فتحضر في زمرة الفائزين للرحومين وحق رجاؤك بالإجابة فالوقوف شريف
 والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العززة من أوتاد الأرض ولا
 ينفك للوقوف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب طالما اجتمعت همهم
 وتجردت للضراعة والابتهاال قلوبهم وارتفعت إلى اقتسبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت
 نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم
 ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرقات ويظن أن الله تعالى
 لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هوسر
 الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
 وقت واحد على صيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الاتقياد للأمر بإظهار اللق والبودية واتهاضا
 لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
 إبليس لعنه الله تعالى في ذلك للوضع ليدخل على حبه شبهة أو يفتنه بمصيبة فأمره الله عز وجل
 أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمه فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فذلك رماه وأما
 أنا فليس يمرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع زمك
 في الرمي ويغيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
 والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر رمى الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
 رمى به وجه الشيطان وتقصم بظهره إذ لا يحصل إرغام أنه إلا بامتثال أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما
 له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
 الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد
 فكلمة كان الهدى أكبر وأجزاءه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك
 على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
 وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله
 عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزريه القامعين بالحق بسده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع

(١) حديث أنه يتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المضى من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب
 الضحايا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يفر لك ما تقدم
 من ذنوبك بقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العززة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في الكشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حق قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هناك حرمة ولو برفع صوته فوقه . ته . بذكر مامن الله تعالى به على الدين أدر كوا محبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسلك على ما فاتك من محبته ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتت رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ترجع لآراءه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا^(١) » فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته ولعظم مع ذلك رجاءك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحضبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتت رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فإذا بلغت للسجد فاذا ذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصاة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا للكان بأن يستدعي الحشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففتش عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلتقى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلابس يديه فكذلك فاضل فان للسَّ والتَّيْبِيل للشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يلفه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في الأحد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك قد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته^(٢) » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه ولاكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريم وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا^(٣) » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم النبر ومثل في قلبك طلعت البية كأنها على النبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

(١) حديث يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

(٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يلفه سلام من سلم عليه من أمته ن ح ك

(٣) حديث ابن مسعود بلفظ إن لله ملائكة سياحين في الأرض يلفون عن أمي السلام (٣) حديث من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد
وعديده بما يلزم من
ضرورته وملا يقدر
في حقيقته ومعرفة
الزهد في الزهد ومعرفة
زهد نالك بعد الزهد
في الزهد وعلم الانابة
والالتجاء ومعرفة
أوقات الدعاء ومعرفة
وقت السكوت عن
الدعاء وعلم المحبة
والفرق بين المحبة
العامة الفسرة بامثال
الأمر والمحبة الخاصة
وقد أنكر طائفة من
علماء الدنيا دعوى
علماء الآخرة المحبة
الخاصة كما أنكروا الرضا
وقالوا ليس إلا الصبر
وانقسام المحبة الخاصة
إلى محبة الذات وإلى
محبة الصفات والفرق
بين محبة القلب ومحبة
الروح ومحبة العقل
ومحبة النفس والفرق
بين مقام المحب والمحبوب
والمريد والمراد ثم علوم
الشهادات كعلم الهيبة
والأنس والقبض
والبسط والفرق بين
القبض والمهم والبسط
والنشاط وعلم الفناء
والبقاء وتفاوت أحوال

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى قبل حبه وأثبات في زمرة المحبوبين أم رد حبه وألحق بالمطرودين وليتصرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار النور وانصرفا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الصريح فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاؤه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إلبس لمنه الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوقعك أن يكون حظه من بفره الضاء والتعب فوذا بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حق اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك النهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من النور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبارة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غير ما ضله الله هو جبل الله التبين ونوره البين والمروءة الوثقى وللمتعمم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض محابته ولا تنهاه غرائبه لا يحيط بغوائمه عند أهل العلم تحديده ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أُرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأمنابه ولن نشرك بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - ومن أسباب حفظ في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والموظبة على دراسته مع القيام بأدائه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من يانه وتفصيله وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شفيح أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره (٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طيب من حديث عبد الله بن عمرو بن عبد المنذر ضعيف (٢) حديث مومن شفيح أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره روله عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسل ولطبراني من حديث ابن مسعود القرآن عافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يحيى يوم القيامة شيئا لصاحبه .

القضاء والاستقرار
واتجلى والجمع والفرق
واللوامع والطوالع
والبوادي والصحو
والسكر إلى غير ذلك
لواتسع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات
ولكن الصغر قصير
والوقت عزيز ولولاسم
الفضة لفاق الوقت
عن هذا القدر أيضا
وهذا المختصر للؤلؤ
يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو
من الله الكريم أن
ينفع به ويعمله حجة
لنا لا حجة علينا وهذه
كلها علوم من ورائها
علوم عمل بمقتضاها
وظهر بها علماء الآخرة
الزاهدون وحزم ذلك
علماء الدنيا الراغبون
وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها
إلا بنوق ووجدان
كالعلم بكيفية حلالة
السكر لا يحصل
بالوصف لمن ذاقه
عرفه ونبشك عن
شرف علم الصوفية
وزهاد الطماء أن العلوم
كلها لا ينمدر تحصيلها
مع حجة الدنيا والاحلال

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب السالكين »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر اللوت »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته »^(٩) الآثار : قال أبو أمامة الباهلي اقرءوا القرآن ولا تفرزكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاتروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنة أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والهم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويسجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام قلت يارب ما أفضل ما تقرب به للتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بفهمهم قال بفهمهم وبغير فهمهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب السالكين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن ضريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر اللوت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه حب ك ومحمه من حديث فضالة بن عبيد .

بحقائق التقوى وربما كان حجة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على حجة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعدد الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع حجة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسموه قط وقال الفضيل بن عياض
 شقني لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج
 الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع
 من يسهو ولا يلقو مع من يلقو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل
 الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من شمر مصحفا حين يصلى الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله
 عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا وروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى -
 الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لشمس
 وما يقول هذا بشر (١) » وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ
 خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي
 ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهينا
 أحد نستأنس به فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال على بن أبي طالب رضى الله
 عنه ثلاث يزدن في الحفظ وينهبن البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة الفاتنين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلغنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر
 وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة
 الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط
 ثم عاد قرأ قيل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح نددت على استظهارى القرآن لأنه يلقى أن أصحاب
 القرآن يثقلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف
 بليته إذا الناس ينامون ونهاره إذا الناس يفرطون وبجزئه إذا الناس يفرحون ويكائه إذا الناس
 يضحكون وبصمته إذا الناس يغوضون وبغشوعه إذا الناس يغفلون وينبغي لحامل القرآن أن
 يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال
 صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن
 ما نهاك فان لم ينك فلست تقرأه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل
 محارمه (٤) » وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها
 وإن العبد ليفتح سورة فتلغنه حتى يفرغ منها قيل له وكيف ذلك فقال إذا أحسن حلافا
 وحرم حرامها صلت عليه وإلا لغتته . وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلغنه نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على قرأ عليه - إن الله
 يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
 أسفله لمندق وإن أعلاه لشمس وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه
 البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة
 وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمي قراؤها أحمد من حديث
 عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك
 فلست تقرأه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من
 استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

الزهاد لأنهم أعقل
 الخلق . قال سهل بن
 عبد الله التستري
 للعقل ألف اسم ولكل
 اسم منه ألف اسم
 وأول كل اسم منه
 ترك الدنيا . حدثنا :
 الشيخ الصالح أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 قال أنا أبو الفضل
 أحمد بن أحمد قال
 أنا الحافظ أبو نعيم
 الأصفهاني قال حدثنا
 محمد بن أحمد بن محمد
 قال حدثنا العباس
 ابن أحمد الشاشي قال
 حدثنا أبو عقيل
 الوصافي قال أنا عبد الله
 الخوص وكان من
 أصحاب حاتم قال دخلت
 مع أبي عبد الرحمن
 حاتم الأصم الرى ومعه
 ثلاثمائة وعشرون رجلا
 يريدون الحج وعليهم
 الصوف والزماقات
 ليس معهم جراب
 ولا طعام فدخلنا الرى
 على رجل من التجار
 متنسك يحب المتقشفين
 فأضافنا تلك الليلة فلما
 كان من القد قال لحاتم
 يا أبا عبد الرحمن ألك
 حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحلهم وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فأتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط الصلبي به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره ثم الدقل (١) وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يا نبيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق غشي فتعبد عن الطريق وتقدم لأجله وتقرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظروا فصلت لك فيه من القول وكما كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كفه وأهانا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أجهلتنى أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القارى وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير مرتبع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في القراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الله كرم مضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء وخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فشر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » (٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنحه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ماقراً القرآن ولا مسكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع (٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدما

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود قتها لثأره عليل
قال حاتم إن كان لكم
قته عليل فيادة
الفتية لها فضل والنظر
إلى الفتية عبادة فأنا
أيضاً أجىء معك وكان
الليل محمد بن مقاتل
قاضى الرى فقال
سربنا يا أبا عبد الرحمن
لجأوا إلى الباب فإذا
باب مشرف حسن
فبقي حاتم متفكراً
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فإذا دارقوراء
وإذا بركة ومنعة وسنور
وجمع فبقى حاتم متفكراً
ثم دخلوا إلى المجلس
الذى هو فيه فإذا بفرش
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
غلام ويسده مذبة
فحمد الرازى يسأله
وحاتم قائم فأومأ إليه
ابن مقاتل أن أقعد
فقال لا أقعد فقال له
ابن مقاتل لعلك حاجة
قال نعم قال وماهى قال
مستة أسأوك عنها قال
سلى قال نعم فاستو
جالسا حتى أسألكها
فأمر خلائه فأسندوه
فقال له حاتم عليك

كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يغمثون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم ففي الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاحتصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث . والأحب أن يغمث ختمه بالليل وختمه بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي القجر أو بعدها ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي القرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فان لللائكة عليهم السلام تفضل عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق السمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بشغل العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن قد يكتفي في الشهر بمرة لسكرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل . الثالث في وجه القصة : أمان ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالقرة إلى المائة وليلة السبت بالأقسام إلى هود وليلة الأحد يوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالنسكيات إلى ص وليلة الأربعاء بنزول إلى الرحمن ويغمث ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاثون والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع للفصل من ق إلى آخره فكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تصل الأخماس والأعشار والأجزاء فمأسوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللعن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين يشكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحرمة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحمل الباب وتشوفا إلى حراسة القرآن عما يطرأ عليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كافي في إقامة الجماعات في التراويح إيمان من محدثات عمر رضى الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة الذميمة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها وبضهم كان يقول اقرأ في الصحف للنقطة ولا تقطع بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن يهردا في الصحاح فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده تقطعا كبارا عند منتهى الآية فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الحواتم والقوائم قال أبو بكر المذلي سألت الحسن عن تنقيط للصحاح بالأحمر فقال وما تنقطها قلت يعربون الكلمة بالحرية قال أما إصراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الخداء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزب القرآن على سبعة أجزاء ده من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قاله أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحرز الفصل في رواية الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزى القرآن قالوا كان يحزئه ثلاثا فذكره مرعوى واسناده حسن .

هذا من أين جئت به
قال الثقات حدثوني
به قاله عثمان قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عثمان قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم قضا
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل مممت في العلم من
في داره أمير أو منته
أكثر كانت له التزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف مممت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين وقدم
لآخرته كان له عند الله
الترزلة أكثر قال حاتم
فأنت بمن اقتديت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
يعربون ونمروذا أول
من بنى بالجلس والأجر
يا طباء السوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب

يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسواها أجزاء وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى .
الخامس الترتيل : هو للستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل معين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا يجرّد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشدّ تأثيراً في القلب من الهذمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فنبأكم » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » (٣) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والوائق والمعهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليك على قد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم للصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مرّ بآية سجدة وسجد وكذلك إذا جمع من غيره سجدة سجدة إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج ستجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك السبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - وغرّون للأذقان يكون ويزيدم خشوعاً - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والحبث ومن لم يكن على طهارة عند السجود فإذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافضاً يديه تحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبيره للهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك فغيره بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
دون وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فنبأكم . من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن خ من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

للهنيا الراغب فيها
فيقول العالم على هذه
الحالة لا أكون أنا
شرا منه وخرج من
عنده فاذا ابن
مقاتل مرضاً بلغ أهل
الري ما جرى بينه
وبين ابن مقاتل
فقالوا له يا أبا عبد الرحمن
بغزوين عالم كبر شأنا
من هذا وأشاروا به إلى
الطنافى قال فسار
إليه متممداً فدخل
عليه فقال رحمك الله
أنا رجل أجهى أحب
أن تظني أول مبتدئ
ديني ومفتاح صلاتي
كيف أتوضأ للصلاة
قال نعم وكرامة يا غلام
هات إناء فيه ماء فأنى
بأناء فيه ماء فعمد
الطنافى فتوضأ ثلاثاً
ثلاثاً ثم قال هكذا
فتوضأ فعمد فتوضأ
حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا
بلغ غسل الدراعين
غسل أربعا فقال له
الطنافى يا هذا
أسرفت فقال له حاتم
فما ذا قال غسّلت
فدراعيك أربعا قال
حاتم يا سبحان الله أنا في
كف ماء أسرفت وأنت

في هذا الجمع كله
تسرف فلم الطافسي
أنه أراد بذلك ولم يرد
منه التحم فدخل البيت
ولم يخرج إلى الناس
أربعين يوما وكتب
نحو الرى وقزوين
ما جرى بينه وبين
ابن مقاتل والطافسي
فلما دخل بغداد اجتمع
إليه أهل بغداد فقالوا
له يا أبا عبد الرحمن أنت
رجل الكين أعجمي
ليس يكلمك أحد إلا
وقطعتة قال ممي ثلاث
خصال بين أظهرى
خصمى قالوا أى شئ
هى قال أفرح إذا نأب
خصمى وأحزن إذا
أخطأ وأحفظ شئى
أن لا أجهل عليه فبلغ
ذلك أحمد بن حنبل
فجاء إليه وقال سبحان
الله ما أعظمه فلما دخلوا
عليه قالوا يا أبا
عبد الرحمن ما السلامة
من الدنيا قال لحاتم يا أبا
عبد الله لا تعلم من
الدنيا حتى يكون معك
أربع خصال قال أى
شئ هى يا أبا عبد الرحمن
قال تنفر للقوم جهلم
وتنعم جهلك عنهم

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما . الثامن أن يقول
في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من
القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفضا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب
العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح سبح وكبر. وإذا مر بآية
دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوة سأل وإن مر بمخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه أو قبله
فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه
إلا سبح^(١) ، فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن
واجمله لإماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته
آثناء الليل وأطراف النهار واجمله لى حجة يارب العالمين^(٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك
فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد
من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو
محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر
« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالصدقة^(٣) » وفى الخبر المام « فضل عمل السر
على عمل العلانية سبعين ضعفا^(٤) » وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحفى^(٥) »
وفى الخبر « لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء^(٦) » وسمع سعيد بن السبب
ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال لقلامه اذهب إلى هذا المصلى فتره أن يخفض صوته فقال الصلالم إن للسجد
ليس لنا والرجل فيه نصب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك
فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يرضوا عنك من أقة شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز
وخفف ركبته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تصود ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح م
مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى
بالقرآن واجمله لى إماما وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى
تلاوته آثناء الليل وأطراف النهار واجمله لى حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين
الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الثمائل كلاهما من طريق أبى فتر الهروى من
رواية داود بن قيس مضافا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر
على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة
دون ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل
العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير
الله كرى الحفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضهم على بعض
فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء
والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وجدها وفيه الحرب الأعور وهو صحيح

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فسوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فان اللائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (٢) » ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفي الأحوال لمروى على أي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذي أناجيته هو يسمنى ومروى على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومروى على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أجدر عن الرياء والتضع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أضافت على غيره فالجهر للتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم فيرفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره يقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فتمنى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن في المصاحف أفضل اذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختم في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إنى لأصلى الصلوة وأضع المصحف بين يدي فما أظفقه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيط مفرد غير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به التزم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه مع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل فسوب ذلك ففي الصحيحين من حديث عائشة أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائقي وأنا أصح قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا إنما أعرف أصوات رقة الأحمريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فان اللائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته بوله بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار وصهر للقدس في اللواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى صلى الله عليه وسلم بأن بكر وهو يخافت وجهر وهو يجهر ويلا وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم دن . حب لك وصحة من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشيء ما أذن النبي يتغن بالقرآن زاد من لبي حسن الصوت وفي روايته كأذنه لبي يتغن بالقرآن .

وتبذل لمسم شيك وتكون من شيتهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار إلى للدين . قال الله تعالى - إنما يغشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فيتنى العلم فمن لا يغشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادى ينتقى دخول غير البغدادى الدار فلاح العلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبه للمعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قبل ولم ذلك فالذكرت كلمة قلها في صباى فجاأتى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك وأعجب بمن يذكر الله تعالى وهو متصف بى من صفاته بصفاء التقوى وكال الزهادة جبر البعد راسخا في العلم . قال الواسطى : الراسخون في العلم هم

الذين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السر ففهم ما عرفهم
وخاصوا في بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الحزان ما نعت
كل حرف من الكلام
من الفهم وهجالب
الخطاب فنطقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
أطلع على عمل المراد من
الخطاب وقال الحراز :
هم الذين كملوا في جميع
العلوم وعرفوها واطلموا

على هم الخلاق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا ينفى
به أن الراسخ في العلم
ينبغي أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم ووقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما للأدب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإعنا عن بذلك
أبو سعيد ما يفسر أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» قال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إني أحب أن أسمع من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تضيآن (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد لوتى هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تخيرا (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي أنت المهيم الذي نزل القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولذكر الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة (٥)» وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتضع .

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلاؤه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قديمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يميز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه بجلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا أثر ولا ثلاثي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسامع كلامه كما لم يطق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله . من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا طويلا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أن قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد لوتى هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع .

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليه حيث صار ذكاً ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حذفهم الخلق ولهذا عبر
بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل
قاف وإن اللانكسة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرائيل
عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله يا ذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل
طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع
علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض
الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فهمه فقال الملك
أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطبق الناس
حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع
حسنه وتزيينه وبديع نظمه فترلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات
يضعونها لآفة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس
يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكالصفات فصاروا بما تراجموا بينهم من الأصوات التي سمعوا
بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة
في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً
ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فسكناً أن أجساد البشر تكرم وتمزج لكان الروح فكذلك
أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على اللزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم
في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد للرضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام
كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة
كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحببه
أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس
العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو
مفتاح الحزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ودواء الأسقام الذي من سقى
منه لم يسمم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم العاملة
فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن
يحضر في قلبه عظمة للتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله
عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه
محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن ممناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محبوب
عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستقبراً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح
لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لئيل معانيه كل قلب ولئيل هذا التعظيم
كان عكرمة بن أبي جهل إذا شر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي تعظيم
الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة للتكلم مالم يتفكر في صفاته وجلاله وأفضاله فإذا حضر
بياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها الواحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين
هيمته وسطوته إن أنتم بفضلهم وإن أعاقب فيعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي هؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله
اطلوا على هم الخلائق
كلهم لأن التقي حق
التقوى والزاهد حق
الزهادة في الدنيا صفا
باطنه وانجلت مرآة
قلبه ووقفت له معاذة
بشيء من اللوح
المحفوظ فأدرك بصفاء
الباطن أمهات العلوم
وأصولها فيعلم منتهى
أقدام العلماء في علومهم
وغائية كل عالم والعلوم
الجزئية متجزئة في
النفوس بالتعليم
وللممارسة فلا يفتنه
علمه الكلي أن
يراجع في الجزئي أهله
الدين هم أوعيته
فنفوس هؤلاء امتلأت
من الجزئي واشتغلت
به واقتطعت بالجزئي
عن الكلي ونفوس
العلماء الزاهدين بمد
الأخذ عما لا بد لهم
منه في أصل الدين
وأساسه من الشريعة
أقبلوا على الله واقطعوا
إليه وخلصت أرواحهم
إلى مقام القرب منه
فأفاضت أرواحهم على
قلوبهم أنواراً تهيأت
بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتفعت
عن حد إدراك العلوم
بمكوفها على العالم الأزل
ونجرت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذي يسلي
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بنسبة انفصال
العلوم باتصالها بالروح
المحفوظ وللصفي
بالانفصال انتفاشها
في اللوح لا غير
وانفصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين للفصلين
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب المنزلة
يا بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يسير فيأتى به
العلم مجهول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم التكلم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - أى بجهد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه من غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشئ فقال أو شئ أحب إلى من القرآن حتى أحدث به شئ وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تنول عما قبلها من التعظيم فإن للعظم
لكلام الذي يتلوه يستشعر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في
للتزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن مبادئ وبساتين ومقاصير وهما ليس ودياسج
ورياض وخانات فالمبادئ هياديين القرآن والراءات بساتين القرآن والحانات مقاصير والمصبات
ههنا ليس القرآن والحاميات دياسج القرآن والفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فإذا دخل القارى
البادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد الهوائس وليس الدياسج ونزهة في الرياض وسكن
غرف الحانات استغرق ذلك وعمله عما سواه فلم يهرب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على صماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره وللقصود من القراءة التدبر ولذلك سن في الترتيل لأن الترتيل في الظاهر يتمكن
من التدبر بالباطن قال طي رضى الله عنه : لا خير في عافية لائقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بتريده فليدّر إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتجسس من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروى
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يترين في الصلاة فليل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدي ربى عز وجل وأنى كيف أنصرف
فد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه لما استطع
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بناليلة مقام بآية
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تفرحهم (٢) - الآية » وقام نعيم الدار ليلة بهذه الآية - أم حسب
الدين اجتروا السيئات - الآية وقام سعد بن جبير ليلة بردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنى لأفتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا أنضمها ولا يكون قلبى فيها لأعد لها ثوابا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنى لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليل أو خمس ليل ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف
أنه بقى في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى في كل جمعة ختمته وفي
كل شهر ختمته وفي كل سنة ختمته ولى ختمته منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتخشيه وكان هذا أيضا يقول ألفت نفسى مقام الأجراء فأنا عمل ميامنة ومجامعة ومشاهدة ومسانهة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروى في معجمه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ن . بسند صحيح .

الخامس التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال للكافرين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فكتوبه تعالى - ليس كونه شيء وهو السميع البصير - وكتوبه تعالى - للكم القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتبينها معان مدفونة لا تكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهماني كتابه فليكن جريصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا مورا لا ثقة بأفهامهم ولم يثروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذلكه خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رأى كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبهوله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يستبرج وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية نبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرأيت ما تعرثون ، أفرأيت ما تمنون ، أفرأيت الماء الذى تشربون أفرأيت النار التى توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق واللى بل يتأمل فى اللى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعمود والعصب كيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات للذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجمل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أومر الإنسان أنا خلقناه من نقطة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا جمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا جمع نصرتهم فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال للكافرين : كما دهم وتمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته وهيمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه العقوبة وتتغذ فيه القضية وكذلك إذا جمع وصف الجنة والنار وسأرما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما فيها من لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رقة فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهماني كتابه ن من رواية أبى جعيفة قال سألتنا عليا قلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهماني كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائى قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر التفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصديقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى يغطيكم
أو يثمركم فالتأدب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
خاضى جيلاتها وقها
بصرىح السلم فى كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن علم وقرب
وتطرق إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيتحفظ بالحق للحق
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب عبد القاهر
السهروردى إجازة قال
أخبرنا أبو منصور بن
خيرى إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن على
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن للروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
حسان بن عطية بلفظ
أن شداد بن أوس
رضى الله عنه نزل
منزلا فقال اتقونا

بالسفرة. نصبت بها
فأنكر منه ذلك فقال
ما تكلمت بكلمة منذ
أسلمت إلا وأنا أخطئها
ثم أزمها غير هذه
فلا تحفظوها على قتل
هذا يكون التأدب
بآداب الروحانيين
مكتوب في الإنجيل
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الشیطان بما يسوقكم
بالعلم قلنا يا رسول الله
كيف يسوقنا بالعلم قال
يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال
الصيد في الصلم قائلاً
ولاعمل مسوقاً حتى
يموت وما عمل». وقال
ابن مسعود رضي الله
عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم بالحشية
وقال الحسن إن الله
تعالى لا يحب أذى علم
ورواية إنما يحب أذى
فهم ودراية فعلم الوراثة
مستخرجة من علم
الدراسة ومثال علوم
الدراسة كاللبن الخالص
المائع للشاربين

مبين - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً -
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لو شئت لأوقرت سبعين نبيراً من تفسير فائحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه
التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في
أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
ماذا قال آتاه أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي اللوائح التي سند كرها في موانع الفهم
وقد قيل : لا يكون للرب مريد حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من الزيد ويستغنى
بالمولى عن الصيد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منحوا عن فهم معاني القرآن
لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو أن
الشياطين يحمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت (١) » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل
ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت . وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون
الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا ينول حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم
عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على تديد الحرف بخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه
فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تكشفه للمعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان
مطيعاً لمثل هذا التلبس . ثانياً : أن يكون مقلداً للمذهب منه بالتقليد وجمده عليه وثبت في نفسه التصب
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده متقدمه عن أن يجاوزه
فلا يمكنه أن يخطر بباله غير متقدمه فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لم يرق على بعد وبدا له معنى
من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
معتقد آباءك فبى أن ذلك غرور من الشيطان فيبقا عدمه ويحترز عن مثله ومثل هذا قالت الصوفية
إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية
حررها التصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف وللشاهدة بنور البصيرة
فكيف يكون حجاباً وهو منتهى الطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يتقدم في الاستواء
على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلاً في القديس أنه لا يكون عن كل ما يجوز على خلقه لم
يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لا يجرى إلى كشف ثان وثالث وتواصل ولكن
يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لما ناضته تخليقه الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم
والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود
الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
في كتاب قواعد العقائد . ثالثاً : أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداء وهو كالحجب على للرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه
وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكترون وكلما كانت الشهوات أعند ترا كما كانت معاني الكلام
أهدأ احتجاباً وكلما خضع القلب أهوال الدنيا قرب تجلى للنفس فيه فالقلب مثل للرآة والشهوة مثل الصدأ
ومعاني القرآن مثل الصور تترامى في للرآة والرياسة للقلب بإمطاة الشهوات مثل تصليل الجلاء للرآة
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي (٢) » قال الفضيل يحيى حرّموا فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .
(٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرهم زرع منها هية الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرّموا

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وما يذكر إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما يذكر أولو الألباب - فالدين أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعاً : أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقداً أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه قد تبوأ مقعداً من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول من رضي الله عنه إلا أن يؤنى الله عبداً فيها في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع : التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهيأً قدراً أنه للنهي وللأمور وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليخبر به وليأخذ من تضاعف ما يحتاج إليه فإما من قصة في القرآن إلا وسياقها لقائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمه ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقدر العبد أن الله ثبت قلوبهم بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا يتظار نصر الله تعالى وكيف لا يندر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ رسول الله خاصة بل هو شفاه وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب قال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلاتنقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القارى الواحد مقصود لئلا يولسائر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأندركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويتمثل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتنا من قبل ربنا عز وجل يسهوه تدبرها في الصلوات وتقف عليها في الخلوات وتتفدها في الطاعات والسنن والتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كما أن النيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهما القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاه ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . الثامن : التأثير وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضيق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإنى لنفار - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً قال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع الكل وهكذا من تصفع القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكاءه وقل ضحكته وأكثر نصيبه وشغله

بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو البنية للطلوبة من اللبن وللماية في اللبن جسم قام به روح البنية وللماية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أو من سكان ميثا فأحييناه - أى كان ميثا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مبادئ الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد قال للتوحيد وللعرفة وللشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

عام فالوصف العام علم
اليقين وقد يتوصل إليه
بالنظر والاستدلال
ويشارك فيه علماء
الدنياء مع علماء الآخرة
وله وصف خاص
يغنى به علماء
الآخرة وهي السكينة
التي أزلت في قلوب
المؤمنين ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم فلي هذا
جميع الرتب يشملها
اسم الإيمان بوصفه
الخاص ولا يشهد لها
بوصفه العام فبالنظر
إلى الوصف الخاص
اليقين ومراتبه من
الإيمان وإلى وصفه
العام اليقين زيادة على
الإيمان وللشاهدة
وصف خاص في اليقين
وهو عين اليقين وفي
عين اليقين وصف
خاص وهو حق اليقين
حق اليقين إذن فوق
الشاهدة وحق اليقين
موطنه ومستقره في
الآخرة وفي الدنيا منه
لمح يسير لأهله وهو
من أعز ما يوجد من
أقسام العلم بالله لأنه
وجدان فصار علم
الصوفية وزهاد العلماء

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق
للقلوب ولا أشد استجلاً للحنن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة
الآية للتلاوة ضد الوعيد وتفيد للفرقة بالشرائط يتضاد من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع
ووعد للفرقة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله
واستشعاراً لمظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرم لله عز وجل ولداً
وصاحبة بفضن صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلهم وعند وصف الجنة ينبعث يياطنه
شوقاً إليها وعند وصف النار ترتد فرائصه خوفاً منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود
اقرأ (١) قال فاتتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على
هؤلاء شهيداً - رأيت عيني تذرطان بالسمع فقال لي حسبك الآن وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استفرقت
قلبه بالكلية ولقد كان في الحائذين من خير مفعلياً عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الأحوال يخرج عنه أن يكون حاكياً في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم - ولم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك للصبر - ولم
يكن حاله التوكل والإجابة كان حاكياً وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر
أو المزعجة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللسان على نفسه في قوله تعالى - أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ - وفي
قوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون -
وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخل في معنى قوله عز وجل - ومنهم أُميون
لا يملكون الكتاب إلا أُماني - يعني التلاوة المبردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات
والأرض يملكون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو البين لتلك الآيات في السموات والأرض
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تقب إلى ومثال العاصى إذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الله في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو
مشغول بتجريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلم يترك الدراسة عند مخالفة لكان أبعد عن الاستزاء
واستحقاق القوت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت الموت
فأعدل إلى التيسير والاستغفار وللعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فنبهوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمناً قليلاً فيبئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اتلفت
عليه قلوبكم ولا نت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم فهو مواعنه (٢) » قال
الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون -
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن ما اتلفت
ما اتلفت عليه قلوبكم ولا نت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم
فهو مواعنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله
ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
الله تعالى بسند صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل » (١) فالقرآن يراد الاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فاتهرني وقال جعلت القرآن على عملاً اذهب فأقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال لمسات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فأنهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قهيه . وإنما العزيم مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل التالى باللسان للعرض عن العمل جدير بأن يكون هو للراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحضره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فكسبها وكذلك اليوم تنسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان للعصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب لحفظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم النافقي في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لله أراد بالمدينة وإلا فقد روي عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده في الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قنت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو البرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير يسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنة فقال مامعك يا فلان ؟ قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فأنهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قهيه دن في الكبرى ووجب له وصحه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حق فرغ منها فقال الرجل والذي بشك بالحق لا أزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع الرجل أطلع الرجل أطلع الرجل ولاحمد ون في الكبرى من حديث مصعب عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمن الذي هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنسبة الشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم وورزاة الأعمال على قدر الحفظ من العلم وقد ورد في الخبر « فضل العالم على العابد كفضل على أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والتناق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون البعد علماً بالله تعالى ذايقين كامل وليس عنده علم من فروض الكتابات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بمقائق اليقين ومقائق للرفة وقد كان علماء

بالترتيل وحفظ العقل تفسير للماني وحفظ القلب الاتصاف والتأثر بالانزجار والالتفات فالسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهال . الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطفاف ويناجيه بانامه وإحسانه لقائه الحياء والتعظيم والاضفاء والفهم . الثالثة أن يرى في الكلام التكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق الانعام بمن حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لهم على التكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة للتكلم عن غيره وهذه درجة القربين وما قبله درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو درجات النافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لحلقه في كلامهم لا يصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقه في الصلاة حتى خرمفتها عليه فلما سرى منه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى صممت من التكلم بها فلم يثبت جسمي لمحاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة النجاة . ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كآني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوه على أصحابه ثم رخصت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كآني أسمع من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من التكلم به فندها وجدت له لذة ونعما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة للتكلم في الكلام . ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتعمت به عشرين سنة ومشاهدة للتكلم دون ما سواه يكون العبد بمثابة لقوله عز وجل - فقرأوا إلى الله - ولقوله تعالى - ولا تعملوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء قدر رأي غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه وبين الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد وللدخ للضالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للوقنين والصديقين فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم لما بال الكفر لتلا قوله عز وجل - إن الإنسان لظلوم كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربها من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا لنفسه بين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر للسكرات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يخطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الصبح فلقبه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تخطر عندي فأخلفت فقال لولا ميمادي منك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت الغنمة قلت أوتر قبل أن أجيبك لأنني لا آمن ما يحدث من اللوت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة لما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكاشفات لا تسكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم . روى أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن شيء يقول سلوا سميد ابن السيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على قتيبة لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فإنه قد حفظ ونسينا فكانوا يريدون الناس إليهم في علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة . وكذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادة بهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم الجبل والفصل فلتقى منهم طائفة مججلة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مججلة والمجمل أصل العلم ومفصلة المكتسب بطهارة القلوب وقوة الفريضة وكال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه الكاشفات بحسب أحوال المكاشف بحيث ينلو آيات الرجا
ويغلب على حاله الاستبشار تكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد
الصوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة والطف والانتقام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعمل الكاشفة بأمر
يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال للسمع واحدا وللسموع مختلفا إذ فيه كلام اراض
وكلام غضبان وكلام منكم وكلام منتقم وكلام حيار متكبر لا ينال وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه
فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ^(١) وعن هذا
شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسويين إلى التصوف في تأويل كلمات
في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وصائر للفرسين وذهبوا إلى أنه كفر فان صرح ما قاله أهل
التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك لما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من
فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لافهم للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو مخبر عن حدسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسا لأرباب
الفهم ^(٢) قال على رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة للفقوة
فذلك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلما » ^(٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود
موقوفا عليه وهو من علماء التفسير في معنى الظاهر والباطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه
لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فأنحة الكتاب فامعنا وتفسير ظاهرها في غاية الاتسار وقال
أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجمل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم
وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم
ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ومريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة ^(٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها ولا تفرجتها
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين
فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أمثال الله عز وجل
وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها
والقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل
فيه على النظر واختلف فيه الخلاق في النظريات والمقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه
يجتص أهل الفهم بدركها فكيف ين بدلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم ^(٢) حديث
الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم تقدم قول على في الباب قبله إلا
أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه ^(٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلما تقدم في قواعد
العقائد ^(٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والوعظة
الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن - وقال
تعالى - قل هذه سبيلي
أدعو إلى الله على
بصيرة - فلهذه السبل
سابعة ولهذه الدعوات
قلوب قابلة لنها نفوس
مستحبة جامدة باقية
على خشونة طبيعتها
وجبيلها فليتها بنار
الإنذار والوعظة
والحدار ومنها نفوس
زكية من تربة طيبة
موافقة للقلوب قريبة
منها لمن كانت نفسه
ظاهرة على قلبه دناه
بالوعظة ومن كان
قلبه ظاهرا على نفسه
دعاه بالحكمة فالدعوة
بالوعظة أجاب بها
الأبرار وهي الدعوة
بذكر الجنة والنار
والدعوة بالحكمة أجاب
بها القرون وهي الدعوة
بتلويح منح القرب
وصفو للرفة وإشارة
التوحيد فلما وجدوا
التلويحات الخلقانية
والتعريفات الربانية
أجابوا بأرواحهم
وقلوبهم ونفوسهم

«اقرأوا القرآن واتمسوا غرابه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طي كرم الله وجهه «والذي بشى بالحق نبيا لتفرقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلمة ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابة قصه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أصله الله عز وجل وهو جبل الله للتين ونوره البين وشفاهه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يروج فيقوم ولا يزيع فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة التردد» (٢) الحديث وفي حديث حذيفة «لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله لماذا تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فيه النجاة» (٣) وقال طي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جعل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - متى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتطعن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والطم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالنا وأن النقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلى وأي مماء تظلى إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والمراد به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه : أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي تبيين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرءوا القرآن واتمسوا غرابه ، ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى اللوصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث طي والذي بشى بالحق لتفرقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله فإن فيه نأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر اقتراق الأمة بلفظ إلا إنها ستكون فتنة مضلة قلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف والفرقة بعده قلت ما تأمرني إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهي عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

فصارت متتابعة الأحوال
إجابتهم نفسا ومتابعة
الأعمال إجابتهم قلبا
والتحقق بالأحوال
إجابتهم. روحا وإجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم بالبخس . قال
عمر رضي الله عنه :
رسم الله تعالى صيا
لو لم يخف الله لم يصح
يعنى لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف للفرقة بعظيم
أمر الله على القيام
بواجب حق اليهودية
أداء لما عرف من حق
المنظمة فاجابة الصوفية
إلى الدعوة إجابة
الحب للمحجوب على
الاذانة وذهاب السر
وإجابة غيرهم على
للكابدة والمجاهدة
وهذه الإجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بمخائق
الاستقامة والبودية
قال الله تعالى - فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسن فسيسره
للإسرى - قال بعضهم
أعطى الدارين ولم ير
شيئا واتقى الفؤ
والسبآت وصدق

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ^(١) » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل وحفظا مثله لما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما قلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الجحيل فيطلب أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما التمسك فإنه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلزم له من القرآن ذلك للمنى وهذا تارة يكون مع العلم كالمضى يخرج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس للراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجع ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى برأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يرجع عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة ^(٢) » ويزعم أن المراد به السحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنطقى - ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه للراد فرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصالحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو غرور وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغدير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى النسخ من التفسير بالرأى ويكون الراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والوافق للهوى قد يخص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العرية من غير استظهار بالسماع والنقل قبله يتطرق بخرائب القرآن ومافيه من الألفاظ للبهمة والبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط للمانى بمجرد فهم العرية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالتنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتق به مواضع الخط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والخرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثلها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر كمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بدقيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا نوحا والناقة مبصرة فظلموا بها - معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فانظر إلى ظاهر العرية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدركها منهم عاذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أقسمهم وقوله تعالى - وأشر بواقي قلوبهم بالمعجل بكفرهم - أى حب المعجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا أذقناك ضعف الحياة وضمف الماتسأى ضفف عذاب الأحياء وضمف عذاب الموتى فحذف المذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح

بالحسن أقام على طلب الزلقى والآية قيل نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى للوساوس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى فتفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأمان من غل بالاعمال واستغنى امتلا بالأحوال وكذب بالحسن لم يكن فى اللكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره لليسرى نسد عليه باب اليسر فى الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفرو نصيبهم من المعرفة أكل فكأن أعمالهم أركى وأفضل جازم رجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما يجتهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضئيف اليقين يتوره
الشك قال معاذ
ليجبتن شكه عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أبسط شك
الأول أعمال بره
ليجبتن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ يده وقال ما رأيت
الذي هو أقبح من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا استطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل لله
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عمله حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العمل لأنه أدهى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكال
الحظ من اليقين والطم
بأنه للصوفية والطماء

الجنة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل
فيها محذوف مضمرة وقوله عز وجل - تهلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والتي إذا خفي تهل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضرر الأهل وحذف وقوله تعالى
- ونجملون رزقكم أنكم تكذبرن - أي عكر رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
أخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل - لعل
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها النقول المتقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
للكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال للملأ
الدين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الدين
استضعفوا ومنها للتقدم وللؤخر وهو مظنة الضل كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولا كان نصيبا كاللزام وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل
الأنفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أنفال الفتناء لك إذ أنت راض
بغروك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه - الآية - ومنها للبهيم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكأنشء والقرين والأمة والروح ونظائرهما قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة محارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى ينتدى بها العارف في أو ان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا ما ملئني عتيد - ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به للكل للكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطفيته ولكن كان - أراد به
الشیطان - وأما الأمة فتطلق على عمالية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله تعالى نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الذين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بعدأمة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة ، وأمة رجل منفرد بدین لا يشرك فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم « يمت زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة ^(١) » والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد.

(١) حديث يمت زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة ن في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأتزن به تعافوسطن به جمعا - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي اللوريات أي أترن بالحوافر قعما . والثانية كناية عن الاطارة وهي المنفريات صعبا فوسطن به جمعا جمع الشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى - فأنزلناه الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر بمأته ليل أو نهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا ينفي فيه إلا النقل والسجع فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفعلا لهم ومعجزا في فهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العرية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسجع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة اللغى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه إلى ماسمه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منها عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السجع وأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماء الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلهم بدينهم الله بأيديكم - فاذا كانوا هم للقائين كيف يكون الله سبحانه هو للعدب وإن كان الله تعالى هو للعدب بتحريك أيديهم لما معنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم للكشافات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة وفيهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إصباح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العمر لو اتفق في استكشاف أسرار هذا اللغى وما يرتبط بمقدّماته ولو اختلف لا نقض العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ومامن كل من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراستخين في العلم من أسرار به قدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهاية لما فتند الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضوا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى القدرات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استجابه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأنشأ بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر باسنادين جديدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الزاهد بن فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إن صور مسألة يستبين بها الاعتبار فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقد وميز نفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقد فوقه فانصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتره وهو لا يظن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى الداولة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجاهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى الفعل تكبر بحيث القصير صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه جيء دون

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستمادة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . ثم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد ومحبيه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله للسمعان لاربسواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل لآفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني أذكركم - ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطعم الطيع والعاصي والداني والعاصي في الانبساط إلى حضرة جلالة برفع الحاجات والأمان بقوله - فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفائه وسلم تسليما كثيرا . [أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل الآثار من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستمادة وغيرها ويشرح للقاصد من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة معذوقة الاسناد من الأدعية للآثورة . الباب الخامس : في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويبدأ على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني رحمه الله إنني أعلم من يذكرني ربي عز وجل فمزعومانه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرتني وقال تعالى - اذكروا الله كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنصت من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام واذكروه كما هذاكم - وقال عز وجل - فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والفقر والرفق والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالتدو والآصال ولا تسكن من المنافقين - وقال تعالى - ولذكرا الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواء إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الحشم »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفريقين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الحشم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من

للسلمين ولا يرى نفسه في مقام تميز غيرها بمجلس فالصوفي العالم بخصوص يميز ولو قدر له أن ينتل بمثل هذه الواقعة وينصرف من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى أن هذا داء وأنه إن امتثل فيه بالإصغاء إلى النفس وانصرها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من السكر فيمن قصد فوقه وربما أقبل على من قصد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنوب الوجودية ودوايا لدائه الحاصل . فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فإذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاهي ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل ^(٣) ». وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أن تصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالعداء والمشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاخي من ملك وإذا تحرب مني شبرا تحربت منه ذراعاً وإذا تحرب مني ذراعاً تحربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه ^(٧) » يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً قضاة عيناه من خشية الله ^(٨) » وقال أبو البرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ^(١٠) » .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاهي هـ حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي البرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بن يسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند ث بلفظ إذا مررت برياض الجنة فارتموا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبهقي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترفيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالعداء والمشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً ورواه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كلوا ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً قضاة عيناه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح إسناده من حديث أبي البرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ح في التاريخ والبراز في للسند والبهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالب للناسب النبوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير للسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين وتقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله للوفى للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف

طريقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم المروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم

الأنصاري قال حدثنا

محمد بن عبد الله

الأنصاري عن أبيه

عن علي بن زيد عن

سعيد بن السيب قال:

قال أنس بن مالك

رضي الله عنه قال لي

رسول الله صلى الله

عليه وسلم «يا بني إن

قدوتك أن تصبح وتسي

وليس في قلبك غش

لأحد فافعل ثم قال يا بني

وذلك من سنن ومن

أحيائك قد أحياني

ومن أحيائي كان معي

في الجنة» وهذا أثر

شرف وأكل فضل

أخبر به الرسول صلى

الله عليه وسلم في حق

من أحيائهم الصوفية

هم الذين أحيوا هذه

السنة وطهارة الصدور

من الغل والنس عباد

أمرهم وبذلك ظهر

جوهرهم وبأن فضلهم

ولأنهم قدروا على إحياء

هذه السنة ونهضوا

بواجب حقها لخدمهم

في الدنيا وتركها لأزواجها

وطلابها لأنهم أثار القل

والنفس بحبة الدنيا

وحبة الرقة وللزلة

عند الناس والصوفية

وأما الآثار: فقد قال الفضيل بلقنا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيا عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكر الله عز وجل بين نفسك وكنت جليسه ومحادثه وأنيته وقال الحسن الله ذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروي «إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل» وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها، والله تعالى أعلم.

(فضيلة مجالس الله كـ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا خفت بهم ملائكة وغشيتهم الرحمة وذكروا الله تعالى فيمن عنده» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات» (٢) وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم «ما قدم قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة» (٣) وقال داود صلى الله عليه وسلم: ألمى إذا رأيتني أجوز مجالس الله كرين إلى مجالس العاقلين فأكبر رجلى دونهم فانها نعمة تتم بها على. وقال صلى الله عليه وسلم «الجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء» (٤) وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليرآون بيوت أهل الأرض التي يذكروا فيها اسم الله تعالى كما تراه النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا خرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في للسجد فذهب الناس إلى للسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في للسجد قال فإذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي انتقاة أيضاً (١) حديث ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى إلا خفت بهم للملائكة وغشيتهم رحمة وذكروا الله فيمن عنده م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قدم قوم مقعداً لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولمه وكذلك لم أجده لإسناده (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في للسجد فذهب الناس إلى للسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع.

فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يعبدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسييحاً وتحميداً وتمجيداً فيقول لهم من أى شئ يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشدّ نفوراً فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أعد عليها حرصاً فيقول جل جلاله إنى أعهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليهم^(١) .

(فضيلة التهليل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك^(٣) » وقال عليه السلام « مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبى هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك^(٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وسمارهن غبرى والأرضين السبع فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب وك وصحة .

زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم للزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد يقول القائل كنست بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يندب باب النفس والفلس وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع أن معنى كنست بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم فى محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها اللزوم

من القلوب والنش والحمد
والحمد فكأنها
تكسب بنور الروح
وهذا للنفى صحيح
وإن لم يرد القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
سوزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو حفص كيف يقي
القل في قلوب التلقت
بالله وانفتحت على محبته
 واجتمعت على مودته
 وأنست بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
 وظلمات الطباع بل
كملت بنور التوفيق
 فصارت إخوانا فالحق
حجابهم عرفت القيام
 بإحياء سنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 قولوا وفضلوا بحال صفات
 نفوسهم فاذا تبدلت
 نفوس النفس ارتفع
 الحجاب وحيث المتابعة
 ووقعت للواقعة في كل
 شيء مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ووجبت
 المحبة من الله تعالى
 عند ذلك قال الله تعالى
 - قل إن كنتم تحبون
 الله فاتبعوني يحكم

وقال صلى الله عليه وسلم « لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله ذلك (١) » وقال
صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة لقن للوحي شهادة أن لا إله إلا الله فاتمها تهتم الذنوب هدمًا قلت
يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم (٢) » وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يا رسول الله من الذي أبى وشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله (٤) » فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فاتمها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نعمة (٥) » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم ما قل مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله (٦) »

(١) حديث لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
ولترمذي في حديث أنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا شريك
بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلك
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢)
حديث يا أبا هريرة
لقن للوحي شهادة أن لا إله إلا الله فاتمها تهتم الذنوب الحديث أبو منصور الهذلي في مسند الفردوس من
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسل (٣)
حديث
من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٤)
حديث
لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصحها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمار الثمالي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الثمالي من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للاستجابة لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدي من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وأئزهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه قد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدي والمستعمرى من حديث أنس
عن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥)
حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦)
حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبهره بيتا في الجنة » وروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها (١) » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعانق أربعة أنفس من ولد إسماعيل صلى الله عليه وسلم (٢) » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمارى من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي فغفر له أو دعا استجيب له فإن عوصا وحلى قبلت صلاته (٣) » .

(فضيلة التسييح والتحميد وبقيّة الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم للثلاث بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٤) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت به خطايا » وإن كانت مثل زبد البحر (٥) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأبذ أنت من صلاة الثلاث والتسييح الخلاق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يارسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تولى المصباح تأتيك الدنيا راغمة ضاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله مائة مرة ملائكة من السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملائكة من السماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٧) » قال دافعة الزرقى « كتابوما صلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله لن حننه

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في الاستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعانق أربعة أنفس من ولد إسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمارى من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطايا وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبذ أنت عن صلاة الثلاث والتسييح الخلاق وبها يرزقون الحديث للاستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلإله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فاتها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله مائة مرة ملائكة من السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملائكة من السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أو فرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من راجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأنوال والأفوال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والرفق والرافة والشفقة وللدأرة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من للتكم آفا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا^(١) وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر^(٣)» رواه بن عمر وروى الثعلباني بن بشر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الدين يذكر من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمطقن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكر من صاحبه أولاً يجب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به^(٤)» وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس^(٥)» وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت^(٦)» رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فوعدا أو مشتر نفسه فمقتها^(٧)» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كلمات خفيفتان على اللسان ثقلتان في اليزان جيتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم^(٨)» وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفتي الله سبحانه لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم^(٩)» وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يومنا صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه مخ -
(٢) حديث الباقيات الصالحات من لإله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم واليلة وجب لك وصحة من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسن ون في اليوم واليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث الثعلباني بن بشر الدين يذكر من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمطقن حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر صاحبه الحديث ه وك وصحة على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول ولست تفرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال لني صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أعظم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفتي الله لئلا يكتفه سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
المتابعات وأحبوا سنته
بأقصى التابايات . قيل
لعبد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والماضون عليها
بقولهم وللتصميمون
بسيدهم من شرفهم
هم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاه حتى
يقول لا تنكفي إلى
نفسى طرفة عين
أكلاني كلاءة الوليد
ومن أشرف ما ظفربه
الصوفى من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الاتجاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عبد كشف باطنه
بصفاء المعرفة وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القربى وخلاه سره بلاذة
السامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة ونحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غفرست له نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف ونهى عن منكر صدقة ووضع أحدكم القيمة في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق قال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبيرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس فلا تنفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستنطقات ^(٥) » يعنى بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التسبيح ^(٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن قالهن عند الموت لم يمه النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحان الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غفرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى الحديث رواه م (٤) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق الحديث رواه م إلا أنه قال قاله مسفيان لأدري أين أربيع ولأحمد في هذا الحديث وتحمدا أربعاً وثلاثين وإسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبيرا أربعاً وثلاثين كما ذكر المصنف (٥) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتحليل والتفليس ولا تنفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستنطقات د ت ك بإسناد جيد (٦) حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يقول التسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن وحسنه وك (٧) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم واليلة و ه ك وصححه (٨) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيسجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شروحي بمثابة النار لوقيت منها شرارة أحرقت عالمي وشيكة الرجوع سريسة الانقلاب والاقلاب فآله تعالى بكال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكانها جعلت سوطاً للبعد تمسوقه لمرفقه بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يغفل الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يغفل عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا التمسك من

التقوى بأونق العرى
ومن الذى يهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفى فدوام
افتقار إلى ربه تمسك
بجنان الحق وليأذبه
وفى هذا الياذاستغرق
الروح واستنجا القلب
إلى محل الدعاء وفى
انجذاب القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستغرها
من الأقسام العاجلة
وتزولها إلى فى مدارج
العلم محفوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
العائلة من الغل والنش
والحقد والحسد وسائر
الذمومات فهذا حال
الصوفى. ويجمع حمل
حال الصوفية شيئا كان:
ها وصف الصوفية
واللهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من ينيب - تقوم
من الصوفية خصوا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفى رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين يصبح رضىت بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفى رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كيفت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى بوكتى ووقى لاسيل لكم إليه . فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التنب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة الشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يلقى إلا بطم للكاشفة والقدر الذى يسمح بذكره فى علم للعامة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً (٤) وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر الأوقات هو القديم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحلب وآخره يوجب الأنس والحلب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحلب فان الريد فى بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانفرد فى قلبه حب المذكور ولا ينفى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العبادات أن تذكر طائفاً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه وقد يشقى بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر للتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشر الأنس بالذكر والحلب ثم تمتع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحلب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على السكادة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشحه أولاً ويكابد كلاًه ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تعود * أى ما كلفها أولاً يصبر لها طبعاً آخراً ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم فى اليوم واليلة وك من قال سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضىت بالله ربنا الحديث د ن فى اليوم واليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فيه سعد ابن الرزبان ضعيف جداً (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبق إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ باقطاع الموانع الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فغظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يمنوعه عما به أنسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك ينفى في حق الموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما نفى الدنيا بالموت في حقه إلى أن نفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بدموته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يمر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما يمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من الشركيين « يا فلان يا فلان وقد صامم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فأن وجدتم ما وعدني ربى حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جفوا ؟ فقال ﷺ : « والذي نفسى بيده ما أتم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يتقرون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في الشركيين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولأحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن الطلب الحقة ونفى بالحقة وداع الدنيا والقعود على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العائق عن غيره فإن قدر عبيد على أن يحمل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يزيد لها حياته وقدهون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من الشركيين يا فلان يا فلان وقد صامم إني قد وجدت ما وعدني ربى حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة للمؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالهداية بشرط مقدمة الإنابة فالاجتناب المحض غير ممل بكسب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتاده وفي هذا أخذ بظاظة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأنار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذادة والديش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذادة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أبي الفضل إجازة
قال أنا أبو بكر أحمد
ابن طي بن خلف
إجازة قال أنا
عبد الرحمن السلي
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا موسى
الزقاق يقول سمعت
أبا سعيد الخزاز يقول
أهل الخالصة الذين هم
المرادون اجتنابهم مولا هم
وأكل لهم النعمة وهيا
لهم الكرامة فأسقط
عنهم حركات الطلب
فصارت حركاتهم في
العمل والخدمة على
الألفة والذكر والتنم
بمناجاته والافتقار
بقربه وبهذا الاسناد
إلى أبي عبد الرحمن
السلي قال سمعت طي
ابن سعيد يقول سمعت
أحمد بن الحسن الحصري
يقول سمعت فاطمة
المصروفة بجورية
تلمذة أبي سعيد تقول
سمعت الخزاز يقول
المراد محمول في حاله
معان على حركاته وسعيه
في الخدمة مكنى مصون
عن الشواهد والنواظر
وهذا الذي قاله الشيخ
أبو سعيد هو القبي

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخبر قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقمنه بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ على يا عبدی ما شئت أعطيكه فقال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١) » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن أُرْمَ ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تغريه فإذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحنّ بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويمشّر على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشريد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشريد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود مقصود وكل مقصود مبدود وكل مقصود مبدود فله فهذا الشريد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله عخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للنقل . ففسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين لقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة
وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخبر قال إن الله أحيا أباك وأقمنه بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ على الحديث ت وقال حسن وهك وصحح إسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقال لئيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبو موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يقاتل لذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وه من حديث جابر (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

- قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي امدعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من اللب قال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يرصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو في وقت السحر قبيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه إنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الفيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جملة في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من الشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع المهم وتعاون القلوب على استدراار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مع العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الدبلى فى الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ فى الأدب والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ت فى اليوم واليلة وت وحسنه من حديث أنس وصفه ابن عدى وابن القطان ورواه فى اليوم واليلة باسناد آخر جييد وح ك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أنى هريرة بزيادة فيه .

اختبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من الشايع قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يسلوا أن الذين تركوا النوافل واتصروا على الفرائض صككت بدايتهم بدايات للريدين فلا وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلاوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذى أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق للريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدى إليه من ينيب - فطوبى لى بالاجتهاد أو لا قبل الكشوف قال الله تعالى سوادين جاهدوا

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء (١) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه من أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس (٣) » وقال سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها صفراً (٤) » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه السبائين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ارفضوا هذا لأيدي قبل أن تفل بالأغلال ثم ينفى أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه (٨) فهذه هيئات اليد ولا يرفع يده إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أبحارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن أبحارهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قد منا مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبروا كبر الناس ورفضوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفياً - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وأقرب من الدعاء رواه م (٢) حديث ابن عباس إن نيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً الحديث م أيضاً (٣) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غابت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفاً و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه برفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها صفراً دت وحسنه وهك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن مفيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن وهك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب وهك في المستدرک وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام عن رفع أبحارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن أبحارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غالب متفق عليه مع اختلاف اللفظ الذي ذكره الصنف لأن داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

فيتأهدينهم سبلنا -
يدرجهم الله تعالى في
مدارج الكسب بأنواع
الرياضات والمجاهدات
وسهر الدايجر وظلما
المواجر وتأجج فيهم
نيران الطلب وتحجب
دونهم لوامع الأرب
يتقبلون في رمضاء
الإرادة وينخلعون
عن كل مألوف وعادة
وهي الإنابة التي شرطها
الحق سبحانه وتعالى
لهم وجعل الهداية
مقرونة بها وهنـه
الهداية آخا هداية
خاصة لأنها هداية إليه
غير الهداية العامة التي
هي المدي إلى أمره
ونيه بمقتضى المعرفة
الأولى وهذا حال
السالك المحب للرب
فكانت الإنابة خير
الهداية العامة فأعمرت
هداية خاصة واهتدوا
إليه بعد أن اهتدوا
بالمكابدات فخلصوا
من مضيق الصبر إلى
فضاء اليسر وبرزوا
من وهج الاجتهاد إلى
روح الأحوال فسبق
اجتهادهم كشوفهم
والرادون سبق

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »^(١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات للأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته لما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى تعلموا من العلماء وقد قال عليه السلام « يا أيكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » وفي الخبر يأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومريم بعض السلف بقاس يدعو بسجع فقال له أطل الله تبائع أشهد لقد رأيت عجيبا المجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضعنا يوم القيامة اللهم وقنا للغير والناس يدعون من كل ناحية وراؤه وكان يعرف بركه دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهده آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يغير في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن للراد بالسجع هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والإفنى الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد »^(٢) وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه »^(٣) . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت لعزم المسئلة فإنه لا مكره له »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د . حب ك من حديث عبد الله بن مغفل
(٢) حديث يا أيكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فأن عهدت أصحاب رسول الله عليه السلام لا يفعلون إلا ذلك و . ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى س . الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا حب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فأن أحب أن أسمع صوته ولطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فأن أحب أن أسمع صوته وسندها ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت لعزم المسئلة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء حب من حديث أبي هريرة .

كشوفهم اجتهدم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
تنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجريري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول لما أخذنا التصوف
عن القليل والقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
المألوفات وللتحسنت
قال محمد بن خفيف
الإرادة مماو القلب
لطب للراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجد
وترك الراحة وقال
أبو عثمان اللريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

وادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل^(١) وقال
سفيان بن عيينة لا يضمن أحدكم من الدعاء ما يطم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس
لنه الله إذ قال رب فأنتظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من اللظرين - . الثامن : أن يلح في الدعاء
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعاه ثلاثا وإذا سأله ثلاثا^(٢) وينبغي أن لا يستبطى
الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فاذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما^(٣) » وقال بعضهم إن أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا ينبغي وقال صلى الله عليه وسلم
« إذا سألك ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال^(٤) » . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال ضمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتح بقوله سبحان رب العلى الأعلى
الوهاب^(٥) وقال أبو سليمان النخعي رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتدء بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقض إحداها ويرد
الأخرى^(٦) » رواه أبو طالب الليثي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد للظالم
والاقبال على الله عز وجل بكنه الحمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأحمري أنه
قال أصاب الناس قحط عديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل
يسئق بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن
لا تستجيب لك ولان معك وفيكم غمام فقال موسى يارب ومن هو حق فخرجه من بيننا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أيتها عن النخمة وأكون غماما فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم
بأجمعكم عن النخمة فتابوا فأرسل تعالى عليهم القيث . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال للملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذ يهليل
له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء قال أتدل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا للبتة من

(١) حديث ادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من
حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح اللري وهو أحد زهاد البصرة
قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا
سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيقول قد دعوت فلم
يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سألك ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل
الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في
الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة غنصرا باسناد ضعيف (٥) حديث
سنة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتح وقال سبحان
رب العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد الجاني ضعفه الجمهور
(٦) حديث إذا سألت الله حاجة فابتدء بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين
فيعطى إحداها ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي النضر .

شوقه إلى ربه وقال
أيضا عقوبة قلب
للريدين أن يحجبوا
عن حقيقة للاملات
والقامات إلى أصدائها
فهذان الطريقان
يعجمان أحوال
الصوفية ودونها طريقان
آخران ليسا من طرق
التحقق بالتصوف .
أحدهما مجذوب أبقى
على جذبة مارد إلى
الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعبد
ماخلص إلى الكشف
بعد الاجتهاد وللصوفية
في طريقتيها باب
مزيد ومحة طريقتهم
بحسن التابعة ومن
ظن أن يبلغ غرضا
أو يظفر بمراد لامن
طريق للتابعة فهو
مخدول مغرور . أخبرنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي
ابن خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت

للزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون وتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومستين إلى بأقدامكم حتى تحن ركبتكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل السنك عن الدعاء فاني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيًا حتى تردوا للظالم إلى أهلها فقبلوا فطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وتضعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن زدادوا مني إلا بعدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستقي لربنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غبرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا قد صقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا مشرك من حضر السم مقرين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد معناك تقول - ما على الحسين من صيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا ثلثنا اللهم فاغفرنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لما لك بن دينار أدم لنا ربك فقال إنكم تستبطون للطر وأنا أستبطي الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستقي فضا ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فارجعوا كلهم ولم يبق معه في الفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فترتني امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فضا جاوزتني أدخلت أصبى في عيني فانزعجت وأبصت للمرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فتجلت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى النضائي أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاخترأوا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك آزلت في توراةك أن نفو عن ظننا اللهم إنا قد ظننا أخسنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك آزلت في توراةك أن نفتق أرقامنا اللهم إنا أرقامنا فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك آزلت في توراةك أن لارد للسالكين إذا وقوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقتنا يابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلي مننا النبيث فخرجنا نستقي فإذا نحن بعمدون المجنون في القابر فنظر إلى قال بإعطاء أهلنا يوم النشور أو بغير ما في القبور فقلت لا ولكننا مننا النبيث فخرجنا نستقي فقال بإعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيأت بإعطاء قل للتبرجين لانتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفة وقال إلهي وسيدى ومولاي لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر السكون من أسالك وماوارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غلقا فرأنا نحيي به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شيء قدير قال عطاء لما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والمابدون إذ لمولاهم أجاجوا البطونا

أسهروا الأعين العلية جبا فاقضى لهم نوم ساهرونا

غفلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فهم جنونا

وقال ابن المبارك قمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أنزرا باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبي فسمعت يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عناغيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليفا أناة يامن لا يعرف عباده منه إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فترزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول صمت قريبا فلام
الزقاق يقول صمت
أبا سعيد السكري يقول
صمت أبا سعيد الحراز
يقول كل باطن بخافه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجنيد رحمه الله
علنا هذا مشبك
بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
للجنة على نفسه قولا
وفلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على
نفسه قولا وفلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى ننظر إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحيته مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة فضينا إليه
فما خرج من بيته قصد
السجدة بزاوية نحو
القبلة قال أبو يزيد
انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحث إلى الفضيل فقال مالي أراك كشيئا قلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر متفشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكان من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراحم لا تهمل الضالة ولا تضع الكبير بدار مضيق قد ضرع الصغير ورق الكبير وارفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بنيائك قبل أن يفتنوا فبهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه » فقال عليه السلام إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أمارضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه غفوا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى على فليقل عند ذلك أوليكم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكرموا من الصلاة على يوم الجمعة (٤) » وقال عليه السلام « من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات (٥) » وقال عليه السلام « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٦) » وقال رسول الله ﷺ « من صلى على »

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أمارضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا (٢) وجب من حديث أبي طلحة باسناد جيد (٣) حديث من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى فليقل عبد من ذلك أوليكم (٤) من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الأوسط باسناد حسن (٥) حديث إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٦) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وجب من حديث أخيه الحسن البخل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكرموا على من الصلاة يوم الجمعة دن . حبك وقال صحيح على شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في الملل وحكي عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير ولا بن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر هو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء

ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمؤمن على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين

وشلو خادم الشبلي رحمه الله ما رأيت منه عند موته قال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضئ للصلاة فوضأته ففسدت غليل لحته قبض على يدي وأدخل أصابعي في لحته فغلبها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والشفقة طل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فلدغ مفتون كذاب .

[الباب الخامس في ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم تزل للملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يسلم على إلارداه على روعي حتى أرد عليه السلام » (٣) و « قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جلع فخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمهم فعن الجذع لقرارك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما رقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته قال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالغو عنك قبل أن يخبرك بالذنب قال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تنفجر منه الأنهار لفاذا بأعجب من أصابك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأطبع صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله الموتى لفاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك القراع لانا كلنا فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على قومه قال رب لا تنذرني على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلثا لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره وقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم نجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تتكلم

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف. وزاد الحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة من حديث أبي الهرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وقبل شفاعة في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم للؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم سلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم وفيه لمن سأل الوصيلة جلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل للملائكة تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب وللمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يلتمون عن أمي السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيروازي بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال أنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال شاعثان ابن سعد قال شاهر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال روي التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالبلد والإيتار وترك التمرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل حالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل قلعت « يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمري وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى هزلى وجدى وخطيئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأنت أعلم به منى أنت للقدم وأنت للوخر وأنت على كل شئ قدير (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت من رسول الله عليه السلام حديثاً نقض الله عز وجل بما شاء أن ينقض منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته قال وحديثى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية - وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء فى قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره للصف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . قلت الوصافى وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهل الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم واليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوبى إليه فإن البعد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبرانى فى الدعاء فإن البعد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى وإسرافي فى أمري وماأنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبى بكر مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعته يقول سألت
أبا بكر الصرى عن
الفقير فقال الذى
لا يملك ولا يملك (قوله
لا يكون له إلى
الله حاجة) معناه
أنه مشغول بوظائف
عبوديته تام الثقة
بربه مالم يحسن كلامه
به لا يحوجه إلى رفع
الحاجة لعله يعلم الله
بحاله فىرى السؤال فى
البين زيادة ، وأقوال
للشايخ تنوع معانيها
لأنهم أشاروا فيها إلى
أحوال فى أوقات دون
أوقات وتحتاج فى
تفصيل بعضها من
البعض إلى الضوابط
قد تذكر أشياء
فى معنى التصوف
ذكر مثلها فى معنى
الفقر وتذكر أشياء
فى معنى الفقر ذكر
مثلها فى معنى التصوف
وحيث وقع الاعتبار
فلا بد من بيان فاصل
قد تشبهه الاشارات
فى الفقر بمعانى الزهد
تارة ومعانى التصوف

ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تظلف قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه يرفع الدرجة للعبء في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) » وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فلم أن لهرباً يأخذ بالذنب ويضرب الذنب، عبدي أحمل ما شئت قد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال عليه السلام « إن رجلاً لم يصل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد أطلع عليه غفرته وإن لم يستغفر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي (٨) » وقال عليه السلام « من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا يضر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كسب الفل (٩) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء ظنّي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يضر الذنوب جميعاً إلا أنت (١٠) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبدي إلىّ للتحابون عبي والتعلقة قلوبهم بالمساجد وللستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن للؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم واليلة وه حبك (٢) حديث أبي هريرة إن الله يرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب آتني هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جعدان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدي ذنباً فلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويضرب الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة د ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى (٦) حديث إن رجلاً لم يصل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصله على أصل (٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد أطلع عليه غفرته وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم آتي ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يضر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه وإن كانت كسب الفل البهيقي في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تهولن لو كان عليك كمد الجمل أو كمد الدر ذنوباً غفرها الله لك فذكره بزيادة لإله إلا أنت في أوه وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث مع من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي وهون قوله ذنوبي ما قدمت منها وأخرت ودون قوله جميعاً .

تأخذ ولا يبين للمستغفر
بعضها من البعض .
فتقول التصوف غير
القدر والزهدي القدر
والتصوف غير الزهد
فالتصوف اسم جامع
لما في القدر ومعاني
الزهد مع مزيداً وصف
وإضافات لا يكون
بدونها الرجل صوفياً
وإن كان زاهداً
وقهراً . قال أبو حنيس
التصوف كله آداب
لكل وقت وأدب ولكل
حال أدب ولكل مقام
أدب فمن لزم آداب
الأوقات بلغ مبلغ
الرجال ومن ضيع
الآداب فهو بعيد من
حيث يقطن القرب
ومردود من حيث
يرجو القبول . وقال
أيضاً حسن آداب الظاهر
عنوان حسن أدب
الباطن لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
« لو خضع قلبه لخصمت
جوارحه » . أخبرنا
الشيخ رضي الله عن
أحمد بن إسماعيل بإجازة

أهل الأرض بمقوبة ذكرتهم فتركهم وصرفت القوية عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على
دائكم ودوائكم أما داءكم فالدنوب وأما دواؤكم فالاستغفار . وقال على كرم الله وجهه العجب ممن
يهلك ومعه النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد
أن يعلبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تخيرها أظنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة
لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه
فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار
بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة المدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال
بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وصنع أعرابى وهو
متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع على
بسمة غفوك لعجز فكم تحجب إلى بالتم مع غناك عني وكم أبغض إليك بالمصاصي مع قبرى إليك
يا من إذا وعده وفى وإذا أوعده عفا أدخل عظيم جرمى في عظيم غفوك يا أرحم الراحمين وقال
أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزيد البحر ذنوبا لبيت عنك إذا دعوت ربك
بهذا الدعاء غلظا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه
وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك
نفاطه غفرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستغنت بها على مصيبتك وأستغفرك يا عالم الغيب
والشهادة من كل ذنب أتيت به في ضياء النهار وسواد الليل فى ملا أو خلاء وسر وعلاية يا حلیم ويقال إنه
استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب

أن يدعو بها للره صباحا ومساءً وبعقب كل صلاة)

فإنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بفتح
العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته عسياً وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي
الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملی وتلم
بها شعثی وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وترزق بها عملي وتبييض
بها وجهي وتلهي بها شردي وتغنمني بها من كل سوء اللهم أعطني إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر
ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة
وعيش السماء والنصر على الأعداء ومراقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت
حليتي وقصر عملي واقتربت إلى رحمتك فأسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجبر بين البحور أن
تجبرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه
عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيها أحداً من خلقك فاني
أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حرباً
لأعدائنا وسلماء لأوليائنا نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونصادي بسداوتك من خالفك
من خلقك اللهم هذا الدعاء عليك الاجابة وهذا الجهد عليك التكلان وإن الله وإنا إليهما رجوع ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الجلال الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود
مع القرين الشهود والركع السجود اللوفين باليهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان الذي

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قلنا أنا الشيخ أبو اللفظ
عبد النعم قال أخبرني
واللهي أبو القاسم
القشيري قال سمعت
محمد بن أحمد بن يحيى
الصوفي يقول سمعت
عبد الله بن علي يقول
سئل أبو محمد الجبري
عن التصوف فقال
الدخول في كل خلق
سنة والخروج عن كل
خلق دني فاذا عرف
هذا للمنى في التصوف
من حصول الأخلاق
وتبديلها واعتبر
حقيقته يعلم أن
التصوف فوق الزهد
وفوق الفقر وقيل نهاية
الفقر مع شرفه هو
بداية التصوف وأهل
النشام لا يزقون بين
التصوف والفقر
يقولون قال الله تعالى
للفقراء الذين أحصروا
في سبيل الله هذا وصف
الصوفية والله تعالى
معلم قراء وسأوضح
معنى يفرق الحال به
بين التصوف والفقر
قول الفقير في فقره

لبس المز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شمري ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما تشرى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك من الشر ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أوقضاء قضيت وأسائل أعطيت أوفى أقرته أوقبر أغنيته أوزال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر للزل في كتابك من لدنك من النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبظلمتك وكبرياتك وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحى ودمى وسمي وبصري وتستعمل به جسدي بهولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها شئ الحديث ت وقال غريب ولم يذكر في أوله بسم العباس لابنه عباده ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . وك وصححه من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله في اليوم واليلة وك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق
بفضله يؤثره على
النفس متطلع إلى
ما تحق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل قهرا
أمن الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلمنا لاحظ
العوض الباقي أسسك
عن الحاصل الثاني
وعائق الفقر والقلة
وخشي زوال الفقر
لقوات القضية والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفي
يترك الأشياء
للاعواض للعودة
بل للأحوال للوجود
فانه ابن وقته وأيضاً
ترك الفقير الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائماً في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه)

روى أنقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً لم ينسهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبداً قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقوت في رضاك ضعفي وخذني إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منهي رضي الله عنك اللهم إني ضعيف فقوت وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارثي)

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « عليّ كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أحملها فقال عليه السلام أما لديناك فإذا صليت العداة قل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأنك إذا قلتهم أمنت من النجم والجدام والبرص والفالج وأما آخرتك قل اللهم اهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك واتر عليّ من رحمتك وأزل عليّ من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفي بين عبد يوم القيامة لم يدعهم فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في عتلتك قال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثاً وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتته آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك قبله ما ندرى أي قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهم وهي اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت ربّ العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فاتحه عليّ بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاعفها لي إنك غفور رحيم وودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما كره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيري وأصبحت مرتبها بمولى فلا تقير أقرمني اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسؤ بي صديق ولا تجعل مصيقي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط عليّ من لا يرحمي يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويتفلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً لم ينسهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارثي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ كلمات ينفعني الله بها فقد كبرتني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم واليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في للسند مختصراً من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء احترقت دارك قال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

يارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة قهر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيها بوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة ستمانية للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول فيها للمصدقين إلا بسد احكامهم علم الاذن وفي هذا منزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه رايك الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي من بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن التسفر أساس التسوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

إلى رتب التصوف
طريقه الفقر لاهل مصفى
أنه يلزم من وجود
التصوف وجود الفقر .

قال الجيد رحمة الله
عليه : التصوف هو أن
يمتلك الحق عنك
ويعيك به وهذا
للعنفى هو الذى ذكرناه
من كونه قائما في
الأشياء بالله لا بنفسه

والفقير والزاهد
مكونان في الأشياء
بنفسهما واقفان مع
إرادتهما مجتهدان

مبلغ عليهما والصوفي
متهم لنفسه مستقل
لعله غير راكن إلى
معلونه قائم بمراد ربه
لا بمراد نفسه . قال
ذو النون المصري
رحمة الله عليه الصوفي
من لا يتجبه طلب ولا

يزججه سلب وقال أيضا
الصوفية آثروا الله
تعالى على كل شيء
فآثروا الله على كل
شيء فكان من
إيثارهم أن آثروا علم
الله على علم نفوسهم

يقال إن الحذر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله
 ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف
 السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والفرق والسرقة إن شاء الله تعالى .
 (دعاء معروف السكرخي رضي الله عنه)

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس لئلا يهلكن وخمس
للاخرة من دعاء الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرددتها عليك
كما رددتها علي بكري بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله هدياي حسبي الله الكريم لما
أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بنى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند
اللوث حسبي الله الرؤوف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند
الليزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا قتل حسبي الله لا إله إلا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل ما أمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا .
(دعاء عتبة الغلام)

وقد روي في اللام بمدموته قال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم يا هادي للضلين ويا راحم للذنين
ويا مقبل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم وللصلين كلهم اجمعين واجعلنا مع الأخيار
لرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .
(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصرى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم إني أسألك إيماناً ياتسّر قلبى وبقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته لى والرضا بما قسمته لى يا ذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك ولم يأتى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهوموه ونزعنا الفقر من بين عينيه وانجبرنا له من وراء كل تاجر وحاءته الدنيا وهى راحمة وإن كان لا يريدھا .

(دعاء علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يجد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين
إني أنا الله لا إله إلا أنا إلى القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم ولد
إني أنا الله لا إله إلا أنا الغفار الغفور إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإلى يهود العزيز الحكيم الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين خالق الحبر والحر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا الفرد الرزاق عالم الغيب والشهادة للذك القُدوس السلام للمؤمن المهيمن العزيز الجبار
التكبر الخالق الباري للمصور الكبير التعال للقندر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والجدا علم السر
وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخلق»^(١) وذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما وردناه

(۱) حدیث علیؑ ان اللہ تعالیٰ یجحد نفسه کل یوم فبقول انی انا اللہ رب العالمین انی انا اللہ لا اله الا انا الحق القیوم الحدیث بطولہ لم أجد له أصلا .

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المحبتين الذين يجاوزون همدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدین في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .
(دعاء للعترة وهو وسيلان التیمی وتسیحاته رضي الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا يملأ الروم قال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسيحات ابن العترة من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل سمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما مذكروه فيما بقى في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم وقسم من الأخماس وأبد من الأبدان من أبد إلى أبد أبداً الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفذ آخره .

(دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرجأ يوم للزبد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه ما هو بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود القهار في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبقائه مصدقا ومحجته معترفا ومن ذنب مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله قتيلا وعلى الله متكللا وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملته وعرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعدك حق وقائك حق وعليه أبت إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها إلا أنت ليبيك وسعديك والخير كله يديك وأنا لك وإليك أستغفر لك وآتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد وأسقنا بكأسه مشربا رويأ ساقما هنيا لانظما بعده أبدا واحشرنا في زمرة غير خزايا ولا ناكسين للهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مضطوب علينا ولا مزالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأنى كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك يا طي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحته له السموات بأكنافها وسبحان من سبحته له البحار بأمواجها وسبحان من سبحته له الجبال بأصداؤها وسبحان من سبحته له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحته له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحته له الأعجار بأصولها ومخارها وسبحان من سبحته له السموات السبع والأرضون السبع ومن فبين ومن عليهن - سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعالى سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة
موسم . قبل بعضهم
من أحب من
الطوائف قال الصوفية
فان القبيح عندهم
وجها من الماذي ووليس
لكبير من العمل
عندهم وقع برفونك
به فتصحبك تحسك
وهذا علم لا يوجد عند
الفقير والزاهد لأن
الزاهد يستعظم الترك
ويستحب الأخذ
وهكذا الفقير وذلك
لضيق وطأهم ووقوفهم
على حد علمهم . وقال
بعضهم الصوفي من
إذا استقبله حالان
حسنان أو خلقان
حسنان يكون مع
الأحسن والفقير
والزاهد لا يميزان كل
الطيبين بين الخلقين
الحسين بل يختاران
من الأخلاق أيضا
ما هو أدعى إلى الترك
والخروج عن عوازل
الدنيا ما كان في ذلك
بطلبها والصوفي هو
للتبين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تهي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم عذوبة الأسانيد متخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أرواده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المرادين لحث الآخرة للقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به قلب في مفتوح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك الخو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (٥) اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تؤمنى غيرك ولا تنزع عني شرك ولا تنسى ذكرك ولا تجعلني من النافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبردا لعيشي وسد لولتي ولذة النظر إلى وجهك الكريم وهوقاً إلى لقاءك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدي علي أو أكتب خطيئة أو ذنباً لا تنفزه (٩)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء سبحانه ربّي العلى الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث للبخاري بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا والحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ذلك وصححه وحسب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي (٦) من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (٧) حديث اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تؤمنى غيرك ولا تنزع عني شرك ولا تنسى ذكرك ولا تجعلني من النافلين وما بوم منصور الذي يلي في مسند القردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تؤمنى غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات (٩) في اليوم واليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء بالحديث

عند الله بصدق التجاه
وحسن إجابته وحظ
قربه ولطف ولوجه
وخروجه إلى الله تعالى
لعله يبره وحظه من
عنايته ومكانته قال
رويم التصوف
استرسال النفس مع
الله تعالى على ما يريد
وقال عمرو بن عثمان
للكي التصوف أن
يكون العبد في كل
وقت مشغولاً بما هو
أولى في الوقت وقال
بعضهم التصوف أوه
علم وأوسطه عمل
وأخبره موهب من الله
تعالى وقيل التصوف
ذكر مع اجتماع ووجد
مع استماع وعمل مع
اتباع وقيل التصوف
ترك التكلف وبذل
الروح وقال سهل بن
عبد الله الصوفي من
صفاء من الكدر واستلا
من القسر وإقطع
إلى الله من البسر
واستوى عند الذهب
واللدر وصل
بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخالقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات وترك للسكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمي وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضره وقتة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في قلوبنا من عظمتك ما نذل به جوارحنا لخدمتك . واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة ومفخرة (٨)

إلى قوله أودبنا لا يفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٩) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث عسداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (١٠) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (١١) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نفعا لا يبيد وقرة عين لا تقطع (١٢) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فصل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (١٣) حديث اللهم إني أسألك بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (١٤) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتم مجلسه بذلك (١٥) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لما أف له على أصل (١٦) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

قال تصفية القلب
عن موافقة البرية
ومفارقة . الأخلاق
الطبيعية وإخاد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة واتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذواتون المصطفى
رأيت بعض سواحل
الشام امرأة قتلت من
أين أقبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
قتلت وأين تريد
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله قتلت صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فما لهم هم تسمو إلى
أحد
فطلب القوم مولاهم
وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد
الصمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لجزته وخضع كل شيء للملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لمهيبته وأظهر كل شيء بحكته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل الله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاك عنا ووقنا لهما بك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف عنك إنك أنت الغفار الحليم وبملكك بي أرفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا يماقيني عليه وقني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٨) أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين والمغفرة في الدنيا والآخرة (٩) يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لجزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لمهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قط لك حق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند شيخ بلفظ وابنه مقاما محمودا قال قط إنساده حسن وقال ك صحيح وقال حق في المعرفة إنساده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونموذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو هؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائج الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف عنك الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربي إنه لا يفر الذنوب إلا أنت حق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربي وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمني رشدی وقني شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه الحصين وقال حسن غريب ورواه في اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لا يماقيني فيه وأتقني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني لم من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل فائبة لي بخير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تنازعهم دينا ولا شرف من للطاعم والذات والولد ولا لبس ثياب فائق أنق ولا روح سرور حل في بلد إلا مسارعة في إثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الأبد فهم رهائن غدران وأودية وفي الشوامخ تلقام مع المدد وقال الجنيد: الصولى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مبيع وقال أيضا هو كالأرض يظوها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول قتلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تتبجح وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الحياة فاتها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والحرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الهيا واللمات اللهم إنا نسألك قلوبا أو أهة محببة منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والفتنة من كل بر والقور بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم والفرق والمدم وأعوذ بك من أن أموت في حيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والقسوة والفتنة والفسوق والأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا ذلك وصححه إسناده من حديث أبي اليسر وأصح كعب ابن عمر زيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في تطلب الدنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعمل وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء وحسنه ذلك وصححه والفظه من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ذلك وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال والشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني ذلك وصححه إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول ذلك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفقة والعيبة والدلة والسكنة وأعوذ بك من الكفر والقسوة والفتنة والفسوق والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وذلك بتأمله من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلهية يعني
أن روح الصوفي
متطلعة منجذبة إلى
مواطن القرب والنفس
بوضعها رسوب إلى
طامها واهلاب على
عقبها ولا بد للصوفي
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام القرار
وحسن التفقد لمواقع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا المعنى
يحمد في معنى الصوفي
جميع للتفرق في
الاشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميتهم بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو زرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو طي الشافعي بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله الهروي
قال ثنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن لجأة نعمتك ومن جميع سخطك (١).
اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرقة القبر وشرقة الفقر
وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من الغرم وللأثم (٢). اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب
لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الهم وفتنة الصدر (٣). اللهم إني أعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء (٤) وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .
(الباب الخامس في الأدعية للأنثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)

إذا أصبحت وممعت الأذان فيستحب لك جواب اللؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاه
والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فإذا خرجت إلى المسجد قل : اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلقي نورا وأمامي نورا واجعل من فوق نورا
اللهم أعطني (٥) نورا وقل أيضا اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك (٦)
فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن
تقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يفر الدنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة قل
باسم الله رب أعوذ بك أن أعظم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي (٧) بسم الله الرحمن الرحيم لاحول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم باسم الله التكلان على الله (٨) فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله
قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك (٩)

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ولجأة نعمتك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة
القبر وشرقة القبر وشرقة الفقر وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من الغرم وللأثم والقرم متفق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وعك
أبو العتمر في صحابه من أنس وللنسائي بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ودمن
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .
(الباب الخامس في الأدعية للأنثورة عند كل حادث من الحوادث)

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق
عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من
المنزل لحاجة باسم الله رب أعوذ بك أن أعظم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي أصحاب السنن من حديث
أم سلمة قالت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة إلا بالله التكلان
على الله ه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال باسم الله
فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت حسن وليس إسناده متصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل
أحدم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

له صلى الله عليه وسلم
بب دعوة العبد
يركب الحمار ويلبس
الصوف فمن هذا
الوجه ذهب قوم إلى
أنهم موصوفية نسبة
لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم
اختاروا لبس الصوف
لكونه أرقف ولكونه
كان لباس الأنبياء
عليهم السلام . روى
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« مرة بالصخرة من
الروحاء سبعون نبيا
حفاة عليهم العباء
يؤمنون البيت الحرام »
وقيل إن عيسى عليه
السلام كان يلبس
الصوف والشعر
ويأكل من الشجر
ويبيت حيث أمسى .
وقال الحسن البصري
رضي الله عنه لقد
أهدت سبعين بدرية
كان لباسهم الصوف
ووصفهم أبو هريرة
وفضالة بن عبيد قالا
كانوا يخرجون من
الجوع حتى نحسبهم

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع قل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد قل لاردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح قل بسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كأوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فاذا ركعت قل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت رب خشع سمعي وبصري وعي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قل سبحان رب العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع قل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت قل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق رحمته وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسي فاغفرلى فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا قلت من المجلس وأردت دعاء يكفر لقول المجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفرلى فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لأربع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لاردها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول في سبحان ربى العظيم ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول في سبح قدوس رب اللائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده فهي في اليوم واليلة للحسن بن على للممرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند م من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي وهذا ماجئت على نفسي فاغفرلى فإنه لا ينفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم واليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان
لباسهم الصوف حتى
إن بعضهم كان يبرى
في ثوبه فيوجد منه
رائحة الضأن إذا
أصابه القيح وقال
بعضهم إنه ليؤذى
ريح هؤلاء أما يؤذيك
ربهم يخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فكان اختيارهم
لبس الصوف لتركهم
زينة الدنيا وقناعهم
بسد الجوع وستر
المودة واستخراهم في
أمر الآخرة فلم تفرغوا
للاذات النفوس وراحاتها
لشدة شغلهم بخدمة
مولاهم وانصراف
همهم إلى أمر الآخرة
وهذا الاختيار بلائم
ويناسب من حيث
الاستغنى لأنه يقال
نصوف إذا لبس
الصوف كما يقال قميص
إذا لبس القميص
ولما كان حلهم بين
سير وطير لثقلهم في
الأحوال ولورثتهم
قال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين قتل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأعني بفضلك
عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا قتل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير
ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تسكره قتل اللهم لا يأتني
بالحسنة إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال قتل اللهم أهله
علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي
وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر
وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أولا ثم لا وإذا هبت الريح قتل اللهم إني أسألك خير
هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨)
وإذا بلغك وفاة أحد قتل إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكتبه للمحسنين واجعل
كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر
ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة كمن حديث بريدة وقال أقربها
لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشبيب بن حرب ولعله خص بن سليمان
الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا
لبست ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من
شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني
بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتني بالحسنة إلا أنت ولا يذهب
بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهي في الدعوات من
حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فجعله مسندا
(٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة
والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه
وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بحالك د
مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد لهلال
خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من
حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث
الله إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في
مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لآتهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به
ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث
أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم
اكتبه للمحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا
بعدمه واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وحسنه من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة
فليقل إن الله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

يغيدهم وصف ولا
يحبسهم نعت وأبواب
للزبد علما وحالا عليهم
مفتوحة بواطنهم
ممدن الحقائق وجمع
العلوم فلما تقرر تقديم
بحال تقديم لتنوع
وجدانهم وتجنس
مزيدهم نسبوا إلى
ظاهر اللبسة وكان
ذلك أئين في الإشارة
إليهم وأدعى إلى حصر
وصفهم لأن لبس
الصوف كان غالبا على
للتقدمين من سلفهم
وأبضا لأن حالهم حال
للقريين كما سبق ذكره
ولما كان الاعتناء إلى
القرب وعظم الإشارة
إلى قرب الله تعالى أمر
صعب يمز كشفه
والإشارة إليه وقت
الإشارة إلى زهم ستر
لحالهم وغيرة على عزيز
مقامهم أن تكسر
الإشارة إليه وتتداوله
الألسنة فكان هذا
أقرب إلى الأدب
والأدب في الظاهر
والباطن والقول والفعل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الجسران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه قتنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قل سبحان من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفته (١) فان رأيت الصواعق قل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قل اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا (٣) اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب (٤) فإذا غضبت قل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فإذا غزوت قل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قل الحمد لله الذي بمرته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت قل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان المغرب قل اللهم هذا إقبال ليالك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠) وإذا أصابك حم قل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفته مالك في اللوط أعين عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ون في اليوم واليلة من حديث ابن عمر وابن السني باسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى للمطر قال اللهم اجعله صيا نافعا وه سيا بالسين أوله ون في اليوم واليلة اللهم اجعله صيا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ون في اليوم واليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب الله اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما قل اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم ون في اليوم واليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا قل اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليالك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي دن وقال غريب ون من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الحرائط في مكارم الأخلاق والحسن بن علي للعمري في اليوم واليلة (١١) حديث القول إذا أصابه حم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث أحمد وحج لك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرساله عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقلبهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم حتى إن للبتي للريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم بوطن نفسه على التشف والتقل ويسلم أن للأكل أيضا من جنس اللبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند البتي والاشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا الأنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفيه لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للباسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نطمع ؟ قال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يطمعها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٢) « فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على عينيك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك

عن أبيه فإنه يختلف في جماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي تألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت م من حديث حذيفة م من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغتنا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال لي فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم فني عذابك يوم تجمع عبادك ت في الثمالي من حديث ابن مسعود وهو عند من حديث حفصة بلفظ تيمت وكذا رواه ت من حديث حذيفة وضمحه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم هموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لما آثروا القبول والحقول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالخرقة للقاء والصوفة للرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم وللفني المقصود به قريب بلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد وللتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونيك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قدأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح قل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من للشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجبره إلى مسلمة فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويسلم ما جرحتم بالتهار ثم يميتكم فيه ليقض أجل مسمى - (٧) اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسألت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستملي بأحب الأعمال إليك تعزني إليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فذكرنا ونسألك تمطينا وتدعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول جيب الطائي كرواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور مخ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحو والقدرة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء فرب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والتهار وما سكن فيهما الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من للشركين في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور ولابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجداؤه وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أعنسا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوني على الجهاد في سبيلك ، وللدارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
إسماعيل بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكف من
صوف ونملاء من جلد
حمار غير مذكي . وقيل
سموا صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارخاج
همهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل سموا
صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيته إن ربى على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنى وجعلنى من المسلمين (٤) وإذا اشترت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للقضى له بارك الله لك في أهلك ومالك إذا قال صلى الله عليه وسلم «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» (٧)

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعرى اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدايه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمر في اليوم والليالي من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خيراً ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م في النساء خير ما في هذه الليالي الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلم إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال يلتقي الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعني فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمته الله من القرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن برزنج قال ليس بالمعروف وهو بهذا الإسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيته إن ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برء ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذراً أعصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن أبي عمير وأحمد من حديث عبد الرحمن بن الحسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ألح الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنى وجعلنى من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليالي من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادماً أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د . من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألهين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل يتسكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى شراع ولا إلى تجارة كانوا يعتمدون ورضخون النوى بالتهاروب بالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت لفائدة الدعاء والقضاء لا مرد له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كأن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلع البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره لضعفه سيما فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة »^(١) والقالب على الخلق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إمام حاجة وإرهاق فلهذا فان الانسان إذا مسه الشر ففقد دعاء عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل وينسج من نسيانه وأما الغنى فسبب لبطر في غالب الأمور فان الانسان يطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله للوفى بالخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعبادة المريض وغيرها فستأتى في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربيع العبادات تقع الله به المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا ينادر في القلب استكبارا ولا غورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غداوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا في منابها ليتخذوها منزلا فيترودوا منها زادا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايد ما يعطونها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السقينة براكبها فالتاس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسوفه مراحل وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال قد ذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفصل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالعداة والنعى يريدون وجهه - وقوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالعداء والنعى - ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتولى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فتوب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صاح بهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجنة والسعة يمت مع كل واحد ثلاثا ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضي الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رهوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم القيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حق ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلني متعرض في يوم التباين لبينة وحسرة ملها منتهى ولهذا الخطر العظيم والحطب الهائل فمر للوقوف عن ساق الجسد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا القهم بذكرها بين :
الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد ويان أن الواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد بحب الله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والواظبة عليه وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوجدان الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة واللال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى غمط واحد أظهرت اللال والاستغراق وأن الله تعالى لا يعمل حق عملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزr بالاستقال لذنها وتظم بالله رغبها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها الباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الدنيا لمواظبتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأتى يتقاربان والطبع لأحدهما مرجح إذا الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرده . وأما الرد إلى العبادات فتشكف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتنقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والغفو من كرم الله منتظر فسي الله تعالى أن يغفر له مجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبس به نور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه . إنك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا . وقال تعالى . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسجد له وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسجد له وأدبار النجوم وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . وقال تعالى سو من آناه الليل فسبح وأطراف النهار لمالك ترضى . وقال عز وجل سو أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا بجماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا النمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا النمر أما علمت أن هذا النمر هو طعام أهل المدينة وقد وسونا به وواسيناكم بما وسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان للآء والنمر . أخبرنا الشيخ أبو القتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهب السيات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى - آمن هو قانت
آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فبجحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله بين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
للمبتغى هو الثواب والنفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة لما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وتعده به إذ قال - فالحق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة قبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التيسيع فيه بقوله تعالى - فبجحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناه الليل
فسبح وأطراف النهار لذلك ترضى - وقوله تعالى - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - . فأما ترتيبه
فلأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتنبدى بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
الدعوات ولبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستمانة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولا رجلا اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريفي
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأنماطي قال
حدثنا الحسن بن يحيى
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقص رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على
أهل الصفة فرأى قهرم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أبحر وأيا أصحاب
الصفة فمن بقي منكم
على النمت الذي أنتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فإنه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان يأوون إلى
الكهوف والغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو للسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيًا بل يمشي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء للمأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسما ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاحًا في البيت ويشتمل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التوبة وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يظلم بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بغير أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بمبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء أخرجت من منزلك في هذه الساعة قلت لصلاة النداء فقال أشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أوقال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا صليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً (٨) » ثم ينبغي أن يشتمل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث الشئ إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للمأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بغير أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى النعمة فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لم أجدها أصلاً بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى للترب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة وهما نائمات فقال ألا صليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والذين يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم النار ينسبونهم إلى النأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم نجوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوماً أبرزوا وآخرين مفرجين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتعل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . وقيل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ وقال ممي أربع دوائق يكفيني مامي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مراعى جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقنوة فإذا فرغ منها قصد إلى السجدة إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرى بعد فقد قال عليه السلام «لأن أقصد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعشق أربع رقاب (١)» وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفى بعضها ويصلى ركعتين (٢)» أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما (٣)» وإذا ظهر فضل ذلك فليقم ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبعة وقرآنة وتذكرها أما الأدعية فنكلمها بفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينارينا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتح الدعاء بما كان يفتح به رسول الله عليه السلام وهو قوله سبحانه ربى العلى الأطلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (٤) ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار المكررة ففى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعون أو وسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأفضد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قليلها مع الدائمة أفضل وأعد تأثيراً إلى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كمقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يسب دفقة أو دفقات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير (٥) . الثانية : قوله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يموت يده الخير وهو على كل شئ قدير (٥) .

(١) حديث لأن أقصد فى مجلسى أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعشق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى الغداة قصد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر فى جماعة ثم قصد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتح الدعاء بسبحان ربى العلى الأطلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل فى تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير فله الخير وهو على كل شئ قدير تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشراً دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يصرف هذا الاسم إلى اللاتين من الهجرة العربية لأن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابياً لشرف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعياً ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي الهادى وتوارى النور المصطفوى واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية الناس واضطربت عزائم الزهادين وظلّت

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١). الثالثة: قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٢).
الرابعة: قوله سبحانه الله العظيم وبحمده (٣). الخامسة: قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤). السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥). السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦).
الثامنة: قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧).
التاسعة: اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨).

قوله يحي ويحيى وهو حي لا يموت يده الخير فانها في اليوم واليلة للناس من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البرار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين والطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف.

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحبك وصحبه من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولابي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا والبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفر في الدعوات والحطيم في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الفنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب البنين وابن حبان وك وصحبه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد العافى في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وحكف حجابها وكثرت العادات وتمكنت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها فغرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة ويفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأتم لهم صالح الأعمال سقى الأحوال ونهيا لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشفت برتبة في الإيمان غير ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات

العاشرة : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ للنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمين الرسول وشهادته^(٥) وقل اللهم مالك الملك الآتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بتلك الميزة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة الأعلك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي ﷺ أجبر بنورين أو تينهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا للنضر أتندى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة وهى الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده ودية جىء به يوم القيامة قبيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالمهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن المختار روى الأباطل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآتين المستغفرى في الدعوات من حديث على بن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفى ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات الموضوعات قلت وتقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يشاهدونها فحرروا
لفهمهم اصطلاحات
تشير إلى معاني يعرفونها
وتعرب عن أحوال
يجدونها فأخذ ذلك
الحلف عن السلف حق
صار ذلك مستمرا
وخبرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به وسموا به
فلاسم محتمم والعلم بالله
صفتهم والعبادة حلينهم
والتقوى شمارم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم، نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباب النيرة وقطان
ديار الحسيرة لهم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولبيب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
احشرنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف وللتنبيه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاث من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ السبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانها إبراهيم التيمي فقلت ألم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بل قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتعجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرفق زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشديا منا ولا أطيب ريحاً منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أى شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وجبا لك في الله عندى هدية أريد أن أهديها لك فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبحا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبحا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبحا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتنزع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا بقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن لللائكة جاءته فاحتلمته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة بما رآه في الجنة قال فسألت لللائكة حديثا وفي آخره قل حسب الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هديا ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح مارواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية المز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرا خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - علم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة ولبقيق في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار لمات من يومه أوليته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر عليه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهروردى إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلا فنى الصلاة قال أين للسائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أوقال ما أعددت لها كبير عمل إلا آتى

قلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأنا
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من اللائكة كل صف مثل ما بين الشرق والغرب
فلم يأت وأخذ يدي قلت يا رسول الله الحضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الحضر
صدق الحضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى
في الأرض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامى هل يعطى شيئا مما
أعطيته فقال والقي بشئ بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم ير في الجنة إنه لا يغفر له جميع
الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب السموات أن لا يكتب عليه خطيئة من
السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله
شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فله كان بعدهم الرؤيا فهذه وظيفة
القراءة فإن أضاف إليها شيئا ما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع
لفضل الله كروا الفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن
ذلك إحدى وظائفه وسببا تفصيل ما تفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربيع النجيات ولكن
مجامعه ترجع إلى فئتين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من العاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من قصيره
ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر
تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في تسوق
معاملته للسليين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم للكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر
آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته وتقصاته ليزيد معرفته
بقدرته الإله واستغاثته ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها
على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكير ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تكشف عظمة الله سبحانه
وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته . وهما أحصاه فيحصل من الفكر للمعرفة ومن المعرفة التعظيم
ومن التعظيم المحبة والله كرايا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الله أكبر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد
جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحسنة بالتجربة إلى أنس من كرر
على صممه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
فيهما فليس محبته له كحبة للشاهد وليس الخبر كالمائة فالصائد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة
الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من
الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا حجبها وانما عدد
حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١) »
وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

أحب الله ورسوله
فقال النبي عليه الصلاة
والسلام : « الرء مع من
أحب أو أنت مع
من أحببت » قال
أنس لما رأيت
للسليين فرحوا بى
بعد الاسلام فرحهم
بهذا فالتشبه بالصوفية
ما اختار التشبه بهم
دون غيرهم من
الطوائف إلا لمحبة
إيهم وهو مع قصيره
عن القيام بمسام فيه
يكون معهم لموضع
إرادته ومحبة وقد
ورد بلفظ آخر أوضح
من الخبر الذي
رويناه في النص
روى عبادة بن
الصامت عن أبي ذر
الغفاري قال : قلت
يا رسول الله الرجل
يحب القوم ولا
يستطيع أن يعمل
كمهمهم قال « أنت
يا أبا ذر مع من أحببت »
قال قلت فاني أحب
الله ورسوله قال « فانك
مع من أحببت » قال

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

في الأول أصغر هائم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في رقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أى أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أى وصل إلى حجاب من حجب النور فبرعنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام للضيئة فإن أحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فلا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب للسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه المعاني فاتها خارجة عن علم للعامة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم للعامة وذلك أيضا مما تقرر ثالثه وبسطه فقه هذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة الريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجته والصوم هو الجنة التي تضيئ مجارى الشيطان للعادي الصارفة عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يخله النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الريع وفي هذا الريع من النهار وظيفتان زائدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح وصلى أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال وضحيت الأندام بحر الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالعشى والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والضباب التي على وجه الأرض فاتها تمنح إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأمل الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال (٢) فذلك قول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقتها (٣) » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عبادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنأدى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال طيب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنأدى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقتها تقدم في الصلاة .

فأعادها بورد فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحبة للتشبه لإمام لا تكون إلا لثبته بروحه لما قضيت له أرواح الصوفية لأن حبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون يجاذب الروح غير أن للتشبه تعمق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك وللتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاء شيء من صفات نفسه عليه للتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمه الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزو بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة فيها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونفى بالضحوة للتصف ومابعه بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضت ثلاث ساعات بعد الطلوع فتصليها وقبل مضى صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالصر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة الصرين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فغفغف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير الميعة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصح وغفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوج لآخرته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أعد والتجع بأدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، قد قيل لا يوجد للؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يصره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فياعنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يهدم الفقر ويأمرهم بالقحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يهدم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم يتم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل التفة وتحدث معهم فاثوم أحبه إذا كان لا يثبت نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في التوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والتوم فيه أفضل أعمالهم وكل من عابد أحسن أحواله التوم وذلك إذا كان يراني بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالنافل القاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يصحبه إذا خضر فوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتقنه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم يتم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهوم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند إغراض العبد عن بابه حدير بأن يركبه الله تعالى ويصطفيه قربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت التفة بالتوم وهذا وقت التفة باتباع الهوى والاشتغال بهوم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ورايته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توشأ قبل الزوال وحضر المسجد لهما زالت الشمس وأبدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقيم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشاراتهم إلى عظيم
أمر الله والتقرب منه
والإيمان بذلك إيمان
بالقدرة وقد أنكر
قوم من أهل السنة
كرامات الأولياء
والإيمان بذلك إيمان
بالقدرة ولهم علوم
من هذا القليل
فلا يؤمن بطريقهم
إلا من خصه الله تعالى
بزيد عنايته فالمتشبه
صاحب إيمان والتصوف
صاحب علم لأنه بعد
الإيمان اكتسب مزيد
علم بطريقهم وصار له
من ذلك مواجيد
يستدل بها على سائر
الصوف صاحب ذوق
فلمتصوف الصادق
نصيب من حال الصوف
وللمتشبه نصيب من
حال للتصوف وهكذا
سنة الله تعالى جارية أن
كل صاحب حال له ذوق
فيه لا يد أن يكشفه
علم بحال أعلى مما هو
فيه فيكون في الحال
الأول صاحب ذوق وفي
الحال الثاني كوشف به

وليصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهما بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار قل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصل مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كأوردنا الجبرية في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللذين أو أربعاً من اللذان فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصل الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود أن يتبع القريضة بمثلاً من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقرأة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت . الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه المكث في السجدة مستملاً بالذكر والصلاة أو غنونا الخير ويكون في انتظار الصلاة متكففاً لمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الله اخل يدخل للسجدة بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياء كبوى النحل من التلاوة فإن كان يته أصلم لهينه وأجمع لجمه فالبيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالتهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها : الضحك بغير عجب والآكل من غير جوع والنوم بالتهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالتهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالتهار فعسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربعاً يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتها للعباد وهو أحد الأصول التي ذكرها الله تعالى إذ قال - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالندو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل الجادات فكيف يجوز أن يففل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو المعنى المذكور في قوله وفي قوله بالعشى والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصل القرض ويستغل بالأنقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن تدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتفكير فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأنقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تحرب من الأرض بحيث يظن نورها الفبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كان ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح د . من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د . من حديث ابن عمر .

صاحب علم وجاه فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلو كما فيكون في حال التدوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لني نسيم على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها القربون - فكان لشراب الأبرار مزج من شراب القربين وللمقربين ذلك صرفاً فللصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شراهم وللمتشبه مزج من شراب للتصوف فالصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالترهد بالنسبة إلى الزاهد لأنه يفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما سبق

وهو المراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تسبحون - وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدينا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذة من قوله تعالى سواستغفر الله بك وسبح بحمديك بالعشى والابكار والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله استغفر الله إنه كان غفارا استغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها . والليل إذا يشئ . وللمؤمنين . ولتغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويستغل صلاة للقرب وبالقرب قد انتهت أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمنه فيكون مضبوا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا قد قال **عليه السلام** « لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا (١) » فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجمعات كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تخريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليستغل بتدارك قصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يلقى باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محالة جهلتها باقتضاء آحادها (بيان أوراد الليل وهى خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى للقرب واشتغل بأجاء ما بين المشاءين فأخّر هذا الورد عند غيوبة الشفق أعنى الحمرة التى بفسوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال - فلا أقسم بالشفق - والصلاة فيه هى ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء للذكورة فى قوله تعالى - ومن آتاء الليل فسبح - وهى صلاة الأوابين . وهى المراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسند ابن أبى زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين المشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تنذهب بملاغات النهار وتنهدب آخره (٢) » والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا تقدم فى العلم فى الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين المشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تنذهب بملاغات النهار وتنهدب آخره قال للصف أسنده ابن أبى الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبى زياد بالياء للثناء من تحت رواه أبو منصور الهذلي فى مسند الفردوس عن رواية إسماعيل بن أبى زياد الشافى عن الأعمش حدثنا أبو العلاء الضبرى عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تنذهب بملاغات أول النهار ومهدبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش وابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت فى الصلاة بين القرب والمشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .

[١] قول العراقي ابن أبى الزناد هى نسخة وقعت له وإلا فى النسخ الصحيحة ابن أبى زياد فليأمل .

عليه من وصفه فهو
مجتهد فى طريقه سائر
إلى ربه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« سيروا سبق للفردون »
قبل من للفردون
يا رسول الله ؟ قال
للمستغفرون بذكر الله
وضع الذكر عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافا فالصوفى فى مقام
للفردين والتصوف فى
مقام السائرين واصل
فى سيره إلى مقر القلب
من ذكر الله عز وجل
ومراقبته بقلبه وتلذذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفى فى مقام
الروح صاحب مشاهدة
والتصوف فى مقام القلب
صاحب مراقبة والتشبه
فى مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة فتلوين
الصوفى بوجود قلبه
وتلوين للتصوف
بوجود نفسه والتشبه
لاتلوين له لأن التلوين
لأرباب الأحوال
والتشبه مجتهد سالك

ينام بين المشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة العنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسيأتي فضل إحياء ما بين المشاءين في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعاً يطيلها ثم يصلى إلى غيوبة الشفق ما تيسر له وإن كان للسجدة قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه المكوف في السجدة وإن عزم على المكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت المشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أى وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض المشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل ^(١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يتقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم يقرأ في هذه الصلاة قدر ثمانية آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة ^(٢) فإن لم يصل فلا بدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك ^(٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل ^(٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية ^(٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وأنه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأتمس من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وح من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الفزنى في فضائل القرآن من حديث طي ياطى أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وت تقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل ت وتقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرياض بن شارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الفعلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب

يجعلونها سنا فزيدون سبع اسم ربك الأملئ إذ في الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبع اسم ربك الأملئ ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبع اسم ربك الأملئ ^(١) » وقل يا أيها الكافرون والإخلاص ^(٢) فإذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان مبتدأ صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ^(٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة آهاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترًا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت خففت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما قضى الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقض ^(٦) وروى أنه مطلقاً أنه ^(٧) قال « لا وتران في ليلة ^(٨) » ولمن يتردد في استيقاظه تلتطف استحسنته بعض الطاء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً فرائضه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم ^(٩) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التوبة وإفراد العبادة لله تعالى قيل إن استيقظت فقامت مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضياً شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب الليثي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما غلط أنهم لو شفعنا ماضياً لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافوا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ^(١٠) إتياره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وترهما فيحسب وترًا إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بال عظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى « أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ^(١١) » وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد ^(١٢) » وذلك يدل على صحة النافذة نائماً . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبع اسم ربك الأملئ أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر سبع اسم ربك الأملئ وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بأسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله ^(٤) أن لا أنام إلا على وتر ومتفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهى عن قضى الوتر قال للصفين صغ فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله هبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتقل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفى
والتصوف والتشبه
وكلمهم من أهل الفلاح
والنجاح تجمعهم دائرة
الاصطفاء وتؤلف بينهم
نسبة التخصيص بالمنح
والعطاء . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسماعيل القزوينى
إجازة قال أنا أبو سعد
محمد بن أبى العباس
قال أنا القاضي محمد بن
سيد قال أنا أبو اسحاق
أحمد بن محمد بن
إبراهيم قال أخبرني
الحسين بن محمد بن
فنجويه قال حدثنا
أحمد بن محمد بن رزمة
قال حدثنا يوسف بن
عاصم الرازى قال
حدثنا أبو أيوب سليمان
ابن داود قال حدثنا
حصين بن نمير عن أبى
ليلى عن أخيه عن
أسامة بن زيد رضى
الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال
في قوله تعالى - فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شماره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالخواص والماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة وقسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخفق القرآن فيه فحوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما أحسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقره منك (٤) . وآداب النوم عشرة : الأول الطهارة والسواك . قال ﷺ «إذا نام العبد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فذلك للثامات أضغاث أحلام لا تصدق (٥)» وهذا يريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي للزورة في انكشاف حجب القيب . الثاني أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره . وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يضمه بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومه وعند التنبه منها (٦)» وإن لم تيسره الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقم وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتسكّر في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض في النوم فان مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا للسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شماره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شماره ملك فلم يستيقظ إلا قال لل ملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا (٢) . حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي البرداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تام فتقل نوما لإعرج بروحه إلى العرش فإلى لا يستيقظ إلا عند العرش فذلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة وقسه تسبيح قلت للعروف فيه الصائم دون العالم وقد تخدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخفق القرآن فحوقا قال معاذ لكني أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقره منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أقره منك وإنما زاد فيه طبري فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تخدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومه وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه

مقصد ومنهم سابق بالخيرات - كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا وللتقصد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حتى ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

« من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم ^(١) » . الخامس أن لا ينتم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجمعون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمع بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا أقليلًا من الليل ما يهجمون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل ^(٢) » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تملقت بحبل قهرى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد ^(٣) » وقال ^(٤) « تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تعلموا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره ^(٥) » وقيل له صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يخطر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سننك فمن رغب عنها فليس مني ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاهده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله ^(٧) » السابع أن ينام مستقبلا القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الهداء عند النوم فيقول باسك ربى وضعت جنبي وباسك أرفضه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ^(٨) ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها وقوله تعالى - وإلهمك إله واحد لا إله إلا هو - إلى قوله - لقوم يعقلون - قال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله سرب من المحسنين -

ن ه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح ^(١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يظم أحد غفله ما اجترم وسنده ضعيف ^(٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفیان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تكالبوا هذا الليل . ^(٣) حديث قيل له إن فلانة تصلي فاذا غلبها النوم تملقت بحبل قهرى عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس ^(٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يعمل حتى تعلموا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا ^(٥) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث هججن ابن الأديع وتقدم في العلم ^(٦) حديث قيل له إن فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يخطر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سننك فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سننك الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سننك فليس مني وهي متفق عليها من حديث أنس ^(٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين لمن يشاهده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله الخ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ولبيبي من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده . ^(٨) حديث الدعاء للمأثورة عند النوم باسك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بئس إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الحرقة فكلمته بما قرت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الحرقة ولكن إذا أئزمتنا للتبدي بذلك نمر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الحرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزى بزيمه فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ويركة محالطته معهم ونظيره إلى أحوال القوم وسيرهم يجب أن يسلك مسلكتهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الفزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصغار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن

وآخر بن إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل في شمار ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ العوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عنرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع بعث قال الله تعالى - الله يتوفى الأتقى حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فبها توفيا وكأن الستيظ تسكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله في النوم فكذلك للبعث يرى ما لم يخطر قط بباله ولاشاهده حسه ومثل النوم بين الحياة وللولت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في اللوت فلا تم فكما أنك تام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنبه فكما أنك تنبه بعد نومك فكذلك تبث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته ذلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه (٢) » الدعاء إلى آخره كاذكرناه في كتاب الدعوات فعلى المبدأ أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما القالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوجب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو القالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن الرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٣) » وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو القالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فاتها علامة تسكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم البعد للتهجد فاسم التهجد يختص بمآبد المعبود والمجرب وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجد إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع فقال جوف الليل (٤) » وقال داود صلى الله عليه وسلم على

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يعقوب يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وأبدأ بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رققا بالبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا لنظر للبتدى إليه والتأدب بأدبه والاحتذاء به في عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل في شيء إلا زانه فالمتشبهه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

(١) حديث قراءة للموذتين عند النوم بنفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحد على اليد وتهدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل دت وصحه من حديث عمرو بن عبسة .

إني أحب أن أتعبد لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادادود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخلوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر»^(١) يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبارت إلى سماء الدنيا^(٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسنته وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلًا ثم يسبح عشرا ويحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذولا للسكرات والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والفور حق والنيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت^(٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها^(٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت^(٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفقير القليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رهوفا رحيا يا خير للثقلين وأكرم للمطيين^(٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله الغابر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجبري قال : قال داود بإجبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجبري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي البرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات يقين من الليل يفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها شهدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فليسته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث طي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس للمسكين وأدعوك دعاء للضرير القليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عبدة عرفة يخدم في الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال للتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة وللشاركة في الزنى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يمتزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي حاتم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما يقرب له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة القرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالأصباح يستغفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبو الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره قلنا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان ثم فنام ثم ذهب يقوم فقال له ثم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن هاتما فصلما قال إن نفسك عليك حقا وإن لصيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأبى النبي ﷺ فذكر أنه قال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب المحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أو راد الليل ودخلت أو راد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو للراد بقوة تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - عهد الله أن لا إله إلا هو ولللائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما عهد الله به لنفسه وعهدت به للائكته وأولو الطه من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلها عندك ذخرا واحتفظها مني وتوفني عليها حتى ألقاها بها غير مبدل تبديلا فهنا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستمعون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وعهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر د ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة القرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء قلنا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له سلمان ثم فنام فقال صدق سلمان بخ من حديث أبي جيفة .

الشافعي قال تناهى بن أحمد قال تناهى بن علي القدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن حاتم قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبصرون بهالسيالك فإذا رأوا قوما يذكرون الله تادوا هل سوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى هناك السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أهدي تسبيحا وتحميدا ونمجيذا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة فانفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقض اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبر لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (٢) » وقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة (٣) » ودفع مائشة رضى الله عنها إلى سائل عنة واحدة فأخذها فظفر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لثاقيل ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذا كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى للفصل وفي جسده ثمانية وستون مفصلا فأمر ك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإما طلت الأذى صدقة حتى ذكر التسييح والتهيل ثم قال هو ركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمع من لك ذلك كله (٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن المرید لحرف الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما عابد وإما عالم وإمام متعلم وإما والد وإمام محترف وإمام واحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو التجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أورادهما ذكرناه ، نعم لا يمتد أن يختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسيجات فقد كان في الصحابة رضى الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة في التفكير في آية واحدة بردها وكان كرز بن وبرة مقيا بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تركية القلب وتطهيره وتخليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المرید إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كالمسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم هذه الأوراد وسرها فليتبصع المعنى فان سمع تسيحة مثلا وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسييح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك قال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسييح منذ خلقت

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمع في امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم في الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا قال لا إن لم يقدر عليه سكت من حديث جابر وللبراز من حديث أنس أو بسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألونني ؟ قالوا
يسألونك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف لأورأوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرصا قالوا
ويتعذون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها تمودا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أنى قد غفرت لهم
فيقول الملك فمنهم فلان
ليس منهم إنما جاء
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى ثم الجلساء
لا يشقى جلسهم فلا
يشقى جلسي الصوفية
والمتشبه بهم والمحب
لهم .

[الباب الثامن في ذكر
اللامق وشرح حاله]
قال بعضهم اللامق
هو الذي لا يظهر خيرا
ولا يضر شررا وشرح
هذا هو أن اللامق
تسربت عروقه طم
الإخلاص ونهق

قلت لما سمك قال بها يا بئيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لمعت حصى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان للثان سبحان الله للصبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه للريد ووجد له في قلبه وقفا فيلزمه وأيا ما وجد القلب عنده وقفع له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه في تحوى أو تدريس أو تصنيف ترتيبه الأوراد بخلاف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لأعماله فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتابات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم للواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها للتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نفعي بالعلم للتصميم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويتردد في الدنيا أو العلم الذي يمتنع على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص مابعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يمين على التفتن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والطالمة لا يتركها إلا في وقتا كل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالمة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن الطالمة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفار يعود إلى ذكر اللسان فلا يغلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالمة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : للتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فعلمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتطبيق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يخلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها »

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تخدم في العلم .

بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل القدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسأله عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

ف قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الذكرك (١) وقال كعب الأخبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تهارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من اللواظبات على خلق الذكر فقال مرحبا بامسكينة قتالت هيات هيات ذهبت للسكينة وجاء النقى فقال هيه قتالت ما سألت عن أيسر لها الجنة بهذا فغيرها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر ، وعلى الجلمة لما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأتفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب ليعاله فليس له أن يضع الميال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسيجات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات التعمدية فائدتها أتفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالى مثل الامام والقاضى وللتولى لينظر فى أمور المسلمين قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة لفق أنه يشتغل بمحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة . ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعل إذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالهراضيتم المسلمين ولو نمت بالليل ضيقت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفصل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : للوحد للستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهو مومه ثم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ إلا ويرى الله تعالى فيه لمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يفرح سمهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وعحق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى رب سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغى أن يفتقر المريد بما سمحه من ذلك فيدعيه لنفسه ويقتصر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم .

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
« سألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادى »
فاللامية لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنهم حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته
فاللماق عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدا به
والصوفى غاب فى

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعمه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظام الأضغال وآتي تزيق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على السكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبضهم أهدى من بعض وفي الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذا الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبد لهم له فن عرفه لم يبد غيره . والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس للداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة وأحاديث الأعمال يقل آثارها بل لا يحس آثارها وإنما يترتب الأثر في المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثار محسوسا ولم يردف ثبات وثالث على القرب انعمي الأثر الأول وكان كالتقية يريد أن يكون قبه النفس فإنه لا يصير قبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصله لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته (٣) . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوقت ثم لم يزل بعد ذلك يصلهما بعد العصر ولكن في منزله لافي المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فإن قلت فهل لتغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن للمعانى الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه ببعدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في التزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية للغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته رواه (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوقت عن ركعتين فصلها بعد العصر ثم لم يزل يصلها بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلهما ولا يصلهما في المسجد مخافة أن يقتل على أمته ، والله للوافق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .
قال أبو يعقوب
السوسي مق شهدوا
في إخلاصهم الإخلاص
احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص وقال ذو النون
ثلاث من علامات
الإخلاص استواء القلب
وللصدق من العامة
ونسيان رؤية الأعمال
في الأعمال وترك
اقتضاء ثواب العمل في
الأخرة أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
إجازة قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت
أبا عثمان الغري يقول:
الإخلاص مالا يكون
لنفس فيه حظ بحال
وهذا إخلاص العوام
وإخلاص الخواص
ما يجري عليهم لا بهم
فبدوا منهم الطاعات
وهم عنها بمنزلة ولا يقع
لهم عليها رؤية ولا بها
اعتداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل)
(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة
للقرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم فتعبد بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى
بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الراوي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى
بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة
سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان
حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراما
لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء
بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكبر قصورنا يارسول الله فقال الله أكثر وأفضل
أو قال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في
جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع
ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله قل ما في السموات وما في
الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج
عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يعطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث
رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة رواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده
ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة
أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه بلفظ اثنتي عشرة سنة وضمه ت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من
قول كعب الأحبار كما روله أبو الوليد الصفار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن
عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك
ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه
ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يشككم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين
في الجنة لم أجده أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع
عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذا تكبر قصورنا يارسول الله الحديث
ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسل (٥) حديث أنس من صلى المغرب
في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يشككم شيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والحكم إله واحد الحديث أبو الشيخ
في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الحواس وهذا الذي
فعله الشيخ أبو عثمان
للغربي يفرق بين
الصوفي والملاحق لأن
للملاحق أخرج الخلق
عن عمله وحاله ولكن
أثبت نفسه فهو مخلص
والصوفي أخرج نفسه
عن عمله وحاله كما
أخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلص
الحال والمخلص قال
أبو بكر الزقاق نقصان
كل مخلص في إخلاصه
رؤية إخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص
إخلاصه أسقط عن
إخلاصه رؤيته
لإخلاصه فيكون مخلصا
لا مخلصا قال أبو سعيد
الحرّاز رياء العارفين
أفضل من إخلاص
الريدين ومعنى قوله
إن إخلاص للريدين
معطول برؤية الإخلاص
والعارف منزّه عن
الرياء الذي يطل

قَالَ إِذَا صَلَّيْتَ الْغُرُوبَ قُمْ إِلَى وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مُصَلِّيًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْكُمَ أَحَدًا وَأَقْبَلْ عَلَى صَلَاتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا وَسَلِّمْ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَاقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثًا فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ انْصَرَفْ إِلَى مَنْزَلِكَ وَلَا تَسْكُمَ أَحَدًا وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَاقْرَأْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ثُمَّ اسْجُدْ بَعْدَ تَسْلِيمِكَ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ وَاسْتَوِجِلسَا وَارْفَعْ يَدَيْكَ وَقُلْ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِمَهُمَا يَا رَبَّ يَا رَبَّ يَا إِلَهَ يَا إِلَهَ يَا إِلَهَ ثُمَّ قُمْ وَأَنْتَ رَافِعُ يَدَيْكَ وَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ ثُمَّ نَمْ حَيْثُ شِئْتَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى يَمِينِكَ وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدِمِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْهَبَ بِكَ النَّوْمُ فَقُلْتُ لَهُ أَحِبُّ أَنْ تَمْلِكُنِي مِنْ مَمَتِ هَذَا فَقَالَ إِنِّي حَضَرْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ عَلِمَ هَذَا الدُّعَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ فَكَفْتُ عَنْهُ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنْ قَمَلْتِهِ مِنْ عِلْمِهِ يَا (١) وَقَالَ إِنْ هَذَا الدُّعَاءُ وَهَذِهِ الصَّلَاةُ مِنْ دَاوَمِ عَلَيْهِمَا بِمَحْسَنِ يَقِينٍ وَصَدَقَ نَبِيٌّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ فَرَأَى أَنَّهُ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا الْأَنْبِيَاءَ وَرَأَى فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلِمَةً وَعَلَهُ وَطَى الْجَلَّةَ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ إِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ مِنْ كَثِيرٍ حَقَّ قِيلَ لِعَبِيدِ اللَّهِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِصَلَاةٍ غَيْرِ السُّكُوتِيَّةِ قَالَ مَا بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ (٢) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَائِينَ (٣) » وَقَالَ الْأَوْدُ مَا أَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا وَرَأَيْتُهُ يَصَلِّي فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ نَمُّهُ هِيَ سَاعَةُ الْغَفْلَةِ وَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَظَّفُ عَلَيْهَا وَيَقُولُ هِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ وَيَقُولُ فِيهَا زَلْزَلَةٌ تَعَالَى - تَجَانِي جَنُوبَهُمْ عَنِ الضَّاحِجِ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قُلْتُ لِأَبِي سَالِمَانَ الدَّارَانِيِّ أَصُومُ النَّهَارَ وَأَتَمَتُّ بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَفْطَرُ بِالنَّهَارِ وَأُحْيِي مَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا فَقُلْتُ إِنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ قَالَ أَفْطَرُ وَصَلِّ مَا بَيْنَهُمَا

(فضيلة قيام الليل)

أَمَّا مِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى - إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ - الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى - إِنْ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا - وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تَجَانِي جَنُوبَهُمْ عَنِ الضَّاحِجِ - وَقَوْلُهُ تَعَالَى - أَمِنْ هَوَاقِئِ آثَاءِ اللَّيْلِ - الْآيَةُ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا - وَقَوْلُهُ تَعَالَى - وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ - قِيلَ هِيَ قِيَامُ اللَّيْلِ يَسْتَعِينُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ - وَمِنَ الْأَخْبَارِ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَأَصْبَحَ كَشَيْطَانِ النَّفْسِ وَالْأَصْبَحَ خَبِيثِ النَّفْسِ كَسَلَانَ (١) » .

(١) حَدِيثُ كُرْزِ بْنِ وَبَرَةَ أَنَّ الْخَضِرَ عَلِمَهُ صَلَاةَ بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ وَفِيهِ أَنْ كُرْزًا سَأَلَ الْخَضِرَ عَنْ مَمَتِ هَذَا قَالَ إِنِّي حَضَرْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَلِمَ هَذَا الدُّعَاءَ الْحَدِيثَ وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَصْلِهِ (٢) حَدِيثُ عُبَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ لَهُ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصَلَاةٍ غَيْرِ السُّكُوتِيَّةِ قَالَ مَا بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يَسْمَعْ (٣) حَدِيثُ مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْغُرُوبِ وَالْعِشَاءِ فَذَلِكَ صَلَاةُ الْأَوَائِينَ تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ (٤) حَدِيثُ يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

العمل ولكن الله يظهر
شيئا من حاله وعمله يعلم
كامل عنده فيه لجذب
مريد أو معاناة خلق
من أخلاق النفس في
إظهار الحال والعمل
وللمعارفين في ذلك علم
دقيق لا يعرفه غيرهم
فيري ذلك ناقص العلم
صورة رياء وليس رياء
إنما هو صريح العلم لله
بالله من غير حضور
نفس ووجود آفة
فيه . قال درويش :

الإخلاص أن لا يرضى
صاحبه عليه عونا في
الدارين ولا حظا من
للكين . وقال
بعضهم صدق الإخلاص
نسيان رؤية الخلق
بدوام النظر إلى الحق
واللامتنى يرى الخلق
فيخفى عمله وحاله وكل
ما ذكرناه من قبل
وصف إخلاص الصوفي
ولهذا قال الأرقاؤ لا بد
لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل بنام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ^(١) »
وفي الخبر « إن الشيطان معوطا ولمعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه ذرب لسانه
بالشر وإذا ذره نام الليل حتى أصبح ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف
الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم ^(٣) » وفي الصحيح عن جابر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا
أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الضربة بن
شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تخطرت قدماه فقيل له أما قد فخر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ^(٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن
الشكر سبب المزيد قال تعالى - نحن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أتريد أن
تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة
صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا ^(٥) » وقال صلى الله
عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب
ومطرقة للداء عن الجسد ومنهارة عن الإثم ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ تكون له
صلاة بالليل فقلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أبا ذر بما ينفعك
ذلك اليوم قال بلى بآي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة
القبور وروح حجة نظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلة حتى تقولها أو كلة شئت نسكت عنها ^(٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث
ابن مسعود (٢) حديث إن الشيطان معوطا ولمعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس إن الشيطان
لمعوقا وكلا فإذا لعق الإنسان من لمعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كله من كله نامت عيناه عن الذكر
ورواه البراء من حديث حمزة بن جندب وسندهما ضيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف
الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرمتها عليهم - آدم بن أبي إياس في الثواب
ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمي
في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث للضربة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى تخطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك
حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن
نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم
بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب
وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث ما من امرئ يكون له صلاة
بالليل ينل به عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه
رجل لم يسم صاه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي
ورواه ن ه من حديث أبي البرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال
لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك
اليوم قال بلى بآي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة
القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن محمد مرسلا والسري ضعه الأزدى.

إخلاصه وهو قصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الحلي سألت
أبا القاسم الجليد رحمه
الله قلت أين الإخلاص
والصدق فرق؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بعد الدخول في
المعمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الإخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فلي
هذا الإخلاص حال
اللامق ومخالصة
الإخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكائنة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو غناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
بل غيخته عن رؤية

وروي « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يابث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة^(١) » وروي « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا يقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول ثم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خير شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من حوارى فوعزنى وجلالى يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لذاب شحمك ولزهرت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبيكت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يعمل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضج في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلى ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضجت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدار كرين الله كثيرا والدار كرات^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل^(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صل الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل^(٧) » . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد للريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى التحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علقه زيد في عمله قام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا انطجع على فراشه تنقل عليه كما تنقل الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له ما بال المهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهداه فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ، ابن جبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث دح من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدار كرين الله كثيرا والدار كرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستئثار وهو قد حال الصوفي واللامق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين اللامق والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشهر بهذا الاسم قلنا يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامية استدعى إلى مماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأني إن حضرت يظهر على وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري

حتى فاته ورده أن لا ينام بعدها على فراش أبداً وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيمولى طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهيقاً وقال الحسن إن الرجل ليدب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السفر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لا تصنع الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا للكتابة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي يمتنى من قوم لا يصلون إلا للكتابة ردني فردها وقال الربيع بن ربيعة في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً وقال أبو الجوزية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر لما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يعمي نصف الليل ثم يقوم فقالوا إن هذا يعمي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أهل فكان جد ذلك يعمي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الدين اجتروا السبائات أن نجعلهم كالدن آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الفيرة بن حبيب رقت مالك بن دينار فتوضأ بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته الخمرة فجعل يقول اللهم حرم شيعة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأبى الرجلين مالك وأبى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أعمن خراً فقلت نعم فدفعت إلي الرقعة فاذا فيها :

أأهنتك اللذائد والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش محمداً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق لما بات ليلة إلا ساجداً ويروى عن أزهر بن ميث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدى وأمهرنى فقلت وما مهرى قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغنى أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك برائه من لؤلؤ وصنفته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الصالحون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم العافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مصورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخلق خفقات ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعت يقول وعزنى وجلالى لأكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي العداة بوضوء المشاء أربعين سنة ويقال كان منبه

قال لأبي سليمان
الداراني إني إذا كنت
في الخلوة أجد لهما مني
لذة لا أجدها بين
الناس فقال له إنك
إذا لضعيف فاللماقي
وإن كان متمسكاً
بمروة الإخلاص
مستغنياً بباط الصدق
ولكن بقي عليه بقية
رؤية الخلق وما أحسنها
من بقية تحقق
الإخلاص والصدق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرق العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكلية ورأى بين
القناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله - كل
شيء هالك إلا وجهه -
كما قال بعضهم في بعض
غلباته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء لللامق الحال على
وجهين أحد الوجهين
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق لقيام بشروطه البسرة له ظاهره وباطنه . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على اللاندة كل ليلة ويقول معاشر الريدن لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتعسروا عنداوت كثيراً وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سبب للاستئمان على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فإن ذلك يحايق القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بأباسيد إنني أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعد طهورى فإبالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لطمهم ولتوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فأنهم لا يقبلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يركب في ضي هذا وراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يركب قلت أذاك نبي بعض أهلك قال أشد قلت وجع يؤلك قال أشد قلت فإذاك قال باني مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تنفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت بامسكين فانظر عند من تظفر وعلى أي شيء تظفر فإن البعد ليا كل أكلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر القسمة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن البعد ليا كل أكلة أو بخل فقلة فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الحيرات وقال بعض السجانيين كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعطى الفحشاء والمنكر .

(وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق بهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وسأوسه وفي مثل ذلك يقال :

يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فنام

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طبر نوم العابدين وكما حكى أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدة إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لسلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفاً وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقاً فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستئمان بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصديق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فإن من خلا بمحبوه بكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على وجه محبوبه وهذا وإن علا في طريق الصوفى علة وقص فعل هذا يتقدم للامتنى على التصوف ويتأخر عن الصوفى وقيل إن من أصول السلامة أن

منع القرآن بوعده ووعده مقل العيون بلبها أن تهجها
فهموا عن تلك الليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضا
وأنشدوا أيضا :

يا طول الرقاد والنفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن زلت إليه لرقادا يطول بعد للمات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب هملت أو حسنت
أأمنت الليات من ملك اللو ت وكم قال آمنا يبيات
وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كأبدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم قماموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه
فيه يهيج الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
نتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أنفكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخلوة به وتلقذ بالمناجاة
فتحملة لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فاعتبر حال الحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته
حق لا يأتية النوم طول ليله . فان قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجميل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان ينغم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه يسمع منه وإن كان ذلك أيضا مملوفا عنده .
فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف واللوقن يسمع من
الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يغلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصرون الحب ليلة وصالح الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيت قط يرى وجهه ثم ينصرف وما تأملت به بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يستقي إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال طي بن بكار منذ أربعين
سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي برى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو
في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذا صبح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
للشاهدة وإذا صبح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيئة وإذا
صبح ذكر القلب سكر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التماق في قلوبهم بالليل من حلاوة النجاة وقال بعضهم لذة النجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذة الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقطين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستقر ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادة من عبادي أحبه ويحبوني ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحبتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلل كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقفروا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وعلقوا إلى يانامي فبين صارخ وباكي ، وبين متأوه وشاكي ، بيني ما يحملون من أجلي وبسعي ما يشكون من حبي أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتعبد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر ونحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالقلب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب التيقظة وتخطي القلوب النائمة فتمرض تلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة ومطلوب القارئ تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كلية القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب للمكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن يسلم المديني وقصيل بن عياض ووهيب بن الورد السكياني وطاوس ووهب بن منبه الجبائي والريعي بن خيثم والحكم الكوفي وأبوسليمان الداراني وعلي بن بكار الشامي وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادي وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني القارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
اللسان على الله كرو ذلك
ذكر العادة وليس كل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السري على
وآفة ذكر السري اطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتعظيمه
أو طلب ثوابه أو ظن أنه
يصل إلى شيء من
اللقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويعبي البكاء البصريون وكهمس بن النبال وكان يحتم في الشهر تسعين ختمه ومالم يفهمه رجع وقرأ مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد الواظنين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . للرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب الناس بالنعاس وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفرة وجهه وقلّ نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألفت بعد السحر إلا نائماً (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والشاهدة من وراء حجب القيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويؤظظه ثم ربما يضطرب في ليالي النيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث التقدير فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويعبي آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصل ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بالفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما ألفت السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بالفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا نائماً لم يقلخ الأعلى وقال ه ما كنت ألقى أوالقي النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندى (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يظلمه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى مضى غطيته الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا
الأصل الذي بنوا عليه
أن ذكر الروح ذكر
الذات وذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم
وذكر القلب من الآلاء
والنعماء ذكر أثر
الصفات وذكر
النفس متمرض
للملآت فمضى قولهم
إطلاع السر على الروح
يشيرون إلى التحقق
بالقضاء عند ذكر
الذات وذكر الحية

يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه ^(١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في للوضعين من سورة الزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ ^(٢) يعني الديك وهذا يكون السدس لما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواً كما فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة ^(٣) . الرتبة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة ^(٤) فهذه طرق القسمة فليختار المرید لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار ترتيب هذه الراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيما إلى القدر فليس يجرى أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والأيام الفاضلة)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قد فنظر إلى السماء الحديث ولأن داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل . (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فقام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك حتى بلغ إنك لا تخلف للعباد ثم استل من فراشه سواً كما فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربه فوافق حلب ناقة فوافق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة .

في ذلك الوقت ذكر
الصفات مشعر بنصيب
الهيبة وهو وجود
الهيبة ووجود الهيبة
يستدعي وجوده وبقية
وذلك يناقض حال
القناء وهكذا ذكر
السر وجوده هيبة وهو
ذكر الصفات مشعر
بنصيب القرب وذكر
القلب الذي هو ذكر
الآلاء والنعماء مشعر
بعدمه لأنه اشتغال
بذكر النعمة وذهول
عن النعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل للريد عنها فاتها مواسم الحيرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن المواسم لم يرج ومق غفل الريد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة للمراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للمامل من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في مصيبة ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فثلاثة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء . ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا » (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام المدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواصل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنتين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى اللديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكرو (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى اللديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بمجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الجزء الثاني)

برؤية المطاء عن
رؤية للمطى ضرب
من بعد للزلة
واطلاع النفس نظرا
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أهل
من بعض ، والله أعلم .

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٤٢ (الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها) | مقدمة |
| ٤٣ بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصعابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى | ترجمة الامام الغزالي |
| ٤٥ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق | ٢ خطبة الكتاب |
| ٤٩ (الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم أما التعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تغاريقها عشر جمل) | ٥ (كتاب العلم وفيه سبعة أبواب) |
| ٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم | (الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم) |
| ٥٨ (الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء) | وشواهد من النقل والعقل |
| ٨٢ (الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وقسامه) | ٥ فضيلة العلم |
| ٨٢ بيان شرف العقل | ٩ فضيلة التعلم |
| ٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه | ١٠ فضيلة التعليم |
| ٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل | ١٣ في الشواهد العقلية |
| ٨٩ (كتاب قواعد العقائد) | ١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة) |
| وفي أربعة فصول | ١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين |
| ٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ | ١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية |
| ٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد | ٢٩ (الباب الثالث فيما بعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموم وما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر للذموم منها) |
| ١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة | ٢٩ بيان علة ذم العلم المذموم |
| | ٣٢ بيان ما يدل من ألفاظ العلوم |
| | ٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة |

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| ١٣٤ فضية الوضوء | ١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان في |
| ١٣٥ كيفية القل | معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله |
| ١٣٥ كيفية التيمم | تعالى واحد ومداره على عشرة أصول |
| ١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتطيف من | ١٠٨ الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى |
| الفضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ | ومداره على عشرة أصول |
| وأجزاء | ١١٠ الركن الثالث السلم بأفعال الله تعالى |
| ١٣٦ التسوع الأول الأوساخ والرطوبات | ومداره على عشرة أصول |
| للترعة وهي ثمانية | ١١٣ الركن الرابع في السميات وتصديقه |
| ١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من | صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره |
| الأجزاء وهي ثمانية | على عشرة أصول |
| ١٤٥ (كتاب أسرار الصلاة ومهماتها) | ١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما |
| وفيه سبعة أبواب | بينهما من الاتصال والاتصال وما يتطرق |
| ١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود | إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء |
| والجماعة والأذان وغيرها) | السلف فيه وفيه ثلاث مسائل |
| فضية الأذان | ١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان |
| ١٤٦ فضية للكتابة | أو غيره الخ |
| ١٤٧ فضية إتمام الأركان | ١١٩ مسألة فإن قلت قد اختلف السلف على |
| ١٤٨ فضية الجماعة | أن الإيمان يزيد وينقص الخ |
| ١٤٩ فضية السجود | ١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا |
| فضية الخشوع | مؤمن إن شاء الخ |
| ١٥١ فضية للسجد وموضع الصلاة | ١٢٤ (كتاب أسرار الطهارة) |
| ١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة | وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات |
| من الصلاة والبدانة بالكبير وما قبله) | ١٢٧ القسم الأول في طهارة الحث والنظر |
| ١٥٤ القراءة | فبقره يتعلق بالزوال وللزوال به والإزالة |
| الركوع ولواحه | ١٢٧ الطرف الأول في الزوال |
| السجود | ١٢٨ الطرف الثاني في الزوال به |
| ١٥٥ التشهد | ١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الإزالة |
| ١٥٦ التيات | ١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها |
| ١٥٨ تميز القرائن والسنن | الوضوء والتسل والتيمم وضعتها |
| ١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من | الاستحباب |
| أعمال القلب بلغ. | ١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة) |
| ١٥٩ بيان لغزائط الخشوع وحضور القلب | ١٣١ كيفية الاستحباب |
| | ١٣١ كيفية الوضوء |

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها | ١٦١ بيان للثاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة |
| ٢١٠ النوع الأول زكاة الثم | ١٦٣ بيان للسواء النافع في حضور القلب |
| ٢١١ النوع الثاني زكاة للضررات | ١٦٥ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشروط من أعمال الصلاة |
| النوع الثالث زكاة التقدين | ١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم |
| النوع الرابع زكاة التجارة | ١٧٣ (الباب الرابع في الإمامة والقنوة الخ) |
| ٢١٢ النوع الخامس الركاز والعدن | ١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسنها وشروطها) |
| النوع السادس في صدقة القطر | ١٧٨ فضيلة الجمعة |
| ٢١٤ الفصل الثاني في الأمان وشروطه الباطنة والظاهرة | ١٧٩ بيان شروط الجمعة |
| ٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة | ١٨٠ وأما السنن الخ |
| الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي هي مرید طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ | ١٨٠ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جل |
| ٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأداء | ١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التهار وهي مبعة أمور |
| ٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار | ١٨٩ (الباب السادس في مسائل متفرقة تتم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها) |
| الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس الخ | ١٩٣ (الباب السابع في النوافل من الصلوات وفي أربعة أقسام) |
| ٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالتم والأذى | ١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية |
| ٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستنصر الطبية | ١٩٨ القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع |
| ٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتفق من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه | ٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرار السنين |
| الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو بالصدقة الخ | ٢٠٤ القسم الرابع من النوافل ما يتلق بأسباب مكرمة ولا يتلق بالمواقيت وهي تسعة |
| ٢٢١ الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه | ٢٠٥ (كتاب أسرار الزكاة) وفيه أربعة فصول |
| ٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق | |
| ٢٢٣ بيان وظائف القابض | |
| ٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها | |
| ٢٢٧ بيان فضيلة الصدقة | |
| ٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها | |
| ٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة | |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٢٥٦ | ٢٣١ (كتاب أسرار الصوم) |
| الوقوف من البيت والرمى والنحر | وفيه ثلاثة فصول |
| والحلق والطواف | ٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن |
| ٢٥٨ | الظاهرة والأوازم بإفساده |
| الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها | أما الواجبات الظاهرة فسته |
| إلى طواف الوداع | ٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة |
| ٢٥٩ | ٣٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم |
| الجملة التاسعة في طواف الوداع | وشروطه الباطنة |
| الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها | ٢٣٧ الفصل الثالث في التطاوع بالصيام |
| ٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر | وترتيب الأوراد فيه |
| ٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة للأعمال | ٢٤٠ (كتاب أسرار الحج) |
| الباطنة) | وفيه ثلاثة أبواب : |
| يان دقائق الآداب وهي عشرة | (الباب الأول وفيه فصلان) |
| ٢٦٧ يان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص | الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة |
| في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد | البيت ومكة وللمدينة حرسهما الله تعالى |
| الشريعة وكيفية الانتكار فيها والتذكر | وشد الرحال إلى للساجد |
| لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره | ٢٤٠ فضيلة الحج |
| ٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن) | ٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفرة |
| وفيه أربعة أبواب : | ٢٤٤ فضيلة القيام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته |
| ٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله | فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد |
| وذم القصرين في تلاوته) | ٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج |
| ٢٧٣ فضيلة القرآن | وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته |
| ٢٧٥ في ذم تلاوة الناقلين | ٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة |
| ٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة | من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل |
| وهي عشرة) | ٢٤٧ الجملة الأولى في السير من أول الخروج |
| ٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في | إلى الإحرام وهي ثمانية |
| التلاوة وهي عشرة) | ٢٤٨ الجملة الثانية في آداب الإحرام من |
| ٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره | للبيات إلى دخول مكة وهي خمسة |
| بالرأى من غير نقل) | ٢٥٠ الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى |
| ٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات) | الطواف وهي ستة |
| وفيه خمسة أبواب : | ٢٥١ الجملة الرابعة في الطواف الح |
| ٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته | ٢٥٣ الجملة الخامسة في السعي |
| على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار | ٢٥٤ الجملة السادسة في الوقوف وما قبله |
| والآثار) | |
| ٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر | |

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| ٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب الليثي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله) | ٢٩٨ فضيلة التهليل |
| ٣٢٤ أنواع الاستعاذة للمأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم | ٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار |
| ٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية للمأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث) | ٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للمأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم) |
| ٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل) وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان : | ٣٠٥ فضيلة الدعاء |
| ٣٣٤ (الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها) | ٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة |
| ٣٣٤ فضيلة الأوراد ويان أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى | ٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها |
| ٣٣٥ يان أعداد الأوراد وترتيبها | ٣١٣ فضيلة الاستغفار |
| ٣٤٥ يان أوراد الليل وهي خمسة | ٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة وبمعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبغقب كل صلاة) |
| ٣٥٣ يان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال | ٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها |
| ٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب للبيرة قيام الليل وفي البالي التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل) | دعاء فاطمة رضي الله عنها |
| ٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين العشائين | دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه |
| ٣٥٨ فضيلة قيام الليل | ٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه |
| ٣٦٢ يان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل | دعاء قبيصة بن الحارث |
| ٣٧٠ يان طرق القسمة لأجزاء الليل | دعاء أبي المرداء رضي الله عنه |
| ٣٧٢ يان البالي والأهم القاضية | دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام |
| | دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم |
| | ٣١٩ دعاء الخضر عليه السلام |
| | دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه |
| | دعاء عتبة القلام |
| | دعاء آدم عليه الصلاة والسلام |
| | دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه |
| | ٣٢٠ دعاء ابن القنبر وهو سليمان التيمي وتسميته رضي عنه |
| | دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه |

فهرس

ما بهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| ١١١ | ٢ - كتاب |
| ١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد | تعريف الأحياء بفضائل الإحياء |
| ١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم | ٢ خطبة الكتاب |
| بصحة ضعيفا وفرد من العرفه قريبا الخ | ٤ للتقدمة في عنوان الكتاب |
| ١٢٨ بيان أرباب للربة الثالثة وهو توحيد | ٨ المقصد في فضل الكتاب وبعض للدائح |
| للقرب | والثناء من الأكابر عليه والجواب عما |
| ١٤٤ بيان للربة الرابعة وهو توحيد الصديقين | استشكل منه وطعن بسببه فيه |
| ١٤٩ (فصل) في معنى إنشاء سر الربوبية كفر | ١٦ (فصل) فيمن أوفى على الإحياء من العلماء |
| وغير ذلك | الأعلام |
| ١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق | ٣٠ (فصل) في بيان الواضع التي استشكل فيها |
| ١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى | على الإحياء والجواب عنها |
| ١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين | ٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام الفزالي |
| ١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر | وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية |
| بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى | رضى الله عنهم |
| ١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع من | ٥٥ - ٣ - كتاب |
| سورة هذا العالم الخ | الإيملاء في اشكالات الإحياء |
| ١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب القلاء | خطبة الكتاب |
| للجمادات غير مستنكر | ٦٠ ذكر مراسم الأستة في الكل |
| ١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم | ٦٥ مقدمة في الألفاظ للمستعملة |
| للك ، وبين العلم الالهي في عالم لللكوت | ٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف |
| ١٨٧ (فصل) في حد عالم لللك | والاستتارف على كلام الناس وكتب |
| ١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته | الحكمة |
| ١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله | ٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأستة |
| الالهية سر لو انكشف بطلت النبوات ، | ٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقهم |
| والنبوات سر لو انكشف بطل العلم ، | ٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي عن التوحيد |
| والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام | ١٠٠ (فصل) فان قلنا لما الذي صد هؤلاء |
| ١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم للكتوبة في | الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن |
| الطلب ، وسلوك هذه القامات ، ورفق | النظر ، والبحث حتى تعلموا ، أو عن الاعتقاد |
| هذه المبرجات ، واستنهاهم هذه الخاطبات | حتى تخلصوا من عذاب الله الخ |

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| ٢٥٧ (الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أمموزج منها) | ١٩٩ (فصل) لأي شئ ذكرت هذه العلوم |
| ٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم) | بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز |
| ٣١١ (الباب الخامس في ماهية الصوف) | دون التصريحات ، وبالمقشابه من الألفاظ |
| ٣٥٥ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم) | دون الحكايات |
| ٣٣٩ (الباب السابع في ذكر التصوف وللتنبه به) | ٢٠٣ - ٣ (كتاب عوارف المعارف) |
| ٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله) | خطبة الكتاب |
| | ٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية) |
| | ٢٣٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع) |